جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف

إعداد الطالب

محمود سليمان حسين الهواوشه

إشراف

الدكتور فايز محاسنة

رسالة مقدمـة إلـى عمـادة الدراسـات العليـا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستيـر
في النحو والصرف قسم اللغة العربية وآدابهـــا

جامعة مؤتة، 2008

الإهداء

إلى أمي وروح أبي .... إلى أختي وأخـي
إلى زوجـتي ذات .... الأيادي البيضـاء

لهم جميعا أهدي هذا العمل.

محمود الهواوشه

الشكر والتقدير

لقد بذلت في إعداد هذه الرسالة ما استطعت من جهدٍ ووقت، وغايتي أن تكون وافيةً خالصةً لوجه الله الكريم، راجيا منه الأجر.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، كيف وإن كانوا أهل فضل وعلم، ومن الواجب أن اعترف بجهد ذوي الفضل والنعمة.

وأول من أخصهم بالشّكر والتقدير أستاذي المشرف الدكتور فايز المحاسنة، فقد تتبع هذا العمل منذ بداياته وأبدى ملحوظاته القيمة التي قومت فصوله، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشّكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لَجنة المناقشة الأستاذ الدكتور سامح الرواشدة، والأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي، والدكتور وليد العناتي، على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ملاحظاتهم القيمة التي يتفضلون بإبدائها، فهم أصحاب فضل وريادة.

إنّي مدين بالشّكر لكل من نهلت من فيض علمه وكل من ساعدني مقلّاً أو مكثراً.

وأخيراً فإنّي قد بذلت ما استطيع، فإن أصبتُ فلله الشّكر، وإن كانت الأخرى، فما أبرئ نفسي، وأسأل الله الأجر والغفران .

محمود الهواوشه

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

الملخص

أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف

محمود سليمان حسين الهواوشه

جامعة مؤتة 2008

جاءت الدراسة في أربعة فصول، في الفصل الأول فرقت بين المعنى والفكرة في الجملة والنص, فمعاني الجمل أجزاء الدلالة الجامعة, وعليه فالعلاقة بين اللفظ والدلالة الجامعة في تشكل النص عكسية، والجمل على نوعين: نصي، وغير نصي. وتم بيان أثر الموجهات في بناء النص، فهي كالعمد في نحو النص، وفرقت بين تولد الأفكار وتوليد الجمل، وبيان الدور البلاغي في منطقية التركيب, وعرفت النص، وقسمته إلى نوعين: نص موجود, ونص منوي, وحددت عناصر إنتاجه الرئيسية.

وفي الفصل الثاني استعرضت مفهوم الاتساق وعناصره، والإحالة أهمها، فهي جسر للتواصل الحضاري، والإحالة ثلاثة أنواع مقامية ونصية ومشتركة، والنصية على ثلاثة أيضا: إحالة جملة ومقطع، وعامة، والمدى الإحالي نوعان، وبناء على الاحتمالات الإحالية يقسم النص إلى أربعة أنواع.

وفي الفصل الثالث تحليل لسورة يوسف وفقا لعناصر الاتساق اللفظية، وأكدت الدراسة أن السورة جزء من نص القرآن الكريم، ارتبطت بعمومه من خلال الإحالات، وأكد التحليل أن العنصر الإشاري الأكثر أهمية في موقعه يكون موضعا لأكثر الإحالات، وتبين أن العنصر الإشاري لا يكون إلا اسما ، واقترحت الدراسة إضافة النداء كأحد العناصر الإحالية.

وفي الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة, وهي على قسمين ضما أربعة وثلاثين بندا، وأهمها إن القرآن الكريم نص واحد يتكون من موضوعات نصية متعددة مترابطة لغويا، وألحق بالفصل تعريف بأهم المصطلحات في الدراسة، ورسم بياني يوضح أنواع النصوص والتماسك اللغوي داخل النص وخارجه.

Abstract

The Impact of Consistency in the Text Coherence, A Textual Study through Yousif Swrat

Mahmmoud Suleiman Hussein Alhawawsheh

Mu'tah University, 2008

The research came into four chapters, in the first chapter, there is a discrimination between the meaning and the idea in the sentence and in the text, since the meaning of sentence are parts of the whole evidence, and so, the relation between articulation and the whole evidence in forming the text in reversal. The sentences are two kinds: textual, untextual. The effect of directories in the text building were demonstrated because they are considered purposeful in the text grammar, the discrimination between ideas and sentences generation, the role of rhetorical of structure logic, the identification of the text, its division into two sorts, an existed text and the intended one, and identifying its main production elements.

In the second chapter, we deal with the consistency concept and its elements, the importance of reference, since it is the bridge of the civilized communication; the reference has three kinds, textual, jointed and contextual. The textual also has three kinds: reference of a sentence and version, public, and the reference range has two kinds. The building of reference divides the text into four forms.

In the third chapter, the analysis of Yousef Sura according to elements of articulation consistency, it was known that Sura is part of the holy Koran text connected with the whole through references, the analysis proved that the signal element is the most important in its position for most references, it was known that the signal element is not an individual or structured noun, the research suggested adding calling as one of the referential elements.

In the fourth chapter reported the most important results, they were into two sections which included 34 items, the most important was the Holy Koran is a text consisted of several textual subjects correlated linguistically. A graph that demonstrate the kinds of text and the linguistic consistence within and out the text.

المقدمة

تناولت الدراسة أثر عناصر الاتساق اللفظية في تماسك النص، وقد أجريت الدراسة على سورة يوسف، وحددت الدراسة في عناصر الاتساق اللفظية المتعارف عليها في أهم مراجع الدراسة حصرا للموضوع عن التشعب المضعف، وكان لا بد من بعض المقدمات قبل الدخول إلى صلب الموضوع فتم التطرق في الفصل الأول إلى التفريق بين المعنى في الجملة، والفكرة في النص في إطار الدلالة الجامعة (الفكرة الأساسية)، فمعاني الجمل أجزاء الدلالة الجامعة، وهي لبنة النص كما إن المفردة لبنة الجملة، وتم تصنف الجمل إلى نوعين: نصي، وغير نصي، وكل واحدة منهما ينقسم إلى نوعين. وفي الفصل بحث لموضوع حد الجملة والنص، وأثر الدلالة في ذلك، فالعلاقة بين اللفظ والمعنى في بناء النص علاقة تلازمية، إلا أن العلاقة بين اللفظ والدلالة الجامعة في تشكل النص علاقة عكسية؛ فاللفظ يبدأ من الجملة على تخير من الألفاظ ثم الأفكار الفرعية إلى أن يصل النص إلى تمام الفكرة، أما البناء الدلالي فيبدأ من الأعلى من الدلالة الجامعة إلى أن يصل إلى معنى الجملة النصية.

وفي الفصل استعراض لأثر الموجهات في بناء الجملة النصية، إذ تُعد عمدا في نحو النص، وفضلات أو متممات في الجمل المستقلة عن الدلالة الجامعة، فمن أساسيات تكوين الجملة النصية وجود الموجهات حتى يستقيم معنى الجملة مع دلالة النص الجامعة، وتم التفريق بين تولد الأفكار وتوليد الجمل في النص، وبيان أثر الدور البلاغي في منطقية الدلالة، وإدخال الجملة إلى حيز التركيب اللغوي الدلالي.

وفي الفصل بعض تعريفات النص، وتم تعريفه في الدراسة، والقرآن الكريم هو الصورة المعتمدة في التمثل، وبناء على الجانب الدلالي واللفظي فالنص نوعان: نص موجود؛ وجود دلالي ولفظي، ونص منْوي دلاليا مع ظهور بعض جمله النصية بشرط التفاهم الدلالي المسبق بين المتلقي والمنتج، وإن كان المتلقي ذا أهمية في النص المنوي فليس ضروريا في النص الموجود، ويكفي لتكوين النص الموجود عنصران هما: المنتج بفكرته واللغة.

واستعرض البحث في الفصل الثاني مفهوم الاتساق وعناصره، وحتى تقوم العلاقة الاتساقية الإحالية لا بد من عنصرين أساسيين في النص وهما العنصر الإشاري والعنصر الإحالي، والإحالة أهم عناصر الاتساق في النص فهي جسر للتواصل الحضاري، والإحالة على ثلاثة أنواع: مقامية ونصية ومشتركة، والنصية على ثلاثة أيضا: داخل الجملة وداخل المقطع (المقاطع)، وإحالة ثالثة عامة على تقع عموم النص، والإحالة على نوعين من حيث المدى، وعلى نوعين من حيث نوع العنصر المحال إليه.

أما العناصر الاتساقية التي درست مطبقةً على سورة يوسف، وحسب الأهمية فهي **الإحالات** أولا، وأهم الإحالات الضمائر: وهي أكثر تخصيصا وتحديدا للعنصر الإشاري، ومداها أبعد من حدود النص المنجز، ثم أسماء الإشارة، فالاسم الموصول فالظروف، خاصة الزمانية، والأسماء الإشارية أوسع إحالة من الـضمائر، وهـي كذلك بعيدة المدى، واقترحت الدراسة إضافة النداء إلى العناصر الإحالية؛ لأنه يفتقر إلى الدلالة في نفسه ويحتاج إلى مفسر، حاله في ذلك حـال الـضمير، وللجانـب الصوتي أثر في الافتقار، ومن الإحالات العنصر المعجمي الاسمي، أما الفعلي فعلى قلة، وعنصر الاتساق الثاني **الوصـل**: ويعمل بشكل كبيـر بـين الجمـل النـصية والفرعية، والثالث فهو **الاتساق المعجمي**: من خلال التكرير والتضام، والرابع فهو **الحذف**، آلية المنتج وطريق المتلقي إلى التأويل وإنتاج الـنص مـن جديـد، وأمـا العنصر **الخامس** فهو الاستبدال.

وفي الفصل الثالث تحليل لسورة يوسف وفقا لعناصر الاتساق اللفظية، ومن التحليل تبين أن السورة جزء من القرآن الكريم ارتبط أولها بعموم القرآن بالإحالات في المقطع الأول الذي جاء تمهيدا للتماسك الدلالي واللفظي، وتماسك آخرها بأولها، وكذلك ارتبط آخرها مع موضوعات القرآن الأخرى (السور) من خلال الإحالة النصية القريبة والبعيدة، إذ بدت العناصر الإحالية داخل القرآن على شكل شبكة متواصلة، وفي السورة إحالات مقامية على منتج النص سبحانه وتعالى عامل الإحالة الرئيسي، وبناء على الاحتمالات الإحالية فالنص أربعة أنواع: مصمت، ومستقبِل، ومرسِل، ومفتوح. ودل التحليل على أن العنصر الإشاري الأكثر أهمية في موقعه

يكون موضعا لأكثر الإحالات، كالعنصر الإشاري (يوسف)عليه السلام. وتبين أن العنصر الإشاري لا يكون إلا اسما مفردا أو مؤولاً اسمياً؛ فالعنصر النصي (مضمون) جملة أو مقطع أو مقاطع يؤول بالاسم،يسمى العنصر الإشاري النصي.

وفي النهاية جاء الفصل الرابع يضم أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وهو في قسمين: الأول: تضمن النتائج في الجانب النصي، وتكون من خمسة عشر بندا، والقسم الثاني: تضمن النتائج في الجانب التطبيقي لنحو النص من خلال عناصر الاتساق اللفظية، وجاء في تسعة عشر بندا، مع توضيح موجز لتلك النتائج، وألحق بالفصل تعريف بأهم مصطلحات الدراسة، ورسم بياني يوضح أنواع النصوص وعلاقة النص بعضه ببعض وعلاقة الجمل الفرعية بالجملة النصية، وعلاقة الجمل بالمقاطع، وعلاقة المقاطع ببعضها وغير ذلك من العلاقات الاتساقية التي أدت إلى تماسك سورة يوسف مع بعضها ومع نص القرآن الكريم.

قامت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي فجـاء الفـصل الأول والثـاني دراسة وصفية لمادتها، وفي الفصل الثالث تحليل لموضوع الدراسة من خلال سورة يوسف، وأما الفصل الرابع ففيه أهم ما خلصت إليه الدراسة.

اعتمدت الدراسة على مصادر قليلة مثـل دلائـل الإعجـاز لعبـد القـاهر الجرجاني، والكشاف للزمخشري، وسبب قلة الاعتماد على المصادر القديمة عـدم وجود مصنفات قديمة في مجال نحو النص، مما جعل الدراسة تعتمد على المراجـع الحديثة، وذلك من الصعوبات التي واجهت الدراسة، ومنهـا أيـضا عـدم وجـود دراسات سابقة كافية في حدود علم الباحث متخصصة في نحو النص، ومـن أهـم المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها الدراسة كتاب نسيج الـنص للأزهـر الزنـاد، ولسانيات النص لمحمد خطابي وعلم لغة النص لسعيد البحيري، واللغـة والمعنـى والسياق، تأليف جون لاينز، وعلم الدلالة إطار جديد تأليف بالمر، ونظام الارتبـاط والربط، مصطفى حميدة، وكتاب: في الأفق الأدونيسي تـأليف سـامح الرواشـدة ومراجع حديثة أخرى.

الفصل الأول

الجملة والنص

لعل مناقشة موضوع أثر عناصر الاتساق في تماسك النص يتطلب البحث في الجانبين: الشكل والمضمون؛ ثنائية اللفظ والمعنى. بشكل متساو متكامل تكامل النص، فلا وجود للنص لغويا بمعزل عن الدلالة الجامعة (الفكرة الأساسية) ولا وجود نصي للفكرة من دون الشكل اللغوي الذي يظهرها إلى حيز الوجود، خصوصا إذا عرفنا أن المقصود من النص هو النص المكتوب كما هو متعارف عليه، وإن كان التواصل بين المنتج والمتلقي لا يقتصر على الشكل المكتوب - فالمسموع أكثر استعمالا من المكتوب، إلا أن ما يبقى ويدوم ويتم دراسته وتداوله هو الشكل المكتوب.

وعليه يتناول البحث دراسة أثر عناصر الاتساق اللفظية في ترابط النص المكتوب، مع التعرض باختصار لدراسة بعض الموضوعات الضرورية كمقدمات في إطار دراسة نحو النص، كحد الجملة، ومفهوم النص، والبداية عامة من الدلالة الجامعة (الفكرة)، فمبدأ كل أمر فكرة.

1.1 المعنى والفكرة (الدلالة)

المعنى على إطلاقه مفهوم عام يشتمل على المعنى المنبثق من الكلمة المفردة في المستوى المعجمي بعيدا عن مؤثرات السياق، إلى المعنى المنبثق من الجملة المتحصل من جميع مستويات اللغوية: النحوية، والصرفية والصوتية، والمعجمية، والدلالية في حدود الجملة النصية وغير النصية، إلى الفكرة الفرعية المتمثلة بالمقطع المتحصل من تعالق الجمل بأثر الدلالة، إلى الفكرة الأساسية (الدلالة الجامعة) المولد الأساسي للنص.

المعنى يكون تاما وناقصا، فالجملة بطرفيها الرئيسيين المسند والمسند إليه (العقد)[1] كما أسماهما بوجراند، وبما بينهما من علاقة يؤديان معنى، ولكن قد لا يكون هو المعنى المقصود بحد ذاته، وخاصة في الجملة النصية، مما يستدعي الإتيان بالموجهات أو ما يعرف عند النحاة القدماء بالفضلات، أو الزوائد، أو ما -عرف بالمتممات -لتوضيح المعنى المقصود من بناء الجملة، كأن تقول: (قضى أخي)، فهي تامة على المستوى التركيبي الدلالي للجملة غير النصية، وهي تتكون من طرفي الإسناد: المسند والمسند إليه، ولكن إذا علمنا أن الفكرة المقصودة في النص تقوم على (قيمة الشهادة)، فهل يكتفي التركيب النحوي الدلالي النصي بالمسند والمسند إليه في الجملة لتقديم المعنى المقصود؟ فكيف قضى، وأين ومتى ولماذا؟ وهنا يتبين لنا نقص هذا التركيب من حيث الدلالة النصية، ولكي يتضح المعنى الخاص للجملة الذي تتطلبه فكرة النص التي بني عليها نتخير لفظة أو ألفاظا توضح المعنى المقصود الموافق للفكرة الأساسية للنص (الدلالة الجامعة)، التي تضبط إيقاع النص على مختلف مستويات اللغة: النحوية، والصرفية والصوتية، والمعجمية، على مستوى الجملة النصية أو المقطع، أو الموضوع النصي، وأخيرا عموم النص، فالمعنى: ارتباط بين الكلمة والفكرة كما يرى دي سوسير[2]. ولعل تصحيح الكلام بعضه بعضا من باب توضيح دلالة الكلمة بمعنى الأخرى "إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويربط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، قال الله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ)[3] أراد:

1- بوجراند، روبرت دي، 1418هـ - 1998م، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص158.

2- لوشن، نور الهدى، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الازاريطة، الإسكندرية، ص36 .

3- سورة البقرة، آية249.

الذين يتيقنون ذلك، فلم يذهب وهم عاقل إلى أن الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقائه"[1].

إن الجامع الدلالي العام (فكرة الشهادة) يجعل الجملة السابقة: قضى أخي. مفتقرة للتمام تتطلب كلمة أو كلاما آخر نحو: (شهيدا)، ليستقيم التركيب النحوي دلاليا في جملة مكونة من العمد والموجهات، وينسجم التركيب النحوي مع الدلالة الجامعة التي بني عليها النص.

ولا بد من التفريق بين المعنى والفكرة، فالاسم له معنى، والفعل له معنى، والحرف له معانٍ، والجملة لها معنى، ولكن تتظافر البنى الأساسية في اللغة من فعل واسم وحرف وأية تقاسيم أخرى للشكل اللغوي، لتنسج النص اللغوي الذي يتكون في الأصل من اللفظة المفردة التي قد تشكل جملة مثل (احفظوه)، ومجموع المفردات تتعالق على شكل جملة مترابطة أجزاؤها في تركيب نحوي دلالي، وترتبط بدورها مع جمل أخرى، ويشعر القارئ وهو يقرأ أن الجمل يقود بعضها إلى بعض، وتترابط بأدوات لغوية تعمل على تماسك أولها بآخرها وتستمر الجمل في التوالد اعتمادا على مقدرة ابن اللغة المختزنة على شكل قواعد أساسية، ويستمر القارئ متابعا فإذا توقف لظرف ما، شعر بأن هذه الجمل لها استمرارية لا بد منها، وينبغي متابعتها حتى النهاية، وهذه النهاية ليست بانتهاء الشكل اللغوي عند حدود جملة ما، وإنما بانتهاء الفكرة من خلال الشكل اللغوي، إنها نهاية الفكرة التي بني عليها النص، وهذا الأصل في بناء النص اللغوي؛ إذ أصله فكرة تتبلور في ذهن المنتج، تُؤدى بأساليب اللغة المحكمة، فنظام القواعد ليس مستقلا عن الدلالة بل استجابة منظمة للدلالة، فجمل اللغة ليست مستقلة عن الدلالة كما يرى تشومسكي فيقول: أن

1- ابن الأنباري، محمد بن القاسم الأنباري، (د.ت)،1411هـ - 1991م، الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ص2.

نظام القواعد مستقل عن المعنى[1]، ويقوم بتوليد جميع جمل لغة معينة ولا يولد جملا لا وجود لها في تلك اللغة[2].

ومن الأدلة على أن الدلالة الجامعة (الفكرة الأساسية) هي الأساس في بناء النص أن المنتج يستطيع إعادة بناء الفكرة مرة ثانية، وبنسيج لغوي مختلف عنه في المرة الأولى، وهذا ما نراه في صياغة القرآن الكريم للفكرة في أكثر من موضوع من موضوعاته بما يناسب القضية المطروقة فيه باستخدام النسيج اللغوي المناسب المعجز في بيانه، ويلحظ ذلك في الفرق بين الأسلوب اللغوي في السور المكية والمدنية، ونجد بعض الأفكار والمعاني بالأسلوبين.

تصاغ الفكرة في الذهن البشري على شكل ما، كقول حكيم، نحو: (أول الفكرة آخر العمل وآخر العمل أول الفكرة)، فينبري العقل البشري ِلترتيب الفكرة يوضحها ويبسطها ويستخدم الأدلة والبراهين والأفكار الجزئية على شكل مقاطع تخدم الفكرة الأساسية بقوالب لغوية مختلفة، تعتمد في جودة سبكها على مقدرة ابن اللغة وتمكنه من أساليب لغته، فنجد النص البليغ بدرجاته وحسب الشريحة التي يريد مخاطبتها، واللغة العربية من المرونة بمكان، إذ يمكن استعمال المستوى البسيط في إطار فصاحة اللغة إلى أعلى مستوى في مخاطبة المثقفين.

واللغة ضرورية للنصوص، وإن جعلها عبد القاهر الجرجاني في الطرقات مقابل نظرة الجاحظ للمعاني "وأنت إذا أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال وإنما تطلب المعنى، وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ أمامك وإزاء ناظرك"[3].

فالفكرة للنص كالبذرة للشجرة، منها ينمو الجذر الذي تعتمد عليه في إنتاج الشكل والثمار، فالناظر إلى الشجرة يراها جميلة مثمرة، يتناول ثمارها، ونادرا من

---

1 - جومسكي، نوم، البنى النحوية، ترجمة، يؤيل يوسف عزيز، ط1، مراجعة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص22.

2 - المرجع نفسه، ص 113.

3- الجرجاني، عبد القاهر، (ت471هـ)، 1409 هـ - 1988م، دلائل الإعجاز، تحقيق الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد الشنقيطي، ومحمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص49 .

يحمد أصلها أو يأبه به. والنص كذلك من الكاتب، يقوم على فكرة تومض ثم تنمو فتكبر حتى تكتمل على شكل خطاب تام منسجم من خلال الشكل اللغوي، وأما التقديم والتأخير والحذف وغير ذلك من وسائل اللغة فتحكمه أهمية المعنى المقصود إبرازه وليس الشكل اللغوي، وإن كانت بعض الصيغ اللغوية لها الصدارة كالاستفهام.

إن اللفظة يتحدد معناها الدقيق في سياق الجملة أو النص من الارتباط بفكرة النص الأساسية (الدلالة الجامعة)، وليس من الضروري أن تسهم البنية السطحية في إبراز العلاقات بين أجزاء النص، ولكن فهم البنية العميقة للنص تمكن من التعرف على كل عناصر الربط[1]. ومدار البنية العميقة التي تحفظ للنص ترابطه هي الدلالة الجامعة، وقد يبدو النص في ظاهره مشتتا، ولكن النظرة فيه بعمق دلالي تكشف الترابط فيه، إلا أن النص الذي يتكون من موضوعات نصية متعددة يجب أن تتوفر له روابط اتساق لغوية، فسور القرآن على الرغم من تباعدها إلا أن إنعام النظر فيها يقود إلى وعي ترابطها دلاليا من خلال عناصر الاتساق على مستوى نحو النص وليس نحو الجملة كما سيأتي لاحقا.

الفكرة الأساسية (الدلالة الجامعة) هي محور الترابط في النص، وشرط أساسي للنصية، لتكون الرؤية لحدود النص واضحة، "فالشرط الأدنى لترابط القضايا التي تعبر عنها جملة أو متتالية هو ارتباطها بموضوع (موضوعات) التخاطب نفسه"[2]. إن الحديث عن ترابط القضايا ما هو إلا حديث عن مكونات النص. فمجموع القضايا تشكل النص، والنص له فكرة واحدة تربط أدنى وحداته بأعلاها. إن التصور الكلي للبنية الكبرى لا يؤدي إلى التماسك الكلي بين وحدات النص الكبرى ولكن يؤدي إلى تصور التماسك الجزئي بين الجمل والمتواليات الجملية أيضا[3]. ويرى درسلر أن النص هو: "القول اللغوي المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته"[4]. ومن هنا لا اعتبار

1- بحيري، سعيد حسن، 1997م، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ص246.

2- المرجع نفسه، ص 246.

3- بحيري، علم لغة النص، ص 144.

4- المرجع نفسه، ص 105.

لطول النص أو قصره إلا باكتمال الدلالة فيه، ولكن الدلالة غير محددة، وإن أشار إلى اكتمالها، فالجملة ذات دلالة جزئية مكتملة، والمقطع ذو دلالة، بينما النص تصور كلي للمعاني انطلاقا من الدلالة الجامعة، ومن خلال التركيب النحوي المتولد استجابة لتولد الأفكار الموضحة والداعمة للدلالة الجامعة، فالخلط بين المعنى المتكون في الجملة من تعالق المفردات وبين المعنى العام (الدلالة الجامعة) سمة شبه سائدة، فهناك فرق بين المعنى العام (الدلالة الجامعة) وبين معاني الجمل أو المقاطع؛ لأن "المعنى الجوهري في كل جملة، هو السبب المولد لدلالات أخرى وجمل عديدة ترتبط بالمعنى الجوهري بخواص تجميعية وإنها سبب في دفع معانٍ جديدة من الأعماق إلى السطح"(1). وهنا نجد الإشارة إلى أثر الدلالة الجامعة ودور الجملة النصية التوليدية في توليد عدد من الجمل النصية. فليس الشكل هو صاحب الأثر التوليدي، إذ بنى تشومسكي نظريته في النحو على أساس الشكل دون الدلالة(2).

الدلالة الجامعة هي الرابط الأول والأهم من بين الروابط في تماسك النص بأجزائه المختلفة، ولا يمكن دراسة النص كنص تام بمعزل عنها. "فالخطوة الهامة في تحليل العلاقات بين الوحدات في المتتالية النصية مرهونة بالكشف عن البنية الكبرى، والبنية الكبرى ينبغي أن ينبثق عنها بنى أصغر أو بنى أكبر، لكنها في مستوى أدنى منها، تدور في فلكها"(3). والدلالة هي البنية الكبرى، وتقوم الدلالة في النص على شبكة العلاقات الرابطة بين جميع العناصر المكونة له، والذاهبة في كل اتجاه، إنما بدؤه عنصر واحد (صوت، لفظ، مركب، جملة) وعليه تقوم سائر العناصر المكونة له(4).

1- مراد، وليد محمد، 1406هـ - 1986م، المسار الجديد في علم اللغة العام، مطبعة الكواكب بدمشق، ص174.

2- جومسكي، البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، ص124.

3- فضل، صلاح، 1996م، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ص329.

4- الزناد، الأزهر، 1993م، نسيج النص، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص171 .

النص لا يقتصر على العلاقات الداخلية بل يمتد ليضم المعاني الخارجية فربما يضم النص مجموعة أو مجموعتين أو أكثر من المعاني الإضافية أو الإشارية أو الإحالية أو التداولية وغيرها(1). فقوله تعالى (إلا الذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وتَواصوا بِالْحق وتَواصوا بِالصبر)(2). يحيل على كل المؤمنين، والصالحين، والمتواصين بالحق والصبر، كعناصر إشارية معجمية أو نصية في جميع نص القرآن الكريم كُله، بصرف النظر عن تفسير المتلقين، فهي آيات مجملة تشتمل على موضوعات كثيرة فصلها القرآن في مواضع أخرى، وهذه المواضع عادت عليها إحالات لفظية، والعنصر المحال عليه قام بدوره بإرسال الإحالات على عناصر إشارية أخرى، وردت في مواطن أخرى من نص القرآن الكريم، وهكذا تتابع الإحالات بالانتشار داخل النص على شكل شبكة، وقد يتفق على أن من خصائص النص اللغوية أن تتوفر فيه الشبكة الإحالية، وخاصة بين الجملة النصية والمقطع أو بين المقاطع، وهي لازمة للاتساق والتماسك بين الموضوعات النصية.

وقد أشار عبد القاهر إلى دور المعاني ودور صاحبها في عمليـة التواصـل، فأعطى الدور للمتكلم في ترتيب الألفاظ والجمل وفقا للمعنى الناشئ والمترتب فـي ذهن صاحبه، والمتلقي يعمد إلى ترتيب الألفاظ في عقله وفقا للمعنى المفهوم لديـه، وأشار لدور الألفاظ في وصول المعنى للسامع كأداة يتم ترتيبها لتتوافق مع المعنـى المقصود. "قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفـسه إلا بترتب الألفاظ في سمعه ظن عند ذلك أن المعاني تبع للألفاظ، وأن الترتب فيهـا مكتسب من الألفاظ ومن ترتبها في نطق المتكلم، وهذا ظن فاسد ممن يظنـه فـإن الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام، والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلـى حال المعاني معه لا مع السامع وليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني؟ وهل هي إلا خدم لها أوليست هي سمات لها وأوضاعا قد وضعت لتدل عليها فكيف يتصور أن تسبق المعاني وأن تتقدمها في تصور النفس"(3). يقـول ابـن القـيم أن

1- بحيري، علم لغة النص، ص257.

2- سورة العصر، آية3.

3- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص321.

الألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فـإذا ظهـر مراده ووضح بأي طريق عمل بمقتضاه سواء أكان بإشارة أم بإعادة له مطـردة لا يخل بها.[1] ويرى محدثون "أن معنى أي تعبير، ما هو إلا مجموع علاقات المعنـى القائمة بينه وبين التعابير الأخرى"[2]. "ونـرى كيـتس (kuts) وهـو مـن أتبـاع تشومسكي أساسا يقدم المعنى- الذي ظل مدة طويلة ذا قيمة محدودة فـي الوصـف والتحليل اللُغويين على مستويات اللغة الأخرى، فالمعنى هو ما يجعل اللغـة لغـة، وليست جوانب اللغة كلها إلا جوانب للمعنى، إذ تتجه الوظائف الصوتية والـصرفية والنحوية والمعجمية إلى الوظيفة الدلالية، وبهذا يتشكل فهم تـام ودقيـق للغـة"[3]. ويذكر الجرجاني أهمية المعنى في ترتيب الألفاظ "إنه لا معنى للنظم غيـر تـوخي معاني النحو فيما بين الكلم"[4].

ومع ذلك فاللغة مهمة في تكوين النص، فلا وجود للمعنى إن لم يجد وعاء اللغة، وتعتمد جودة السبك اللغوي على مقدرة ابن اللغة على تقديم ما اعتمل في ذهنه من أفكار بأساليب اللغة المختلفة، "فالمتكلم يبدأ من المعنى لينتهي إلى المبنى"[5]. وليس المقصود المبنى بحد ذاته فالمباني وسائل لتقديم المعاني للسامع بالملفوظ أو المكتوب. إلا أنها أهم وسيلة في إبراز فكرة النص. ومن ذلك كله نرى أن الفكرة الأساسية هي الجامع الدلالي ومنها تنبثق المعاني الجزئية للجمل.

---

1 - ابن القيم الجوزية، (د.ت)، 1955م أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محي الدين عبد الحميد،. ج1، ص218.

2- لاينز، جون،1987م، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة الدكتور عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 62.

3- بحيري، علم لغة النص، ص 92.

4- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 282.

5- حميدة، مصطفى، 1997م، نظام الارتباط والربط، في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ص 58.

2.1 دور الموجهات في بناء النص

كما هو معروف أن "الإسناد أهم علاقة في الجملة العربية؛ فهو نواة الجملة، ومحور كل العلاقات الأخرى؛ لأن في استطاعته وحده تكوين جملة تامة ذات معنى دلالي متكامل وهي الجملة البسيطة... ومن المعلوم أن الإسناد طريقتان: الجملة الفعلية، والجملة الاسمية".[1] "ولأهمية العلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل كان النحاة يشبهون العلاقة بين الفعل والفاعل بعلاقة الشيء بنفسه"[2].

لكن الجمل المركبة من الإسناد فقط، لا يمكن أن ينتج عنها جمل أخرى ذات تركيب نحوي دلالي نصي بعيدا عن الموجهات، وهناك موجهات تدخل على جملة النظام لا يتعدى أثرها الدلالي حدود الجملة، ويكون ذلك باستخدام الأساليب المتنوعة للتراكيب اللغوية كالحذف أو الإضمار أو المؤكدات أو التقديم والتأخير، والتوابع وغيرها من موجهات الجملة غير النصية، فينتج عنها جمل تختلف في درجة المعنى المقصود منها عن الجملة المكونة من المسند والمسند إليه، وفقا لأغراض دلالية يسعى إليها منتج التركيب اللغوي على مستوى الجملة، فتركيب: (رجع زيد) غير تركيب: (إن زيدا رجع)، أو (إن زيدا قد رجع بالأمس القريب من بلاد الغرب)، فكل تركيب يحمل معنى يختلف في ظلاله عن الأخر، يتبعه اختلاف في التركيب اللغوي ولو في عنصر من عناصره الفرعية (الموجهات)، فتركيب: (رجع زيد)، على مستوى المسند والمسند إليه، لفظ يحمل معنى الإخبار المجرد في أبسط صوره للعارف بزيد غير المشكك، وتركيب: (إن زيدا رجع) حدث في تركيبه اللغوي تغيير وزيادة تبعا لتشكك المتلقي مثلا، فتم استخدام أداة تأكيد لإثبات رجعة زيد، ، أما الثالثة: ففيها تأكيد وتحديد للزمان لغرض في نفس المتكلم مع مراعاة لطبيعة المتلقي. ومن هنا فالجملة تتكون من معنى واحد من مجموع مفرداتها، ولا تقاس بمكون واحد من مكوناتها بل بمجموع المكونات؛ العناصر الأساسية من المسند والمسند إليه والموجهات؛ نحو المؤكدات كما في الجمل السابقة، وكلها تخدم الوجهة

1- حميدة، نظام الارتباط والربط، ص 164.

2- السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر، (849 هـ - 1445م/ 911هـ - 1505م)، 1405هـ - 1984م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص 62.

الدلالية للتركيب اللغوي للجملة، ولكن كل ذلك يبقى في حدود الجملة غير النصية. وهنا تجدر الإشارة إلى بعض المصطلحات مثل: النص الموجود بلفظه ومعناه، والنص المنوي، والجملة بحد ذاتها التي لا ترتبط بنص، والفرق بين الجملة النصية وغير النصية، كما سيأتي تفصيله فيما بعد.

وعلى اعتبار أن النص مكون من دلالة جامعة تقدمها اللغة بقوالبها المختلفة، فلا يكتفي النص بالعناصر الأساسية؛ المسند والمسند إليه في الجملة لأداء الدلالة الجامعة، فمثلاً عند بناء نسيج نص لغوي عن الشهادة في المعركة لا يكفي أن نقول: (قضى أخي)، فإذا كان على مستوى الجملة لا بد من ذكر الموجهات، مثل (شهيدا أو غريقا) حتى يكتمل المعنى فنقول: (قضى أخي شهيدا)، وبإضافة أخرى من الموجهات يتضح المعنى أكثر، إذا قلنا: (قضى أخي شهيدا في ساحة القتال)، وبمعنى آخر إذا قلنا: (قضى أخي في باحة بيته برصاص العدو)، فكل إضافة من الموجهات لها توجيه للمعنى بما يخدم الدلالة الجامعة المترتبة في ذهن منتج النص. إن لكل تركيب لغوي مكانته الخاصة، ولكل مفردة في إطار الدلالة الجامعة دلالة وظلال تستمدها من وحي فكرة النص (الدلالة الجامعة).

والموجهات ذات دور أساسي في توجيه المعنى في النص، وقيدا على علاقة الإسناد "فالنسبة قيد عام على علاقة الإسناد أو ما وقع في نطاقها أيضا، وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية"[1]. لا تؤدي دورها في إبراز مكنون النفس من دون استخدام الموجهات، فإذا كانت الجملة تحتاج للموجهات، فالنص أكثر حاجة إليها، ولا يخرج النص خطابا متكاملا من دونها، فهي عمد في النص لا غنى عنها؛ لأن النص نسيج متكامل بخلاف الجملة؛ "فالنص حقه أن يعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصية "(Textualtty)[2]. إن ربط الجمل بالنص يخرج الجملة من مفهوم جملة النظام إلى مفهوم الجملة النصية ويخرج الجملة عديمة المعنى (التركيب الشكلي) من مفهوم التركيب النحوي الدلالي ومن ذلك العبارة المشهورة لتشومسكي: (تنام الأفكار

1- حسان، تمام، 1979م، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص201.

2- بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص91.

الخضراء عديمة اللون بتهيج). فهي تركيب لغوي مبهم خال من الدلالة حتى على المستوى البلاغي.

الجملة النصية لا تخرج عن إطار النص ولو كانت في أبسط مكوناتها. فهي إما جزء من نص موجود أو جزء من نص منْوي كائن في ذهن المنتج، ذكر بعضه وأضمر الآخر وفقا لمقتضيات الموقف، وقد ذكر جون لاينز: أن الجمل القائمة بذاتها وبقايا الجمل وتعابير كلامية ثابتة من مثل: يا للسماء. وكلما قل الكلام سهلت إعادة الكلام. كلها تعتبر نصا بالنسبة لسياق وحداتها الكلامية بصرف النظر عن استخدامها ضمن امتدادات أوسع من النص أم لا[1].

ما كل تركيب نحوي من المسند والمسند إليه يؤدي معنى نحويا مفهوما وإن فهمت دلالة المفردة المعجمية مستقلة فمثلا: (انطلق الجواد الحبلى)، تركيب متناقض المعنى فكلمة (الجواد) تتضمن الذكورة (وحبلى) تتضمن الأنوثة والمعنيان متضادان فالجملة عديمة المعنى تفضي إلى تناقض[2].

إن علاقة الإسناد وسمت بأنها قرينة معنوية وأساسية، ولكن لا يعني بالضرورة أنها ذات معنى مفيد على مستوى النصية، فالعلاقة بين المسند والمسند إليه في مثل: (سجى عرنف) لا تقدم معنى يفهمه العقل اللغوي لابن اللغة العربية، والموجهات في مثل هذه الجمل لا يمكن دخولها لعدم وجود المعنى الذي نحدد على أساسه طبيعة الموجهات المستخدمة، وعليه فالاعتبار ليس للشكل اللغوي، وليس أي تركيب من المسند والمسند إليه والفضلات ذا فائدة، وهذا ما يدعو إلى ضرورة وجود الفكرة أو المعنى قبل الشكل اللغوي، "فليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[3].

وحتى تتكون الجملة لا بد من المفردات على المستوى المعجمي، ثم تختار هذه المفردات على المستوى الدلالي في ذهن المتكلم بالتداعي المقيد، بينما الفكرة أولا

1- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص221-225.

2- حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 78.

3- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 41.

بالتداعي الحر، ثم تترابط المفردات مع بعضها في النظام النحوي المنسجم مع الدلالة المقصودة عقليا، وهذا ما قرره عبد القاهر، لا كما يرى كلارك من تخير الكلمات معجميا أولا؛ أي أن الكلمات المعجمية تنتقى في الكلام أولا، وأن الكلمات الوظيفية توضع في أماكنها بعد ذلك[1]. وفي الحقيقة أن عملية الفصل بهذه الطريقة غير ممكنة، لأن الفكرة تولد الألفاظ عند ابن اللغة، والتخير يقع لاحقا على الألفاظ وظيفيا في حالة من توخي الدقة في التعبير عن الدلالة، وتخير الألفاظ وظيفيا متعلق بأثر الدلالة، والدلالة لا تقتصر على مدلول المفردة المعجمية في ذاتها، إنما تضم المعاني كلها التي يمكن أن تأخذها المفردة ضمن السياق اللغوي الدلالي - إذ إن المفردات في الحقيقة لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة، إنما تتحقق دلالتها انطلاقا من السياق الذي تظهر فيه المفردات.[2]

3.1 حد الجملة

بداية نستعرض بإيجاز مفهوم الكلمة، وهي تركيب صوتي معجمـي سـكوني الدلالة، وفي السياق دلالية نصية، وأجمل ابن مالك في ألفيته القول في الكلمة والكلم والكلام والقول بقوله:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم　　　اسـم وفعل ثم حـرف الكلم

واحده كلمة والقول عم　　　وكلمة بها كـلام قـد يـؤم[3].

فالكلام لفظ مفيد يحسن السكون عليه كاستقم، والكلم أقـسام: اسـم، وفعـل، وحرف. والكلمة واحدة الكلام، والقول أعم مما ذكر. ونظم الكلام ليس للمفـردات، كما أشار إلى أن الكلمة الواحدة قد تؤدي معنى جامعا، وكلمة بها كـلام قـد يـؤم. وعرفها تمام حسان بأنها "صيغة ذات وظيفية لغوية معينة في تركيب الجملة، تقـوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحـشى أو يتغيـر

1 - لاينز، اللغة والمعنى والسياق النص، ص 157.

2- لوشن، علم الدلالة، دراسة وتطبيق، ص 35- 36 .

3- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، (698- 769 هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، لبنان، بيروت، ص13.

موضعها أو تستبدل بغيرها في السياق، وترجع مادتها إلى أصول ثلاثة، وقد تلحـق بها زوائد"[1]. ويرى فيرث أن الكلمة ليست بذات معنى مـستقل قـائم بذاتـه، وأن وجودها ومعناها شيء نسبي، يمكن ملاحظة كل منهما في سـياق غيرهمـا مـن الكلمات والمعاني، أو عن طريق التقابل بينهما[2].

وعليه ما هي حدود الجملة؟ أهي المسند والمسند إليه في أبسط تركيب نحوي؟ أم تتكون من أكثر من مركب نحوي يمتد حتى يكتمل المعنى؟ إذ للمفردة معنى معجمي مستقل، وآخر خاص يفهم من خلال سياق الجملة، وللجمل معنى خاص يفهم من خلال وجود الجملة في إطار النص نحو قوله تعالى: (وجاءتْ سيارةٌ فَأرسلُواْ واردهم فَأدلَى دلْوه قَالَ يا بشْرى هـذَا غُلاَم وأَسروه بِضاعةً واللّه علِيم بِما يعملُون)[3]. فلو طرحت هذه الآية (الجملة) للدرس دون معرفة سياقها السابق أو اللاحق، هل تَبين دلالتها؟ وكما تكتسب المفردة مع الأخرى معنى خاصا في إطار الجملة، فإن الجملة مع الجملة تكتسب معنى خاصا تحكمه الدلالة الجامعة التي بني النص عليها، فكلمة: (قتل) في جملة سياق دلالتها الجامعة يتحدث عن فكرة قتال العدو، تختلف دلالة عن (قتل) في جملة إطار نصها يتحدث عن فكرة الانتحار؛ "لأن للمفردة دلالة معجمية (سكونية)، وأخرى سياقية (نصية) تبرز من خلال وقوع الكلمة في سياق أو نص معين"[4]. وذكر عبد القاهر: "أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد"[5].

لا تُعبر الجملة الواحدة عن قضايا أو موضوعات، فالجملة تعبير عن المعنى الجزئي في إطار الأفكار الفرعية للنص - إلا ما كان منها من جوامع الكلم، فاحترام الوالدين مثلا فكرة عامة، يدخل ضمنها فكرة الطاعة لهم، والأجر، وتحمل عنائهم

---

1 - حسان، مناهج البحث في اللغة، ص226.

2 - خليل، حلمي، الكلمة، 1995م، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ص95.

3- سورة يوسف، آية19.

4- حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 82.

5 -الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 415.

وغيرها من الأفكار الفرعية (الجزئية) على الفكرة الجامعة، وتُؤدى هذه الفرعيات النصية بعدد من الجمل، فالجملة اللبنة الأولى للنص والمفردة لبنة الجملة، وتتركب الجمل النحوية ذات الدلالة من المفردات المعجمية، ووردت إشارات عند علماء اللغة القدماء إلى ما يمكن الأخذ به عن ارتباط الجمل، كما أورد عبد القاهر عن أنواع الجمل وعلاقتها مع بعضها في سياق الفصل والوصل فرتب الجمل على ثلاثة أضرب[1]:

أولا: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتّة، لشبه العطف فيها -لو عطفت- بعطف الشيء على نفسه.

ثانيا: جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً، أو مفعولاً، أو مضافاً إليه، فيكون حقها العطف.

ثالثا: جملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون حقه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وتركه سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا، وحق هذا ترك العطف .

والجملة كما يرى العكبري هي الكلام، "والكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامة كقولك: زيد منطلق، وإن تأتني أكرمك، وقم وصه، وما كان نحو ذلك، فأما اللفظة المفردة نحو: زيد... وحده.. ونحو ذلك فلا يسمى كلاما بل كلمة؛ هذا قول الجمهور"[2] ويرى ابن جني في الخصائص أن الكلام المفيد هو الجملة "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص188.

2- العكبري، أبو البقاء، (230- 340)، 1992م، مسائل خلافية في النحو، تحقيق محمد خير الحلواني، ط1، دار الشرق العربي، بيروت، ج1، ص35. وانظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 88.

وقام محمد"[1] وقال أبو البقاء: "الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة يسوغ السكوت عليها".[2] وذكر ابن هشام المصري أن الجملة تركيب إسنادي تمت به الفائدة أم لم تتم "وأما الجملة عند جمهور النحاة فتعبير صناعي أو مصطلح نحوي لعلاقة إسنادية بين اسمين أو اسم وفعل تمت الفائدة بها أم لم تتم، ولذلك فهي أعم من الكلام، والكلام أخص منها"[3]. وذكر الرماني أن "الذي تصح به فائدة الكلام هو الجملة"[4]. وكل هذه الآراء تتحدث عن حد الجملة بالفائدة، أما ابن هشام المصري فجعل التركيب النحوي حدها أفاد أم لم يفد.

فحد الجملة لا يكون لمفرداتها كل على حدة؛ لأن الجملة تركيب لغوي متكامل على المستوى الفرعي في النص، فمكونات الجملة معجميا منفردة لا تعطي المعنى الذي تعطيه المفردات مجتمعة في إطار الجملة، من ثَم فالمعنى المستفاد من الجملة حد لها، يقول عبد القاهر الجرجاني: "إذا قلت: ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً، تأديباً له، فإنك تتحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم، هو معنى واحد لا عدة معانٍ كما يتوهمه الناس"[5].فمفهوم الجملة البنيوي يأخذ مداه من ترابط عناصرها اللغوية المختلفة وفق مقتضيات الفكرة، "فالجمل تعطي للمفردة المعجمية

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، (322 – 392)، 1995م، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط1، دار النشر، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص 17. وانظر كتاب اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني، ص 30.

2- أبو البقاء، محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله (538 – 616)، 1995م، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ج1، ص41.

3- ابن هشام المصري، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، (708 – 761)، 1408هـ - 1987م، رسالة المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية، تحقيق مازن المبارك، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ص50.

4- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله (296 – 388)هـ، 1984م، رسالتان في اللغة، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص78.

5- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 316 .

المعنى"[1]. ويقول الجرجاني: "ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض"[2]. وكما يذكر تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها أنه: "إذا اتضح المعنى الوظيفي أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام"[3]. وحتى تعطي الجملة معنى واحدا فلا بد أن تتماسك المفردات "إن النظم يكون في معاني الكلم دون ألفاظها وإن نظمها هو توخي معاني النحو فيها"[4]. "ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض، والكلم ثلاث، اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعليق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"[5].

فإذا كانت هذه حال المفردات مع الجملة، فالجمل في تتابعها وتطلبها لبعضها أحوج على مستوى النص؛ أي فيما يخص حاجة المعنى في الجملة للمعنى في الجملة الأخرى. إذ "ترتبط العبارتان فيما بينهما، إذا كان مدلولهما، أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مترابطة فيما بينهما. فعبارة: لما كان الجو حسنا فإن القمر يدور حول الأرض، لا ترابط بينها لعدم وجود الترابط الدلالي، وإن كانت من حيث التركيب النحوي صحيحة"[6]. ومعاني الجمل يتوقف بعضها على بعض[7]. ويفهم (فاينريش) النص، "بأن الجمل فيه لا تفهم في حد ذاتها فحسب وإنما تسهم

1- خطابي، محمد،1991م، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص29.

2 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 69.

3- حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 182.

4- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 317 .

5 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص46-47.

6- فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 337.

7- خطابي، لسانيات النص، ص 29.

الجمل الأخرى في فهمها. وإنما يحدد المعنى من خلال النص الكلي الذي تتضامن أجزاؤه وتتآزر"[1].

إن البنية العميقة والسطحية للجمل في التركيب اللغوي يجب أن يكون الاعتبار فيها للمعنى لا للشكل اللغوي؛ لأن الجمل التي تعتبر ذات بنى عميقة عندما يضاف إليها عوامل لغوية، أو يغير موقع بعض مفرداتها تؤدي معاني جديدة بدرجات متفاوتة وفقا للمعنى الذي رتبه منتج النص. وتكون الجملة جملة إذا فهم السامع معناها كما أورد الجرجاني وفي رأي (اير) الذي أورده جون لاينز "تعتبر الجملة ذات دلالة حقيقية بالنسبة لشخص معين إذا عرف هذا الشخص كيف يتحقق من القضية التي تهدف هذه الجملة إلى التعبير عنها"[2].

وقد تُؤدى الجملة الواحدة في أكثر من سياق وبمعانٍ مختلفة بحسب مؤثرات لغوية معينة، كالتنغيم لدواعي التحذير أو السخرية وغير ذلك نحو: هذا جميل، بنبر يوحي بالسخرية من جمال الشيء أو يوحي بالإخبار عن الجمال أو بنبر يوحي بالإعجاب أو الاستفهام، وهذا دليل على أن الجملة جزء من مقصود، ونوع التنغيم مرتبط بالمعنى المقصود من إنشاء الجملة النصية، ولا تكون مع التنغيم إلا نصية؛ نصا موجودا أو منويا، وهنا يبرز دور علامات الترقيم في توضيح المقصد الدلالي، ومن جانب آخر التنغيم دليل على أن منتج النص يوجه اللغة وظيفيا وفقا للمعاني، قال تعالى: (قَالَ هلْ عِلِمتُم ما فَعلْتُم بِيوسفَ وأَخِيهِ إذ انتُم جاهِلُون* قَالُواْ أَإِنك لأنتَ يوسفُ قَالَ أَنَاْ يوسفُ وهـذَا أَخِي)[3]. إذ الاستفهام والتوكيد المتجاوران في مطلع الآية يكشفان عن حقيقة نفسية عميقة في طبيعة الإنسان، فقد استرجعوا الصورة التي مر عليها عشرون عاما في لحظة واحدة في حالة من الشك واليقين مبهوتين[4]. وهذا الانبهار كثفه الضمير مع الاستفهام.

1- بحيري، علم لغة النص، ص 140.

2- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص 121.

3- سورة يوسف، آية89 ،90 .

4- أبو عودة، عودة خليل، 1405هـ - 1985م، التطور الدلالي، بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ص82.

والمفردة معجميا هي ذات استقلال تعارف عليه أبناء اللغة، ولا تخرج عنه إلا من خلال الظلال السياقية التي يرسمها ترابط المفردات في إطار الجملة بما ينسجم مع الدلالة الجامعة للنص، فمثلا لفظة كرسي في الأمثلة التالية: (كرسي الأستاذية)، (جلس على كرسي)، (محكوم عليه بالإعدام بالكرسي الكهربائي)، فكرسي تختلف من جملة إلى أخرى وفق المعنى المقصود في النص، ويرى (فيرث) أننا "نعرف الكلمة بالمجموعات التي تلازمها"[1]. ونقول: (بلغ مجمع البحرين)، أو (بلغ من العمر عتيا)، فعلى الرغم من معنى الوصول في (بلغ) إلا أن الأول وصول مكاني، والآخر زماني وهنا دليل على أهمية الموجهات للمعنى.

وفي إطار نحو الجملة "فإن الأصل في الجمل الانفصال والاستقلال، والأصل في المفردات الارتباط في التركيب، وكان لا بد من أداة تربط بين الجملتين نحو: (يحب زيد قيادة السيارات والمطر متساقط)، وهنا لا بد من أداة تربط بين الجملتين، وهي واو الحال، فحين تم الربط، أمكن القول بأن الجملتين صارتا جملة واحدة تؤدي معنى دلاليا واحدا"[2]. قال الرضي: "الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلا بد من رابطة تربطها في الأصل بالجزء الآخر"[3].

وإن هذا الاستقلال للجملة جاء في إطار النظر إلى الجملة كأكبر وحدة لغوية مستقلة، وحديثا كانت الجملة مدار رأي تشومسكي في مجال التوليد اللغوي فيرى تشومسكي أن القواعد النحوية الكامنة في المقدرة اللغوية العامة لدى ابن اللغة قادرة

1- ف.ر. بالمر، 1995م، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، جامعة عين شمس، دار المعرفة الجامعية، ص 145.

2- حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 141.

3- ابن الحاجب، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي، (570 – 646 هـ)، 1405هـ - 1985م، كتاب الكافية في النحو، شرح: رضي الدين محمد ابن الحسن الاستراباذي النحوي (686هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص91.

على إنتاج جميع الجمل والجمل فقط في اللغة. وهو بذلك يخص الجمل بحد ذاتها[1]. ويرى (بلومفيلد) أن "الجملة أكبر مقولة لغوية"[2].

إن حد الجملة هو المعنى الذي تؤديه وباكتماله يكتمل حدها قصرت أم طالت، "إنه لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم"[3]. وهناك الكلمة الجملة، والجملة المكونة من مجموعة مفردات معجمية تتحد فيما بينها بتركيب نحوي دلالي، لتكون معنى واحدا يسمى الجملة، والجملة في استقلالها أو ارتباطها مع الجمل الأخرى مرهونة بالدلالة الجامعة، ومؤثرات سياق النص. "فالجملة وحدة دلالية تؤدي معنى دلالياً واحدا، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في السياق"[4]. وهذا الارتباط والاستقلالية محكوم لفكرة النص؛ فالدلالة الجامعة في النص هي التي تتحكم بمعاني المفردات داخل الجمل وترابطها، وتتحكم بمعاني الجمل داخل المقاطع، وينتج عن ذلك الخطاب المنبهر، لأن المعنى ارتباط بين الكلمة والفكرة كما يرى سوسير[5].

إن المعنى الذي تؤديه الجملة في النص هو فرع على المعنى العـام للدلالـة الجامعة؛ فلا استقلال للجملة في إطار الفكرة العامة للنص، وإن أتت معنـى كـاملا شأنها شأن الحياة في تكاملها، قال تعالى: (يوسفُ أعرض عن هـذَا واسـتَغْفِري لِذَنبِكِ إنكِ كُنتِ مِن الْخَاطِئِين)[6]. هذه جملة ذات معنى مكتمل، لكنه اكتمال فرعـي في إطار النص القرآني وفي سورة يوسف بالذات بدليل الخطاب الموجه إلى يوسف عليه السلام، فما المسوغ لهذه الآية إذا نزعتها من سياقها العام؟ وإلام يحيـل اسـم الإشارة (هذا)؟ إنه الجو العام لنص القرآن في السورة، فهذه الآية بنية لغوية أساسية

1- بحيري، علم لغة النص، ص 90 .

2- المرجع نفسه، ص 137.

3- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 282.

4- حميدة، نظام الارتباط والربط، في تركيب الجملة العربية، ص 148.

5- لوشن، علم الدلالة، دراسة وتطبيق، ص 36 .

6- سورة يوسف، آية29.

في إطار النص، استوجبها المعنى كما أرادها الخالق لا كما أرادتها اللغة. وعلى ما تقدم فالجملة أنواع.

1.3.1 أنواع الجملة

الأولى: جملة نصية: وهي ذات دلالة نصية، تأخذ دلالتها من ارتباطها بالدلالة الجامعة للنص، وترتبط به ارتباط الجزء بالكل، إلاّ الجمل التي تحمل فكرة تامة مستقلة كما في الكتاب والسنة والأمثال والحكم وما شابه ذلك فهي بحاجة إلى تفكيك المعنى وتوضيحه وشرحه، والنص فيها منوي، وأشار فردينان دي سوسير إلى جانب من ذلك على اعتبار "أن عبارة ما هي أشبه ما تكون بمركز مجرة، أي النقطة التي تنصب فيها عبارات أخرى متقاطعة، يكون مجموعها غير نهائي"[(1)]. وهذه العبارة تعمل بشكل عكسي عن نمط بناء النص، ولكن في إعادة الصياغة لهذه العبارة توجيه لها في إطار نحو النص كالتالي: إن عبارة ما تحمل فكرة ما، أشبه ما تكون بمركز مجرة، أي النقطة التي تنفجر منها عبارات أخرى متقاطعة، يكون مجموعها نصا، فهذه الجمل التي تمثل نواة نص، وتحمل في داخلها طاقة انفجارية، تتكون من مجموعات من الأفكار الفرعية ومعاني الجمل البسيطة مما يستوجب على الذهن البشري إنتاج مجموعات كبيرة من الجمل النحوية الدلالية المترابطة لتأدية المعاني المشحونة بداخلها، وقوله تعالى: (إذ قَالَ يوسفُ لأَبِيهِ يا أَبتِ إِني رَأَيتُ أحد عشَر كَوكَبا والشمس والْقَمر رَأَيتُهم لِي ساجِدِين)[(2)]. يمثل جملة نواة انطلقت منها قصة يوسف عليه السلام، فكانت منبع الأفكار الفرعية (المقاطع) وتوليد الجمل في جزء كبير من السورة. وعلى ذلك فالجملة النصية نوعان:

جملة نصية توليدية: تحمل في داخلها طاقة دلالية كبيرة وتتطلب توليد مجموعات من الجمل لتأدية المعاني التي بداخلها، وهي الجملة التي تحمل فكرة أساسية أو أفكارا فرعية، نحو قوله تعالى: (إذ قَالَ يوسفُ لأَبِيهِ يا أَبتِ إِني رَأَيتُ أحد عشَر

1- سوسر، فردينان دي، 1984م، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان، ص 152.

2- سورة يوسف، آية4.

كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)[1]. وقوله تعالى: (لقد كان في يوسفَ وإخوته آياتٌ للسائلين)[2]. فالأولى تحمل معظم الحدث، والثانية تحمل أحداث قصة يوسف مع إخوته، فهذه جمل تحمل طاقة انفجارية توليدية، تستوجب استدعاء أو توليد الجمل النصية.

جملة نصية ساكنة: تحمل المعنى النصي في أدنى حدوده؛ أي غير توليدية، نحو قوله تعالى: (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبةٌ إنا إذا لخاسرون)[3].

النص لا ينتج وعلى أدنى مستوياته إلا بوجود أساس دلالي مترابط ابتداء من الجملة النصية إلى المقطع إلى الموضوع وانتهاء بالنص. أما الجملة غير النصية فيمكن إنتاجها نحويا بدلالة مقطوعة. وهي بذلك لا تكون وحدة النص الأولى، ولا تدرس في إطار النص. لأن الجملة النصية يجب أن تكون ذات دلالة جزئية من فكرة النص أو أحد موضوعاته، وقد تكون نصا بحد ذاتها. وهي محكومة بنوعين من النصية: نص موجود: يظهر من خلال الشكل اللغوي، فتتم معاينته ودراسته؛ أي وجود دلالي وتركيبي، ونص منوي، أي أن الجملة حين صياغتها تمثل معنى بسيطا من فكرة نص ماثل في نفس منتجها مفهوم لدى المتلقي. والجملة في النص المنوي يجب أن يتوفر لها المنتج بفكرته والمتلقي، والقصدية الواضحة حتى يتم التفاهم بين المنتج والمتلقي فتتم النصية، وإلا بقيت الجملة خارج إطار النص، فجملة النص المنوي بحاجة إلى سياق نصي مدرك بين طرفين: منتج ومتلقٍ، وتترابط الجمل النصية بطريقتين:

بيانية: أي بغير أداة، في حال وجود جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما بيان للأولى.

لفظية: أي بأداة، في حال وجود جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما تخالف الأولى.[4]

1- سورة يوسف، آية3.

2 - سورة يوسف، آية 7.

3- سورة يوسف، آية 14.

4- الزناد، نسيج النص، ص28.

ومن وجوه الخلاف التي تربط الجمل الواحدة بالأخرى:[1]

1) تعاقب في الذّكر و/ أو.

2) تعاقب على أساس السببية: النتيجة تعقب السبب.

3) تعاقب على أساس إضافة عنصر إخباري جديد.

4) تعاقب على أساس الترديد (وهو أمر يجري عادة بين متباعدين)

5) تعاقب يجمع نظريا هذه الوجوه كلها أو بعضها أو بعضها مع غيرها.

6) تعاقب على أساس البيان وهو أمر يكثر في الجمل الاعتراضية المفسرة.

الثانية: جملة غير نصية، وهي على نوعين:

جملة نظام مستقلة: وهي الجملة التي تمثل التركيب النحوي المستقل مقطوع الدلالة؛ أي تحمل معنى محدودا في ذاتها فقط ولا ترتبط بفكرة نص، كالجمل التي تستخدم في التعليم نحو: (قام زيد)، و (زيد قائم)، وما شاكلها.

جملة تركيب (شكلية): وهي جملة تمثل التركيب النحوي عديم الدلالة، ولا ترتبط بنحو النص -لأن النص مرتبط بالدلالة- نحو: (تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون بتهيج)، فهي مكونة من مسند، ومسند إليه، وفضلة: لكنها عديمة الدلالة والاستعمال، بعيدا عن الاستعمال البلاغي المغرق في الرمزية. فالجمل غير ذات الدلالة أو بلا معنى هي التراكيب الصحيحة نحويا ولكنها غير مستقيمة دلاليا[2].

وهناك من أعطى للدور النحوي التركيبي أثرا في البنية التركيبية النحوية الدلالية، وجعل المقام للشكل فرأى أن "تدمير العلاقات النحوية الصحيحة بين الألفاظ في سلسلة كلامية يؤدي إلى عبارة لا معنى لها إطلاقا، مثلا: جادة خرج عن..."[3]. وهذا تدمير دلالي في المقام الأول استخدم فيه التركيب النحوي.

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص56 .

2 - خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص 323.

3- أبو عودة، التطور الدلالي، ص 76.

4.1 الدور البلاغي في ترابط التركيب النحوي دلاليا

هناك أمر يخص التركيب النحوي والمعنى، وحصول الترابط على مستوى الجملة ثم النص، فإذا قلت: (شربت الشمس في وجهي)، أو (مضغت الماء)، فعند النظر إلى التركيب النحوي في مثل هذه الجمل نجده مكتملا، وإذا حاكمنا هذا التركيب منطقيا من حيث الدلالة نجده غير ممكن، فلا الشمس تُشرب ولا الماء يمضغ؛ أي أنها جمل شكلية عديمة المعنى، وهنا يتدخل فرع أخر في علوم اللغة (علم البلاغة) لينسجم التركيب النحوي مع الدلالة الجامعة، متجاوزين الأطر المنطقية في علاقة الارتباط بين المفردات على المستوى المعجمي، وهذا يعرف بنظرية (الاستعمال العدولي) كما يذكر تمام حسان ضمن ظاهرة لغوية واسعة هي نقل المبنى عن معناه إلى أخر[1]. مما يسوغ للأديب إهدار ما تقوم عليه اللغة من علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، واستخدام علاقات أخرى تربط اللغة بمعانيها بشكل منطقي مثل العلاقات البيانية. كالتشابه مثلا والسبب والمسبب وغير ذلك من العلاقات المسوغة لارتباط التراكيب بمعناها عقليا[2]. ومن هنا يفهم قوله تعالى (إني رَأيتُ أحد عشَر كَوكبًا والشمس والْقَمر رَأَيتُهم لِي ساجِدِين)[3]. وينسجم مع سياق النص العام. ومن هنا يبرز بشكل أكبر دور (الدلالة الجامعة) في ارتباط مكونات الجملة معجميا ونحويا ودلاليا ببعضها، وفي ارتباط أجزاء النص سواء كانت العلاقة المقصودة منطقية أم غير منطقية ظاهريا، فإذا صح المعنى المقصود تم التجاوز عن منطقية التركيب الدلالي إلى البحث في مسوغات ترابط أخرى، ولكن سلامة وصول الفكرة يتطلب سلامة التراكيب اللغوية وفقا لما اتفق عليه أبناء اللغة وما ثبت في قواعدها، التي هي بالنسبة للغة العربية صارت بحكم أثر القرآن الكريم ثابتة لا تغيير عليها، نظرا لثبات الدين الإسلامي في هوية الأمة واعتمادها القرآن الكريم المرجع الأساسي في لغتها.

1- حسان، الأصول، ص 372.

2- حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 84.

3- سورة يوسف، آية 3 .

إن ابن اللغة يستطيع ربط السياقات اللغوية وتفسيرها وفهمها بناء على المكتسبات اللغوية المعتمدة على المقدرة اللغوية، والمخزون الحضاري- كما يفهم التجوزات الشعرية (الضرورة الشعرية) ويجد لها مبررات وإن لم تبن على مبرر منطقي، إلا ما تم التعارف عليه لغويا بناء على منقولات اللغة وعلومها وما بني عليها من قواعد، ولحدس ابن اللغة دور في ذلك.

كما أن فهم الأثر الاجتماعي ضروري لفهم المعنى الدلالي، فالذي يقول لفرسه عندما يراها: (أهلا بالجميلة)، فمقام الكلام هنا يختلف عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته، فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض والاعتداد بها، أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف، فقد تقال في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير بالدمامة[1]. وكذلك ياء النداء نحو: يا سلام. فلها معان عدة وفق السياق.

فالعلاقة بين ما هو نحوي وما هو بلاغي علاقة تلازمية تبادلية؛ فما لا يستطيع التركيب النحوي المنطقي أن يقبله أو أن يقدم مضمونه للمتلقي بشكل واضح، فإن الجانب البلاغي يعمل على جسر هذه الهوة، فيكون أحدهما جسرا للآخر، يسمو أحدهما بالآخر من خلال فكرة لماحة يعمل الطرفان على إبرازها وضمن خطاب متكامل منسجم.

5.1 النص

1.5.1 المعنى اللغوي

النص: رفْعك الشيء. نَص الـحديث ينُصه نصاً: رفَعه. وكل ما أُظْهر، فقـد نُص. وقال عمرو بن دينار: ما رأَيت رجلاً أَنَص للـحديث من الزهري أَي أَرفَـع له وأَسنَد. يقال: نَص الـحديث إِلـى فلان أَي رفَعه، وكـذلك نَصـصتُه إِلـيه. ونَصت الظبـيةُ جِيدها: رفَعتْه. ونَص الـمتاع نصاً: جعلَ بعضه علـى بعـض. ونَص الرجلَ نصاً إِذ سأَله عن شيءٍ حتـى يستقصي ما عنده. ونص كـل شـيءٍ: منتهاه. وفـي الـحديث عن علـي، رضي الله عنه، قال: إِذا بلَـغَ النـساء نَـص

1- حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 342.

الحِقاق فالعصبةُ أولى، يعني إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك والغاية. قال الأزهري: النص أصلُه منتهى الأشياء ومبلغُ أقْصاها، ومنه قيل: نَصصتُ الرجلَ إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده، وكذلك النص في السير إنما هو أقصى ما تقدر عليه الدابة، قال: فنص الحِقاق إنما هو الإدراك، وقال المبرد: نص الحقاق منتهى بلوغ العقل، أي إذا بلغت من سِنها المبلغَ الذي يصلح أن تُحاقِقَ وتُخاصم عن نفسها، وهو الحِقَاقُ، فعصبتُها أولى بها من أُمها.[1]

ونص الشيء، رفعه وأظهره، يقال نصت الظّبية جيدها. ويقال نص الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدث عنه، والمتاع جعل بعضه فوق بعض. ويقال: نص فلان استقصى مسألته عن شيء حتى استخرج كل ما عنده. والنص صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف (مو)، وما لا يحتمل إلا معنى واحدا أو لا يحتمل التأويل، ومنه قولهم لا اجتهاد مع النص (مو)، و(عند الأصوليين) الكتاب والسنة، ومن الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه. يقال: بلغ الشيء نصه، وبلغنا من الأمر نصه: شدته[2]. ومن ذلك نجد المعنى اللغوي للكلمة يدور في فلك الظّهور والوضوح والتمام والإسناد وضم الشيء إلى الآخر، والشيء الواحد، وكلها من متطلبات النصية

2.5.1 تعريفات للنص

"ظهرت منذ النصف الثاني للستينات أولى المحاولات للانتقال من التحليل المقصور على الجملة إلى تحليل أزواج الجمل، وبذلك اتسعت القواعد التوليدية المستخدمة في النحو التوليدي لإنشاء الجمل، لتشمل قاعدة النص"[3]. وقد كان ذلك

1 - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (د.ت) 1414هـ-1994م، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، ج7، ص97، 98.

2 - أنيس، إبراهيم، وآخرون، 1392هـ 1972م، المعجم الوسيط، ط2، جزآن، القاهرة، 926.

3- فهيفيجر، فولفجانج هاينه من وديتر، 1419هـ - 1999م، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، ص23 .

بعد مقدمات من هيالمسلاف (Hielmsleve) وهاريس (Harris) فالأول عد النص قسما أكبر قابلا للتحليل، والثاني تجاوز الجملة وأهتم بتحليـل الخطـاب، وتوزيـع العناصر اللغوية في النصوص والروابط (Links)، والروابط بين الـنص وسـياقه الاجتماعي، ثم جاءت دراسة دل هيمز (Dell Hymes) 1960 الذي ركـز علـى الحدث الكلامي في مواقفه الاجتماعية ثم جاء فلاسفة اللغـة مثـل Ausin 1962، Searle ، ...ثم M.A.K. Halliday 1973 وزاد الاهتمام وظهرت أسماء جديدة مثل: Van Dijk، 1972 وغيره[1].

وكثر التعريف بالنص، واختلفت منطلقات التعريف به، فبعضهم انطلق من الشكل اللغوي وآخر من المعنى، وثالث جمع بينهما. فذهب برينكر (Brinker) مثلا في تحديده للنص: أنه تتابع مترابط من الجمل[2]. وهو بذلك ينطلق من الشكل اللغوي، ويرى (درسلر) أن النص هو "القول اللغوي المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته"[3]. وهنا لا اعتبار لطول أو قصر النص إلا باكتمال الدلالة، لكن الجملة ذات معنى جزئي مكتمل في إطار النص، فهناك فرق بين اكتماله في الجملة عن النص، فالنص تصور كلي للمعنى. ويجمله، درسلر (Derssler) في أن النص يتكون من البناء التالي: (T= S (+ K +T) T = نص.S = جملة ، K = رابطة). وهذا يعني انه من الممكن أن يتكون النص من جملة فقط أو من جملة + رابطة + نص، إذ يمكن أن يمتد النص بعد ذلك في إطار هذا النظام؛ أي يمكن أن يكون للنص معنى مغاير في داخل النظام نفسه، وهكذا يفهم النص على أنه مركب من عدة

---

1 - الفقي، صبحي إبراهيم،1421هـ - 2000م، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة، ج1، ص25 وانظر أبو زنيد، عثمان حسين مسلم،2004م، نحو النص (دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ص7.

2- بحيري، علم لغة النص، ص 103 .

3- المرجع نفسه، ص 104.

نصوص"[1]. إن كان تركيب النص يتكون من جملة ويمتد، إلا أن هذه الكيفية توحي بدور الجملة في تكوين النص، والأمر على غير ذلك، فالعقل البشري يولّد الفكرة الأساسية (الدلالة الجامعة) ويعمد إلى توليد الأفكار الفرعية تباعا، واحدة تطلب الأخرى على شكل متسلسلة منطقية (تناص منطقي)، وتستجيب لها اللغة بأساليبها وجمالياتها.

ويذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن النص وحدة دلالية ينجز في شكل جمـل متعالقة فكل متتالية من الجمل تشكل نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين عناصر هذه الجمل علاقات[2]. ومن تلك التعريفـات تعريـف هارتمان (Hartmann) الذي حد النص بأنه "علامة لغوية أصلية، تبـرز الجانـب الاتصالي والسيميائي"([3]). وفيه تقديم اللفظ على المعنى ولكنه يبرز الدور الاتصالي لما له من أثر في تكوين الخطاب عند المتلقي وخاصة في النصوص المنوية. أمـا هارفج (R.Harveg) فيرى أنه "ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص"[4].

وكيتس (kuts) وهو من أتباع تشومسكي، يقدم المعنى-الذي ظل مدة طويلة ذا قيمة محدودة في الوصف والتحليل اللُغويين- على مستويات اللغة الأخرى، فالمعنى هو ما يجعل اللغة لغة، وليست جوانب اللغة كلها إلا جوانب للمعنى، إذ تتجه الوظائف الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية إلى الوظيفة الدلالية، وبهذا يتشكل فهم تام ودقيق للغة[5]. ويرى سوينسكي، أن النص إبداعات لغوية يستدعيها واقع معين أو وجهة فعلية معينة ويجب أن تدرك في إطار هذه الخاصية على أنها أبنية للمعنى.[6]

1- بحيري، علم لغة النص، ص 110.

2- خطابي، لسانيات النص، ص 13.

3 - بحيري، علم لغة النص، ص 108.

4- المرجع نفسه، ص 108.

5- المرجع نفسه، ص 92.

6 - المرجع نفسه، ص 105.

أما شميت (S.J.shmidt) فقد حده بأنه جزء محدد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية)[1]. وهو من خلال التحديد يحصر النصية في الجانب الاتصالي فقط، ويعظم دور المتلقي، أما فاينريش (H.weinrich) فقد حد النص "بأنه تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا (Determination sgefuge)؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"[2]. وأما برينكر فقد جمع القالب اللغوي والقضايا والعلامات المنطقية والدلالية إلى الجانب التداولي في عدة توضيحات، فهو يرى (H.Brinker): أن النص تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل (لا تحتضنها) تحت أي وحدة لغوية أخرى (اشمل)[3]. فهو يعامل النص على أنه لصق لوحدات لغوية، تناص قسري، وكأنه يتعامل مع حدود الجملة ولا يبرز لنا دور الدلالة في تكوين العلامات اللغوية التي إذا أفرغ النص منها أصبح حجارة متناثرة لا معنى له سوى أنه حجارة سريعة الانهيار لخلوها من الملاط الذي يشدها إلى بعضها، فبعد وجود الفكرة الأساسية للبناء ورسم حدوده في عقل المصمم، يعمل ريشته في رسم الشكل، كما يقوم العامل برصف الأشكال الجميلة للبناء، وهكذا العلاقة بين الفكرة والشكل اللغوي علاقة تكاملية تراعي الترتيب المنطقي الضروري لبناء النص الذي يبدأ بالجانب الدلالي أولا، ومن ثم الشكل اللغوي على تخير من الألفاظ بما يناسب الدلالة الجامعة في النص. وفي تعريف آخر لبرينكر يعرف النص: "بأنه مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية، تترابط بعضها مع بعض، على أساس محوري -موضوعي أو جملة أساس، من خلال علاقات منطقية دلالية" وفي تعريف ثالث يرى إدخال عنصر التماسك التداولي للنص[4]. وهذا ليس بعنصر أساسي لتكوين النص؛ فتكوين النص

1 - بحيري، علم لغة النص، ص108.

2 - المرجع نفسه، ص 108.

3- المرجع نفسه، ص 109.

4- المرجع نفسه، ص110.

مرهون بالمنتج أو بفكرة المنتج -وكلاهما واحد- والوسط اللغوي. ومنهم من يرى النص "تتابع منتظم من قضايا ترتبط بعضها ببعض عن طريق تداخلها"[1].

أما لوتمان (Lotman) فقد رأى أن النص يعتمد على عدة مكونات:

التعبير. الجانب اللغوي.

التحديد: أي أن النص يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة.

الخاصية البنيوية: أن النص لا يمثل مجرد متوالية من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين حسب، فالتنظيم الداخلي لازم للنص[2].

وقد عرف درسلار وبوجراند النص بأنه "حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير وهي الربط، والتماسك، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية والموقفية، والتناص"[3]. وهذه العناصر كلها تفسيرات مابين الفكرة ومنتجها من جانب والوعاء الناقل لها من جانب آخر؛ أي الجانب اللغوي (الشكل) والجانب الدلالي، بدليل أنهما لم يشترطا توفر كافة العناصر المذكورة للنصية، فأهم عنصرين لقيام النص: المنتج بفكرته والجانب اللغوي.

ويرى فندايك (vandijk) "أن مهمة نحو النص القائم على أسس توليدية تحويلية هي صياغة القواعد التي تمكننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما ومن تزويدنا بوصف للأبنية، ومثل ذلك النحو النصي يعد إعادة تشكيل شكلية للثروة اللغوية لدى مستعمل اللغة، وإنتاج عدد لا نهائي لنصوص محتملة"[4]. وإذا كان توليد الجمل اللامتناهية ممكنا لأنها تأتي استجابة لتولد الأفكار فإن توليد النصوص اللامتناهية وحصرها صعب لارتباط النص بفكرة ما.

ويرى أجريكولا: أن النص يقوم على "الفكرة الأساسية أو الرئيسية التي تتضمن معلومة المحتوى الهامة المحددة للبناء في كل النص بشكل مركز

1- فيهفجير، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص48.

2- بحيري، علم لغة النص، ص 116- 117.

3- المرجع نفسه، ص 146.

4- المرجع نفسه، ص 157.

ومجرد"[1]. ويرى محمد مفتاح: أن النص" وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة"[2]. ويرى الزناد أن النص يحتوي الجملة وما يفوقها وما هو دونها[3]. وقاعدة الربط في النص عنده: "إذا توفر في أي نص جملتان أو أكثر ارتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطا بأداة أو بغير أداة"[4]. فالنص عند الزناد "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، ويمثل علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدال والمدلول"[5]. وعلى الرغم من هذه التعريفات لمفهوم النص إلا أنه لم يحدث إجماع على مفهوم النص[6].

ومما سبق، فالنص روح وجسد، روحه الدلالة، وجسده اللغة، ولا قيمة للجسد من دون الروح، ولا تدرك الروح من دون جسد، فالعلاقة بينهما تلازمية. إن النص هو اكتمال الدلالة الجامعة، باستخدام الشكل اللغوي المناسب، من الجملة النصية بمعناها البسيط على تخير من الألفاظ إلى المقطع كفكرة فرعية أو جزئية في النص إلى الموضوع أو الموضوعات النصية إلى النص بتمام الفكرة (الدلالة الجامعة). قال تعالى: (الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُم الإِسلاَم دِينًا)[7]. فقد اكتملت فكرة الإسلام بلسان عربي مبين.

3.5.1 النص تولد للأفكار وتوليد للجمل

الجمل تتولد من المقدرة اللغوية العامة المعتمدة على قواعد عامة لدى ابن اللغة، ينتج منها جملا لا حدود لها، ولكن كيف تُكون وتترابط لتنتج جملا نحوية

1- بحيري، علم لغة النص، ص 50 .

2- مفتاح، محمد، 1996م، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1. ص15.

3- الزناد، نسيج النص، ص 16.

4- المرجع نفسه، ص 28.

5 - المرجع نفسه ، ص12.

6- فيهفجير، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 238 .

7- سورة المائدة، آية3 .

دلالية؟ أعتقد أن ابن اللغة لا يستطيع إنتاج جملة واحدة مفيدة دون أن يكون لها أساس من الدلالة كلها أو جزء من معناها. ولكن من الممكن تركيب جمل نحوية عديمة الدلالة. فالدلالة أساس للبناء اللغوي إذ "لا يوجد تركيب نحوي عميق فالتركيب العميق الوحيد هو علم الدلالة"[1]. والمبدأ المشهور القائل: "إن القواعد التحويلية لا تؤثر في المعنى"[2] على ما فيه من إغفال لدور اللغة فإنه يدعم دور الدلالة في توليد النصوص، ولذلك فالنصوص لا يمكن إنتاجها بطريقة مجردة عن الدلالة، مما يجعل النص بعيدا عن العبثية اللغوية من قبل النحاة. وعظم المعنى يسمو بالمبنى.

إن توليد الجمل ناتج عن تولد الأفكار الكبرى والفرعية والمعاني الجزئية المرتبطة بالدلالة الجامعة، وتوليد المزيد من الجمل يتطلب التداعي الحر للأفكار أولا، وكل فكرة أساسية لها موضوعات (أفكار فرعية كبرى) وأفكار فرعية جزئية متممة لها، تحتوي على معانٍ متعددة بسيطة على مستوى الجملة النصية، وبسعة الفكرة وعظمها، ومدى إرادة صاحبها في الإيضاح، يرتبط صوغ الجمل وتوليدها، فالجمل توليد مقيد من المقدرة اللغوية المختزنة عند منتج النص لا حد لها إلا بتوقف التوالد الحر للأفكار والمعاني الجزئية، وهذا مدار تساؤل (فندايك) عن الكيفية التي تحتم أن يبدأ توليد نص ما من فكرة أساسية ما، تتطور بصورة تدريجية إلى معان تفصيلية تنبسط أو تمتد إلى أبعاد نصية جزئية بطول الجمل[3].

وأشار دي سوسير إلى التداعي أو الإيحاء، إذ يرى أن الكلمة تثير كلمات أخرى بالتّداعي والإيحاء، حتى لو كانت هذه الكلمات خارج الخطاب وتتسم بشيء مشترك، فتعلم تجعل قافلة كلمات تنبثق عنها، وتسليح لها مدى آخر يختلف عن الأول، وموضوعها إنما هو الدماغ وسماها العلاقات الترابطية[4]. فالتداعي والإيحاء لكلمة تعلم مثلا: تتوارد معها على الذهن كلمات أخرى مثل: تربية، ومعلم، وعلم،

1- بالمر، علم الدلالة، ص 230.

2- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص 169.

3- بحيري، علم لغة النص، ص 83.

4- فردينان، محاضرات في الألسنية العامة، ص 150.

ومدرسة، وامتحانات، وغيرها مما يشترك معها في وجه ما[1]. وهذا تداع على مستوى الشكل اللغوي المفرد، أو جملة النظام، ولا يرقى إلى التداعي النصي. لأن النصوص تولد من رحم الدلالة الجامعة لا الاشتقاقات اللغوية المفردة. كما أن جمع أفكار جزئية لا يربطها جامع دلالي، وربطها معا بأدوات اللغة لا تشكل نصا، فلا تستطيع أدوات الاتساق اللغوية أداء الدور الوظيفي الترابطي في المكون التركيبي من دون دلالة جامعة. لأن الدلالة هي من يولّد النصوص بما فيها الأفكار الفرعية، وتُكسب المفردات ظلالها، وهي التي تعطي لأدوات اللغة دورها في أداء وظيفتها الترابطية، بدليل أننا إذا تحدثنا عن إجراء عملية جراحية لا نستدعي مجموعة المعاني أو الأفكار الجزئية عن الحب العذري، ولكن يتفتق العقل البشري عن موضوعات أو أفكار تخص الجراحة بجميع تداعياتها، والحديث عن التعليم يستدعي أفكارا عن التعليم ومجالاته وأهميته وأثره، ويقوم العقل باختيار الشكل اللغوي المعبر عن ذلك بالتداعي المقيد، وإذا كانت القواعد التوليدية والتحويلية في النظرية الألسنية النموذجية تتكون من ثلاثة: المكون التركيبي والمكون الدلالي، والمكون الفونولوجي[2]. فالمكون الدلالي هو المكون التوليدي الوحيد لا المكون التركيبي.

التوليد اللغوي للجمل وظيفي ناتج عن تولد الأفكار تباعا وانسجاما مع الدلالة الجامعة للنص، عن طريق التداعي المقيد "فإن المعنى الكلي للنص، أكبر من مجموع المعاني الجزئية للمتواليات الجملية التي تكونه، ولا تنجم الدلالة الكلية له إلا بوصفه بنية كبرى شاملة... والنص ينتج معناه إذن بحركة جدلية أو تفاعل مستمر بين أجزائه"[3].

وإن كان النص تواليا من الحالات فهو توالٍ نابع من فكرة جامعة، والأفكار أساسية وفرعية في النص، والفرعية تحمل معاني، وكل معنى يقدم بشكل لغوي معين، ابتداء من الجملة، والجملة ترتبط بالأخرى وفقا لتسلسل الأفكار، وتخضع

1- لوشن، علم الدلالة،دراسة وتطبيق، ص 120.

2- زكريا، ميشال، 1405هـ - 1985م، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص 115.

3- بحيري، علم لغة النص، ص 75.

الأفكار لاعتبارات عدة منها النفسي والاجتماعي ومؤثرات أخرى، "والعوامل النفسية (Psychological Factors) أوثق علاقة بالنص منها بالجمل"[1]. ويرى بارت أن النص عملية إنتاجية تتشكل من أصداء اللغات والثقافات الأخرى، وأنه نسيج توليدي تتدخل فيه الذات المبدعة[2]. -ثم يتكون المقطع الذي يعتبر بدوره فكرة جزئية داخل النص، ويتطور بناء النص فترتبط المقاطع (الأفكار الفرعية) مع مقاطع أخرى ضمن روابط لغوية بيانية ولفظية "فمعنى أي تعبير ما هو إلا مجموع علاقات المعنى القائمة بينه وبين التعابير الأخرى"[3]. وهكذا تتوالى الجمل والمقاطع تبعا لتوالي توالد الأفكار، وتترابط لتشكل الموضوعات النصية، إذا كان النص يتكون من أكثر من موضوع، "فالنصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل"[4]. إلى أن تتم الفكرة نصا فيتوقف القلم بعد ذلك عاجزا عن صوغ الجمل المفيدة.

4.5.1 الموضوع النصي

في النصوص الكبرى دلالة جامعة كبرى (الفكرة الأساسية) ومنها تتولد أفكار فرعية كبرى تربطها بالفكرة الأساسية روابط لغوية دلالية كالإحالات، فتجعلها مفتقرة لغيرها لتمام دلالاتها، كاحتياج مفهوم الإيمان أو الصبر في سورة العصر لتمام معناه الذي توضحه آيات أخرى كثيرة في نص القرآن الكريم، ونجد الألفاظ التي تعبر عن هذا المفهوم أو غيره من العناصر الإشارية المفتقرة للتوضيح ترتبط بعناصر لغوية إحالية تحيل المتلقي إلى مواضع التمام في مواطن أخرى من النص، وبذلك تُعد الفكرة الفرعية الكبرى في النص موضوعاً نصياً داخل النص العام.

1- بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص92 – 93.

2 - بارت، رولان، (1992) لذة النص، ترجمة: منذر عياشي، ط1، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ص109.

3- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص62 .

4- بوجراند، النص والخطاب والإجراء ص93

أما الفكرة الفرعية الصغرى (الجزئية) فهي من متممات الفكرة الفرعية الكبرى كالأفكار الجزئية في قصة يوسف عليه السلام، والقصة بحد ذاتها فكرة جزئية رئيسية في سورة يوسف لأن السورة جاءت إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في معرض دعوته لمشركي مكة. ودليل ذاك الإحالات اللغوية، في قوله تعالى: (نَحن نَقُص علَيك أَحسن الْقَصص بِما أوحينَا إِلَيك هـذَا القرآن)[1]. فأحال ضمير الخطاب على الرسول الكريم محمد في (إِلَيك) وهو متلقي الخطاب، والقصة جزء من نص القرآن بدلالة الإحالة في قوله تعالى: (بِما أوحينَا إِلَيك هـذَا القرآن). فاسم الإشارة يحيل على القرآن الكريم موضع النصية الكاملة، وبعد انتهاء القصة عادت الإحالات إلى سيدنا محمد عليه السلام، وأحالت بعض آيات السورة نصيا على عناصر إشارية في عموم نص القرآن، وأحالت إحالات مشتركة.

5.5.1 تشكل النص

بتأثير العامل الدلالي تترابط المفردات الوادة مع الأخرى، بتخير وظيفي دلالي من منتج النص، وتعمل الروابط اللغوية اللفظية والبيانية على إبراز هذا الترابط في الجملة، ومنها المقابلات ذات الارتباط كما اسماها بالمر[2]. فالشراء يتطلب البيع مثلا. وأهم عناصر الاتساق في تشكل النص الإحالات، وهذا الترابط أو التعالق يتطلب ارتباط الموجهات في الجملة مع مركز الجملة لتوجيه الدلالة، وخاصة الفعل؛ لأنه لا يقوم بذاته خلافا للاسم، وبصورة عامة ترتبط الموجهات مع المركز الدلالي في الجملة بتأثير فكرة النص. وتزداد أهمية وجود الموجهات في الجملة النصية عن غير النصية؛ لارتباطها بالعامل الدلالي النصي.

تتكون الجملة النصية من جملة فرعية واحدة أو أكثر، والجملة الفرعية تتعالق مع الأخرى بروابط لغوية، وتتعالق الجمل النصية مع بعضها بروابط لغوية بيانية ولفظية، واللفظية أكثر؛ لأن أثر الروابط اللفظية (عناصر التماسك) أبعد مدى من الروابط البيانية، فالاتساق النصي يعتمد على العناصر الاتساقية التي يتعدى مجال

1- سورة يوسف، آية، 3 .

2- بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ص، 126.

عملها حد الجملة، ومن الجمل تتشكل المقاطع، ويمثل كل مقطع فكرة فرعية على الفكرة الأساسية أو على فكرة الموضوع، وتترابط المقاطع مشكلة النص، وإذا كان النص يتكون من أكثر من موضوع نصي، فلا تكون الموضوعات فيه مستقلة عن فكرة النص العامة، وفيها عناصر اتساقية إحالية تعود على عناصر إشارية في موضوع واحد آخر على الأقل من موضوعات النص الأخرى أو إحالات مقامية على الذات المنتجة للنص، كعامل إحالة رئيسي في النص، ومشترك للموضوعات المتعددة، والموضوعات تتعالق بأثر الدلالة الجامعة، ولغويا من خلال عناصر الاتساق اللغوية، وخاصة الإحالات المقامية والنصية، فيتشكل النص اللغوي المتسق خطابا منسجما، فالنص وحدة دلالية يؤديها الشكل اللغوي بروابطه المختلفة، وإذا أخذنا نص القرآن معيارا للتطبيق نجد النص المتسق المنسجم على النحو التالي:

أولاً: الدلالة الجامعة (الفكرة الأساسية): وهي الدين الإسلامي.

ثانيا: الموضوع: قضية أو موضوع من موضوعات الدلالة الجامعة - إن تَكَون النص من موضوع أو أكثر، كسور القرآن.

ثالثا: الفكرة الفرعية: هي جزء موضح ومتمم لفكرة الموضوع وتكون على شكل مقطع أو مقاطع في الموضوع.

رابعا: الجملة النصية: وهي الوحدة الأساسية للنص بنوعيها: التوليدية والساكنة، وتتكون من نوعين من التراكيب:

الجملة البسيطة: وتتكون من نواة إسنادية وموجهات بشرط أن تكون مكتملة المعنى.

الجملة المركبة: وتتكون من نواة إسنادية رئيسية تندرج فيها نواة إسنادية فرعية أو أكثر[1]. باعتبار أن حدود الجملة اكتمال معناها.

خامسا: الكلمة: وهي المكون اللغوي الأساسي للجملة، وتُنتقى وفقا لسياق الجملة النصية.

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص، 36.

إن شرط هذا التسلسل أن يبدأ من الأعلى؛ أي من الدلالة الجامعة للنص فلا يكون النص إلا إذا كان ذا دلالة جامعة تحكم نسيجه، أما على صعيد الشكل اللغوي للنص فيبدأ من الجملة بتخير وظيفي للمفردة وفق السياق، ثم المقطع إذ نظر إيزنبرج إلى السمة النصية العامة؛ مثالية التعبير على أنها، "تعاقب أفقي متناسق لوحدات لغوية مترابطة تقوم على أسس محددة من حيث التسلسل"[1]. فالمباني تأتي لخدمة المعاني ولا تفهم المعاني إلا بالشكل اللغوي. فالفكرة للنص كالروح للجسد. وكم هي جملية المعاني إن ارتدت بديع خلق الله.

6.5.1 أنواع النص

بناء على أهمية الدلالة في تكوين النص، فإن النصوص على نوعين:

نص موجود: وهو النص الذي تم إنتاجه على صعيد الشكل اللغوي بكل مقوماته اللغوية، وعلى أساس الدلالة الجامعة، بغض النظر عن تداوله.

نص منْوي: وهو النص الموجود بكل الدلالة وبعض الجمل النصية. فيدرك كلّه من بعضه. ويشترط فيه ثلاثة شروط: القصدية على تفاهم بين المنتج والمتلقي، كشخص ينوي الخروج من بيته للعمل ويسأل: ما حال الطقس؟ أو يجيب من سأله: الطقس مناسب. فهي جملة تأتي في إطار فكرة فرعية في إطار موضوع الذهاب للعمل ومدى توفر الجو المناسب إلى غيره من فرعيات الموضوع التي إن أراد إظهارها نصا ملفوظا أو مكتوبا احتاج إلى وقت طويل. فالفكرة الأساسية منوية والجملة المذكورة تدور في إطار الفكرة أو إحدى فرعياتها، والطرفان المنتج والمتلقي على وعي بالمضمون العام، فأغنى التلميح ببعض جمل النص عن التصريح بكله، وأغلب النصوص المنوية في المسموع المتداول. وأشار صلاح فضل إلى الأبنية النظرية التجريدية، إذ يرى أن المتكلمين يدركون قواعدها النصية ويستخدمونها على نحو ضمني وينحرفون عنها في إنتاج الجمل خاصة في الخطاب اليومي الشفوي، وهذا الانحراف يمكن أن ينتج النصوص وعن قصد.[2]

1- فيهفجير، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 25 .

2 - فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص255.

النص مكتوب أو ملفوظ، إلا أن التعامل مع المكتوب أيسر وأدق علميا، ومن هنا فالجمل والعبارات القصيرة التي نستخدمها في الاستعمال اليومي المنضبط جزء من نصوص منوية وإن لم تكن في نصوص مكتوبة أو ملفوظة بتمامها، وفي ذلك يرى جون لاينز أن "النصوص مدونة كانت أو محكية، يتم تركيبها عن قصد من قبل مؤلفيها على هيئة وحدات كاملة متميزة ذات بدايات ونهايات محددة، وإن معظم النصوص التي نطلقها في استخدامنا اليومي للغة ليست منظمة في نصوص متكاملة حسب هذه الطريقة"[1].

7.5.1 معايير النص

لتحقيق النصية وضع درسلر وبوجراند معايير سبعة للروابط النصية بها يتحقق النص وهي: **الربط النحوي**: ويعنى بربط مكونات النص السطحي، ثم **التماسك الدلالي**: وهي الوظائف التي تتشكل من خلالها مكونات عالم النص. **والقصدية**: هدف النص، **المقبولية**: وتتعلق بدور المتلقي وقبوله بترابط النص. **الإخبارية**: أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدم توقعها. **الموقفية**: وتتعلق بمناسبة النص للموقف. **التناص**: أي تبعية النص لنصوص أخرى أو تداخله معها ولا يشترطان توفر كافة العناصر في كل نص[2].

ويجب أن يتوفر في النص معيار الصدق الحقيقي أو الفني حتى يستطيع المنتج تكوين النص، فالسمة الأساسية الرابطة للنص وجود الدلالة أولا، وقيام الفكرة في النص يتطلب الصدق، بخلاف الجملة التي يسهل تكوينها من دون دلالة وعدم الحاجة لمعيار الصدق فيها، وأضاف فولفجانج معايير هي بمثابة شروحات لمعايير درسلر وبوجراند ومنها **التناسق**: ترابط العلاقات الدلالية أي المضمون. وأضاف **المعلوماتية**: وتتعلق بمقدار المعلومات في النص، لأنها توجه اهتمام السامع، فالحد المتخصص يؤدي إلى الملل ورفض النص، والحد المرتفع يؤدي إلى إجهاد المتلقي والانصراف عن مثل ذلك النص، فالمقدار المناسب يؤدي إلى التواصل وبالتالي

1- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص 187.

2- بحيري، علم لغة النص، ص 146.

النصية، ومنها حالة الموقف، إذ إن معنى النص واستخدامه يتحدد أصلا من خلال الموقف، وتداخل النصوص[1]. إلا أن هذه المعايير النصية تقع بين عاملين أساسيين في تكوين النص: المنتج بفكرته، والوسط اللغوي الناقل ثم المتلقي في حال التداولية ومنها النصوص المنوية، وبعيدا عن التفصيلات، فإن عوامل تشكل النص تنحصر في المنتج بفكرته واللغة، وكل العوامل الأخرى تأتي استجابة لذلك، وبدرجات متفاوتة. واللغة بأساليبها وأهمية دورها؛ فهي فعل المنتج، وأما المتلقي فالنص قائم من دونه وإن كان هدفا للنص.

8.5.1 العوامل الأساسية في تكوين النص وانسجامه

1.8.5.1 المنتج بفكرته (الدلالة الجامعة)

إن العلاقة بين الفكرة ومنتجها علاقة تلازمية وقد تم التفصيل عن الفكرة (الدلالة الجامعة) سابقا. أما المنتج لها فيبين الجرجاني دوره قائلا: "قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفسه إلا بترتب الألفاظ في سمعه ظن عند ذلك أن المعاني تبع للألفاظ، وإن الترتب فيها مكتسب من الألفاظ ومن ترتبها في نطق المتكلم، وهذا ظن فاسد ممن يظنه فإن الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع"[2]. إلا أن استثناء المتلقي من الدور في إنتاج النص لا يعني استثناءه من ترتيب المعاني وربطها وذلك بتأويلها وفقا للفهم المتحصل له من مجموع المعطيات عن النص، تحت ما يعرف بالانسجام.

كل نص لدى المنتج خطاب، فهو منتج الدلالة الجامعة، والأفكار الفرعية، والمعاني الجزئية لديه واضحة مترابطة لا حاجة لها بالتأويل وعمليات الانسجام، لا شك أن منتج النص هو صاحب الفكرة تحت أي شكل من أشكاله، وهو من يضع للنص تماسكه على المستوى الدلالي واللغوي، فالمبدع يودع الانسجام في نصه على

1- فيهفجير، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 93- 95.

2- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص، 321.

رأي (هيرش)[1]. والمنتج موضع الإحالة المقامية بالدرجة الأولى، والأساس الأول في بناء النص وانسجامه، وبعد ذلك يأتي دور المتلقي بمعرفته وبوحي من الترابط اللغوي ومعرفة الجو العام للنص وطرق الانسجام، يقيم خيوطا للترابط حسبما يفهم، فينتج خطابا آخر بروح النص الأساسي.

ليس شرطا للنصية أن يعيد المتلقي إنتاجه أو فهمه بطريقته الخاصة غير ما يريد المنتج، وإلا لكان شرط المتلقي أن يكون ناقدا مفكرا ومخالفا، فالمتلقي الذي لا يتدخل في انسجام النص يعد متلقياً. فتكوين النص لا يتطلب موافقة أو قبول المتلقي ولا يخضع لرغبات التحليل، وإن كان المتلقي أحد أهداف تكوين النص، إلا أن أهم ركيزتين له المنتج بفكرته والوسط اللغوي. فعامل الإحالة الرئيسي الذي يحكم النص "أدناها أن الملفوظ عندما ينجز، إنما يحيل دائما على المتلفظ من حيث ينجزه، ذلك أن الجامع الأساسي في النص هو ذات المتلفظ، إذا يمثل الحقيقة الفيزيائية القارة التي يصدر عنها النص. ويحيل النص على المتلفظ بوسائل الإحالة اللغوية (المضمرات)"[2].

2.8.5.1 اللغة

الأفكار من معنى الجملة إلى الدلالة الجامعة للنص، تبقى حبيسة الذهن البشري إن لم تجد الوسط الناقل لها بأشكاله المختلفة: المكتوبة أو الملفوظة أو الإشارية (الإيماء) بأشكالها، فتترجم من أفكار حبيسة إلى نصوص، باستخدام الشكل اللغوي المناسب، وفي ذلك تفصيل في ثنايا البحث.

3.8.5.1 المتلقي

يبنى المنتج النص بالوسيلة اللغوية المناسبة، إما بهدف الإنتاج فقط، أو ليصل إلى المتلقي؛ الهدف الوظيفي، فيجد المتلقي نفسه أمام نص أو خطاب متسق، وقد لا

---

1 - الرواشدة، سامح، 2006م، في الأفق الأدونيسي– دراسة في تحليل الخطاب الشعري، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص10 .

2 - الزناد، نسيج النص، ص 124 - 125 .

توظف فيه وسائل الاتساق، وإنما توضع الجمل بعضها إلى جوار بعض دونما أدنى اهتمام من الكاتب بالروابط التي تجسد الاتساق. "على أن هذا النوع من الكتابة تمليه حينا ضرورات تواصلية (التلغراف، الإعلانات الحائطية) أو تجارية، وعلى المتلقي في هذه الحالة أن يعيد بناء انسجام النص الممزقة أوصاله"[1]. ومنها مقصدية إبداعية ابتكارية كما في الشعر الحديث، والنص لدى المتلقي على نوعين:

الأول: نص لا يحتاج إلى تأويل، فهو خطاب تام، فمتلقي النص يأخذ به كما هو ولا يتدخل فيه سلبا أو إيجابا، ولا يوجد عنده للنص مغاليق يحلها، فإن لم يخف على المتلقي من النص شيء فهو خطاب تام؛ لأن النص مدرك تماما من دون الحاجة إلى النظر في ظروف إنتاجه لفهمه، ولا يحتاج إلى التأويل لفك مغاليقه، أو بعبارة أخرى لا يحتاج إلى عمليات الانسجام فهو منسجم في ذهنه في كليته.

الثاني: نص يحتاج إلى تأويل: إذا تدخل المتلقي في النص باستخدام آليات الانسجام لفهمه، وفك ما استغلق عليه، وهذا يدخل النص إلى باب التأويل، إما بقصد متعمد من منتجه وإما لطبيعة النص الاتساقية؛ أي قلة عناصر الاتساق في النص، مما يسمح بتدخل المتلقي في فهم المعاني وتوجيهها كما يقع له من فهم بالتأويل، ومن هنا يمثل القرآن خطابا تاما في عمومه، لأنه يفسر بعضه بعضا، ويشكل عند المتلقين كلا النوعين: نص لا يحتاج إلى التأويل في الأصول التي لا اختلاف عليها ولا اجتهاد فيها، وفي الفقه نص يحتاج إلى التأويل بقصد من منتجه سبحانه وتعالى، لأنه وضعه لكي يناسب كل زمان ومكان.

إن عدم وجود أدوات الاتساق في النص في مستوى معين يفقد النص ترابطه ولا يعد نصا، ولكن عدم وجود أدوات اتساق لفظية لا يعني انعدام عوامل الاتساق، فهناك عوامل أخرى تعمل على اتساق النص، منها ما يعرف بالروابط البيانية على مستوى الجملة، وأشكال أخرى من أدوات الاتساق كالعامل الصوتي مثل: النبر أو التنغيم في النداء، ولعل التعجب والاستفهام في مثل: (ما أجمل السماء)، دليل على أثر الجانب الصوتي، أو الأثر الدلالي للصوت في ترابط النص وقد وضع علماء

1- خطابي، لسانيات النص، ص 5.

اللغة ما يدل على معرفة الناحية الصوتية من علامات الإعراب والترقيم، وهناك العامل الأساسي لوجود الترابط في النص وهو الجامع الدلالي؛ فكرة النص الأساسية.

إن النص إبداع فكري يتيح المجال أمام القارئ للتحليل والتفسير، استرشادا بالشكل اللغوي المتعارف عليه، وقد يقوم القارئ بلي أعناق النصوص بتحميل النص أو ألفاظه معاني غير ما وضعت لها، وذلك بسبب من تقديم أو تأخير أو حذف أو عودة الضمير، وما أشبه ذلك من تأويلات أهل اللغة والمناطقة وهذا من مسوغات مقولة علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا.

والخطاب المؤول يولد من رحم النص يحمل صفاته وسماته الأساسية وخاصة الناحية الدلالية الجامعة (الفكرة الأساسية)، إلا أنه قد يتغير في بعض تفصيلاته بقصد من المنتج وظروف أخرى، فيتنوع الفهم لدى المتلقي ويبرز دور التأويل، إذ يقوم المتلقي بتوليد الخطابات المتعددة من النص الواحد "وعندئذ يصبح النص ثابتا والخطاب متحركا"[1]. لاختلاف أفهام المتلقين، لكن يبقى النص يشكل لدى منتجه خطابا.

إن القرآن نص، سواء اطلعنا عليه أم لم نطّلع، قبلنا به أم لم نقبل. فشرط النصية أمران أساسيان: الفكرة بمنتجها والوسط اللغوي أيا كان. فالنص لدى المنتج خطاب، أما لدى المتلقي على نوعين كما أسلفت. فجدلية متى يكون العمل المنتج نصا أو خطابا تعود إلى طبيعة المتلقي واللغة بأدواتها وقصدية المنتج. لكن النص في أصل الوضع يساوي الخطاب، أو هو هو.

9.5.1 تظافر العوامل في انسجام النص

إن العوامل الأساسية من منتج ووسط لغوي كافية لإنتاج النص، لكن في ظل الحاجة التداولية للنص وبعض أشكاله يصبح بحاجة لعوامل أخرى تقوم بتفعيله لتأدية الوظيفة التداولية، كالمتلقي وعوامل الاتساق والانسجام التي يستخدمها، وخاصة في

1 - الرواشدة، في الأفق الأدونيسي، ص 24.

النصوص الأدبية والفكرية، التي تستوعب التأويل وإعادة التشكيل، (انظر في ذلك: لسانيات النص تأليف محمد خطابي). بينما النصوص العلمية الجامدة التي استوفت البحث والتطبيق وأصبحت حقائق مسلما بها لا تحتاج أكثر من إضافة دور المتلقي كمتلق محايد وليس بالضرورة.

إن تظافر أكثر من عامل يؤدي الانسجام وليست عاملا واحدا، فوحدة الفكـرة وظروف وطبيعة المنتج والوسط الناقل للنص، والمتلقي وطبيعته، كـل ذلـك بمـا تنطوي عليه التفصيلات، يؤدي إلى انسجام النص. "فالتماسك النصي لـيس مجـرد خاصية تجريدية للأقوال، ينبغي أن نعالجها في علم الدلالة أو في نظرية الخطاب أو في نحو النص، ولكنه ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي، تتدخل فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية"[1]

إن انسجام النص وترابط أجزائه يعتمد أولا الناحية الدلالية، ثم اللغوية بأدواتها المختلفة، إذ تعمل علوم البلاغة على ربط ما يبدو غير منسجم منطقيا، مرورا بالجانب الصوتي والنحوي والصرفي، فالتركيب النحوي نظام من المعاني والعلاقات التي لا تجد تعبيرا شكليا عنها إلا فيما يقدمه الصرف من خلال المباني والقرائن اللفظية[2]. وكل ما تعارفت عليه الجماعة اللغوية من ضوابط لغوية تعمل بتوجيهات الجانب الدلالي.

النص بجميع مكوناته يتعالق كل بتأثير الآخر، ابتداء مـن المفـردة، مـرورا بالجملة، فالمقطع، فالموضوعات، وانتهاء بالنص، وتعمل المؤثرات اللغويـة علـى جميع مستوياتها في تشكيل بنية النص الأساسـية، وتـدخل العوامـل الاجتماعيـة والتاريخية في إطار الزمان والمكان، والعوامل الذاتية الفكريـة والنفـسية للمنـتج، وكذلك ظروف المتلقي الخارجية والذاتية في بناء النص وانسجامه وإعادة إنتاجه من جديد، كما يظهر من التفسيرات المتعددة لبعض المقطوعات أو النصوص الـشعرية وغيرها. ومن منظور علماء اللغة الاجتماعيين فإن النقاد ربطوا الـنص بظروفـه

1- فضل، بلاغة الخطاب, ص 340

2- حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 135.

الاجتماعية وعرفوا النص بأنه "بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع: اجتماعية وتاريخية وثقافية"[1].

لا بد من الترابط بين الشكل والمضمون، بين الدال والمدلول؛ فالدلالة عند فردينان دي سوسير "عبارة عن العلاقة التي تربط الدال والمدلول داخل العلاقة اللسانية، ومن خواص هذه العلاقة أن يكون بين الدال والمدلول كمال الاتصال. وأن أحدهما يقتضي الآخر ويؤذن به فتصور كل منهما مرهون بصاحبه فلا يكون الدال دالا حتى يكون له مدلول"[2].

10.5.1 نموذج إنتاج النص[3]

تشكيل الأفكار: وجود الأفكار وتشكيل المضمون من الداخل مع الهدف.

التخطيط: اختيار نوع النص الذي تقدم من خلاله الفكرة.

التطوير: ويشمل ترتيب المضامين داخليا من الذاكرة والبحث عن مجالات العلم المخزنة (knowledge spaces) لتخصيص الأفكار وتوسيع مجالها مقارنة بتوسع موضوع النص.

العبارة: وهي الشكل اللغوي الذي يصلح لتنشيط المضمون الذهني ويتضمن تفضيل عبارات على أخرى.

التركيب القواعدي: وفيه توضع العبارات في علاقتها القواعدية النحوية الدلالية، ويتم ترتيبها أفقيا في بنية النص السطحية. ورد هذا الترتيب عند فولفجانج وتم التعديل عليه بما يناسب تشكل النص كما ترى الدراسة.

11.5.1 الفروق الجوهرية بين النص والجملة

الفروق الجوهرية بين النص والجملة كما يراها روبرت دي بوجراند[4]:

---

1 - يقطين، سعيد،2001م، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، ط2،الدار البيضاء، وبيروت، المركز الثقافي العربي،ص12.

2- لوشن، علم الدلالة، دراسة وتطبيق، ص 27.

3- فيهفجير، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 91- 92 .

4 - بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص91- 93.

النص نظام فعال (System actual) على حين نجد الجمل عناصر في نظام افتراضي (Virtual system).

الجملة كيان قواعدي (Grammatical) خالص يتحدد على مـستوى النحـو فحسب. أما النص فحقه أن يعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصية (Textualtty).

إن قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النص يمكن أن يتم التغلب عليها (be Overildin) بواسطة الاهتمام بتحضيرات تعتمد علـى سـياق الموقف (Contet-pepen bent motiva).

التمييز بين ما يطابق القواعد (Grammatical) وما لا يطابقها تمييز تقـابلي ثنائي (Binary-opposition).عندما يكون ثمة قواعد دقيقة وكاملة تضبط الجمل.

النص تجل لعمل (Action) إنساني ينوي به (Intends) شخص أن ينتج نصا ويوجه (Instructs) السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنـواع مختلفـة... وليست الجمل عملا، وبهذا كانت ذات أثر محدود في المواقـف الإنـسانية، لأنهـا تستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية فحسب.

النص توالٍ (Progression) من الحالات، والتي بعدها.

إن الأعراف الاجتماعية (Social Conventions) تنطبق على النـصوص أكثر ما تنطبق على الجمل؛ الوعي الاجتماعي والوسم الاجتماعي.

العوامل النفسية (Psychological Factors) أوثق علاقـة بـالنص منهـا بالجمل... فالجملة من حيث الصياغة الذهنية شكل استكشافي (heuristic...) أمـا حدود الجملة فيتم تعيينها فيما بعد في أثناء إنتاج النص، ثـم يـستغنى عنهـا فـي المراحل الأولى.

إن النصوص تشير إلى (Presupposes) نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل.

وبالإضافة إلى ما سبق:

النص إبداع بطرفيه الفكرة والشكل اللغوي، ولكن الفكرة أكثر دفعا باتجاه قوة النص وترابطه، فالفكرة العظيمة لدى المنتج ملهم للأسلوب المتميز، فيما خص البشر، وتنزه الله تعالى عن المقارنة.

يمكن تكوين الجمل على مستوى التركيب اللغوي دون دلالة؛ أي صحة المبنى دون صحة المعنى. أما النص فصحة المعنى فيه شرط لصحة مبناه.

النص عماده فكرة رئيسية مكتملة، تتوالد لها الأفكار الفرعية حتى يتم لدى منتجه، أما الجملة فتعبير لفظي عن معنى جزئي محدود على الفكرة الرئيسية أو الفرعية إلا ما كان من جوامع الكلم المعبر عن الفكرة كُلها.

النص فكرة واحدة، ويضم بداخله موضوعا أو أكثر، كما يضم أفكارا فرعية عديدة، كل واحدة منها تصلح أن تكون نصا، إذا عولجت باستقلال. وقد تكون الجملة عبارة ذات مدلول يصلح للنصية.

النص ينوى في الذهن أولا، يظهر كله كنص موجود أو بعضه كنص منْوي. أما الجملة فشكل يجب أن تظهر.

النص يتكون من جمل نصية فقط. أما الجملة فتكون نصية وغير نصية، والجملة غير النصية على نوعين: جملة نظام. مقطوعة الدلالة نحو: (قام زيد)، و(زيد قام)، وجملة تركيب شكلية، عديمة الدلالة؛ أي تركيب نحوي فقط نحو: (هرول الماء قاعدا في نفسه)، وهي غير الجملة ذات الدلالة البلاغية.

ضرورة توفر القصدية والصدق الحقيقي أو الفني لتكوين النص، أما الجملة فيمكن بناؤها من دون ذلك.

6.1 أدوات الربط

الروابط في اللغة تشكل عنصرا مهما في تماسك النص وتكوينـه، فالجملـة عنصر بناء النص. والنص يتكون من جملة واحدة أو أكثـر[1]. ومحـور الجملـة المعنى المتحصل منها الذي يشكل جزءا من الدلالة الجامعة للنص، وترابط المعنـى في الجمل والمقاطع يتطلب وجود الروابط اللغوية اللفظيـة والبيانيـة لإظهـاره، والروابط النصية التي تؤدي إلى التماسك هي نفسها روابط الجملة التي أفاض علماء اللغة فيها، ولكن الدرس الحديث نظر إليها من خلال النص المتكامل، فهـي أدوات اللغة المتعارف عليها منذ القدم بدرس حديث، وذكر ابن جني عن الربط في الجملة

1 - الزناد، نسيج النص، ص، 31.

في معرض الشرط فقال "إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلا إلـى المجـازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، أو الكلام الذي يجوز أن يبتدأ به، فالجملـة فـي نحو قولك: إن تحسن إلي فالله يكافئك، لولا الفاء لم يرتبط أول الكـلام بـآخره"[1].

وذكر ابن يعيش في معرض الشرط أيضا أن "ربط كل جملة من الشرط والجـزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة"[2]. وعن خبر المبتدأ قال: "إن خبر المبتدأ إذا وقع جملة فعلية كانت أو اسمية أو شرطية أو ظرفية فلا بد من ضمير يرجع إلـى المبتدأ يربطها بالمبتدأ لئلا تقع أجنبية من المبتدأ "[3]. وذكر ابن الحاجب الـضمائر الواقعة للربط فقال: " الضمائر الواقعة للربط، وهو أن تربط الثاني بـالأول، علـى ثلاثة أضرب: في باب الصلة والصفة والمبتدأ"[4].

الروابط مجموعة من العلاقات اللغوية التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند نظمها في بيان المقصود منها، وعوامل الترابط السطحي للنص: علامات العطف والوصل والفصل والترقيم. وكذلك أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والاستئناف وأبنية الحال والزمان والمكان.

وتقوم أدوات الربط بين الجمل النصية على ربط أجزاء الجملة الواحدة إلى أن تكتمل الدلالة فيها، بربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر. مثل الواو في العربية. أو ربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى،مثل: (الفاء) و(ثم) و(أو) وغيرها في العربية، إذ تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين، وتجمع في قسم (الأدوات المنطقية) (particwes logiques)؛ لأنها علاقات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك

1- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص، 253 .

2- ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 89.

3 - المصدر نفسه، ج1، ص91.

4- ابن الحاجب، الأمالي، ص، 683.

الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص[1]. وقبل الدخول إلى أدوات الاتساق النصي نستعرض روابط الجمل التي تقوم على روابط بيانية وأخرى لفظية:

1.6.1 الروابط البيانية

الروابط البيانية تقوم على صور من علاقات الربط غير المصرح بها في الغالب[2]. فافتقار النص إلى أدوات الاتساق اللغوية لا يعني عدم انسجامه، فتجاور المقاطع اللغوية المؤدية إلى الفهم والاتصال يدل على أنها مترابطة رغم غياب أدوات الاتساق اللغوية اللفظية[3]. والروابط البيانية بين أزواج الجمل في النص تقوم على أن الثانية فيها وردت لتفسير الأولى، فالاستئناف فيها بياني يقوم على التوضيح بالتفصيل بعد الإجمال، وغياب الرابط يكون لقوة الارتباط بين الجملتين إذ حال الثانية منهما "حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف (أي الربط) البتة لشبه العطف فيه ولو عطفت، بعطف الشيء على نفسه"[4]. "فالتطابق بين الجملتين في المعنى أغنى عن توسط الرابط"[5]. والروابط البيانية تعمل على تجاذب أجزاء النص، وتشكل إحدى عوامل الانسجام القوي للخطاب. وهي على مستويين:

أحدهما داخل الجملة وتقوم به الوظائف البيانية في الجملة العربية على النحو التالي: [6]

أولا: علاقة الإسناد: وهي بين المبتدأ والخبر المفرد، وبين الفعل والفاعل، وبين كل ما يعمل عمل الفعل وفاعله أو نائب فاعله كالمصدر والمشتقات واسم الفعل.

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص 37.

2- بوجراند، النص والخطاب والإجراء ص 449.

3- الخوالدة، فتحي رزق،2006م، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكبا"،ط1 أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص، 167.

4- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 187.

5 - الزناد، نسيج النص، ص 39.

6- حميدة، نظام الارتباط والربط، ص 163 وانظر: حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 194، 201، 204، 205.

ثانيـا: علاقة التعدية: بين الفعل المتعدي والمفعول به.

ثالثـا: علاقة الإضافة: بين المضاف والمضاف إليه.

رابعـا: علاقة الملابسة: بين الحال وصاحبها.

خامسا: علاقة الظرفية: بين الفعل والظرف بنوعيه.

سادسا: علاقة التحديد: بين الفعل والمفعول المطلق المبين للنوع والعدد.

سابعـا: علاقة السببية: بين الفعل والمفعول لأجله المنصوب.

ثامنـــا: علاقة التمييز: بين التمييز والمميز.

تاسعـا: علاقة الوصفية: بين النعت والمنعوت.

عاشرا: علاقة الإبدال: بين البدل والمبدل منه.

الحادي عشر: علاقة التأكيد: بين التأكيد والمؤكد والفعل والمفعول المطلق المؤكد له.

وثانيهما بين الجمل في النصوص. وتتصل بملابسات المقام والتفاعل (interaction) بين أطراف الحوار ومن أشكاله:[1]

أولا: أن يتوسط حرف التفسير (أي) بين الجملتين.

ثانيـا: أو يستعمل المتكلم عناصر معجمية تدل على التفسير كالتي تتصل بمادة (عنى، أراد، أفاد... الخ).

ثالثـا: ويكون البيان بتفصيل المجمل.

رابعا: ويكون بإسناد الفعل إلى المعلوم بعد وروده مسندا إلى المفعول (المجهول).

خامسا: بيان بذكر الدليل للإقناع كما يكثر في نصوص المناظرات والجدل.

سادسا: ويكون البيان بإيراد مضمون الرسالة بعد التنبيه بالنداء.

سابعـا: ويكون البيان كذلك بإيراد الجواب بعد الاستفهام من المتكلم عندما لا يقصد إلى الاستخبار.

وقاعدة الربط البياني بين جمل النص تقوم على أن" كل جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما بيان للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة"[2].

1- الزناد، نسيج النص، ص40-41.

2 - المرجع نفسه، ص، 28.

وذكر فولفجانج أنواع العلاقات الدلالية بين أجزاء النص وهي:[1]

أولا: التوضـيح: فكرة فرعية أو معنى موضح أو معلل لآخر أو ممهد للموضوع.

ثانيـا: التـأكـيد: فكرة تؤكد أخرى لفظا ومعنى، أو بالمعنى فقط.

ثالثـا: التصحيح: فقرة تقوم على تصحيح أو تغيير أو توجيه معنى أو فكرة وردت.

رابعـا: فقرة أو جملة أو أي تركيب نحوي دلالي يبحث عن سؤال سابق.

خامسا: التخصيص: تقوم فكرة أو معنى على تخصيص ما سبق.

سادسا: الختـامية: إعادة أو تأطير فكرة النص.

وهذه العلاقات متداخلة في النص، خاصة النصوص الشمولية أو الكبرى التي تتميز باحتوائها على مجموعة من الموضوعات النصية.

2.6.1 الروابط اللفظية

وهي الجانب الظاهر من أدوات الربط بين أجزاء الجملة، وهي على نوعين[2]:

1.2.6.1 الربط بالضمير البارز

أما الضمير المستتر فيمثل أداة ربط بياني، لأنه غير ملفوظ. وللضمير البارز عدة مواضع وهي:

أولا: الخبر الجملة: إذا كانت جملة الخبر مخالفة للمبتدأ في المعنى، فإنها تحتاج إلى ضمير يربطها بالمبتدأ نحو: زيد قام غلامه، أما إذا كان الخبر الجملة نفس معنى المبتدأ لم يحتج إلى الربط نحو: أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلي: لا اله إلا الله.

ثانيـا: النعت الجملة: إذا لم يكن بها ضمير مستتر يغنيها عن اصطناع الربط، وينسحب ذلك على جمل الخبر والصلة والحال، أما العلاقة بين النعت المفرد والمنعوت فهي علاقة ارتباط وثيقة غنية عن الرابط اللفظي.

ثالثـا: الحال الجملة: وترتبط بصاحبها بالضمير البارز، أو بواو الحال، أو بهما معا.

رابعـا: جملة الصلة. وهي تحتاج إلى الرابط مع الموصول.

---

1 - فيهفجير، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص46.

2- حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 196-202 .

خامسا: ضمير الفصل: نحو قوله تعالى (وُأولَـئِكَ هم الْمفْلِحون)[1] فضمير الفصل (هم) أتى لإظهار وإثبات علاقة الإسناد لا الوصفية.

سادسا: الاشتغال: نحو قوله تعالى (والْقَمر قَدرنَاه منَازِلَ)[2].

سابعـا: التأكيد المعنوي: وهو التأكيد بالألفاظ المحصورة نحو: جاء زيد نفسه.

ثامنـا: الربط باسم الإشارة: نحو قوله تعالى: (ولِباس التقْوى ذَلِك خَير)[3].

تاسعـا: "ال" النائبة عن الضمير: زوجي المس مس أرنب.

2.2.6.1 الربط بالأدوات

أولا: أدوات العطف: وهي الحروف العشرة: (الواو، والفاء،وثُم، وحتى، و أو، وأم، وإما، وبل، ولكن، ولا)، ويعد الربط بهذه الحروف في معظم الحالات قرينة لأمن اللبس في فهم الانفصال.

ثانيـا: واو الحال: تربط الحال بصاحبها وحدها، أو مع الضمير نحو: (جاءني زيد وهو ضاحك).

ثالثـا: واو المفعول معه: ومعناها محكوم بالسياق نحو: (سرت والنيل)، و (جاء زيد وطلوع الشمس)، فالأولى تدل على المكان والثانية تدل على الزمان.

رابعـا: أدوات نصب المضارع: والأدوات التي تستخدم للربط هي: (أن، إذن، كي، لام الجحود، أو، حتى، الفاء السببية، واو المعية، لام التعليل).

خامسا: الحروف المصدرية: وهي: (ما، أن، أن، كي، لو).

سادسا: أدوات الشرط: وهي: (إن، إذما، من، ما، مهما، متى، أيان، أين، أنى، حيثما، أي، إذا، كيفما، لو، لولا، أما. وهذه الأدوات تربط جازمة وغير جازمة).

سابعـا: الفاء في جواب الشرط.

ثامنـا: أدوات الاستثناء: وهي: (إلا، غير، سوى، ليس، لا يكون، عدا، خلا، حاشا، بيد)، وتربط ما قبلها بما بعدها.

---

1 - سورة البقرة، آية5.

2 - سورة يس، آية39.

3- سورة الأعراف، آية 26.

تاسعا: حروف الجر. وذكر النحاة ضرورة تعلقها بفعل؛ لأنها جاءت لتوصيل بعض الأفعال إلى الأسماء.

وذكر ابن القيم أن الوصلات التي يتم التوصل بها إلى غيرها خمسة أقسام وهي[1]:

أولا: حروف الجر؛ وضعوها ليتوصلوا بالأفعال إلى المجرور بها.

ثانيـا: حرف (ها) التي للتنبيه: وضعت ليتوصل بها إلى نداء ما فيه (ال).

ثالثـا: (ذو): وضعوه وصلة إلى وصف النكرات بأسماء الأجناس غير المشتقة.

رابعـا: (الذي): وضعوه وصلة إلى وصف المعارف بالجمل ولولاها لما جرت صفات عليها.

خامسا: الضمير الذي يربط الجمل الجارية على المفردات أحوالا، وأخبارا، وصفاتٍ، وصلاتٍ، فإن الضمير هو الوصلة إلى ذلك.

وحصر ابن هشام في (مغني اللبيب) الروابط في أحد عشر موضعا وهي[2]:

الأول: جملة الخبر.

الثاني: جملة الصفة، ولا يربطها إلا الضمير.

الثالث: جملة الصلة، ولا يربطها غالباً إلا الضمير.

الرابع: جملة الحال، ورابطها إما الواو، أو الضمير، أو كلاهما.

الخامس: المفَسرة لعامل الاسم المشتغل عنه: نحو: (زيدا ضربته).

السادس والسابع: بدل البعض من كل وبدل الاشتمال ولا يربطهما إلا الضمير نحو: قوله تعالى: (ثُم عمواْ وصمواْ كَثِير منْهم)[3]. وقوله تعالى: (يسأَلُونَك عن الشهر الْحرامِ قِتَالٍ فِيهِ)[4].

1- السيوطي، الأشباه والنظائر، ج1، ص، 391.

2- ابن هشام الأنصاري، المصري، الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله (708– 761هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، تحقيق وضبط، محيي الدين بن عبد الحميد، ص، 502 – 510. وانظر السيوطي، الأشباه والنظائر، ص، 241، 242.

3- سورة المائدة، آية، 71 .

4 - سورة البقرة، آية217.

الثامن: معمول الصفة المشبهة، ولا يربطه أيضا إلا الضمير.

التاسع: جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء، ولا يربطه إلا الضمير نحو قوله تعالى: ´)من يكْفُر بعد مِنكُم فَإِني ُأعذبه عذَاباً)[1].

العاشر: العاملان في باب التنازع لا بد من ارتباطهما إما بعاطف، كما في: (قام وقعد أخوك)، أو عمِل أولهما في ثانيهما، نحو قوله تعالى: (وأَنه كان يقُولُ سفِيهنَا علَى اللهِ شَطَطاً)[2].

الحادي عشر: ألفاظ التوكيد المعنوي، وإنما يربطها الضمير الملفوظ به نحو: (جاء زيد نفسه)، وجميع ما تقدم يجوز أن يكون الضمير فيه مقدرا.

وحصر ابن هشام روابط الجملة الخبرية في: الضمير وهو الأصل، والإشارة، وإعادة المبتدأ بلفظه، وإعادة المبتدأ بمعناه، وعموم يشمل المبتدأ، والعطف بفاء السببية لجملة ذات ضمير على جملة خالية منها أو بالعكس، والعطف بالواو، وشرط يشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر، و "ال" النائبة عن الضمير، وكون الجملة نفس المبتدأ في المعنى.

وبعد الاستعراض الموجز لروابط الجملة، سنتناول أهم الأدوات العاملة منها في الاتساق اللفظي على مستوى النص.

---

1 - سورة المائدة، آية115.

2- سورة الجن، آية، 4.

الفصل الثاني
الاتساق

1.2 الاتساق لغة

ورد الاتساق في اللغة بمعنى الضم والجمع. ففي اللسان، اتّساقُ القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة، وقال الفراء: إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه؛ وقال أبو عبيدة: وما وسقَ أي وما جمع من الجبال والبحار والأشجار كأنه جمعها بأن طلع عليها كلها، فإذا جلّلَ الليلُ الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له فقد وسقَها.

والوسق: ضم الشيء إلى الشيء. وفي حديث أُحد: استَوسِقُوا كما يستَوسِقُ جرب الغنم أي استجمعوا وانضموا، واستَوسقت الإبل: اجتمعت. وقيل: كل ما جمِع فقد وسِق والاتّساقُ: الانتظام. ووسقْتُ الحِنطة تَوسيقاً أي جعلتها وسقاً وسقاً. الوسِيقةُ القطيع من الإبل يطردها الشلاّل، وسميت وسيقةً لأن طاردها يجمعها ولا يدعها تنتشر عليه فيلحقُها الطلب فيردها، وهذا كما قيل للسائق قابض، لأن السائق إذا ساق قطيعاً من الإبل قبضها أي جمعها لئلا يتعذّر عليه سوقها، ولأنها إذا انتشرت عليه لم تتابع ولم تَطرد على صوتٍ واحد.[1]

وفي ذكر سائق الإبل يجمعها، نأخذ منه إشارة إلى دور منتج النص عامل الإحالة الرئيسي في توحيد النص وجعله عملا واحدا لا يفارق بعضه بعضا كجمع الإبل بعضها إلى بعض. وفي القاموس المحيط، اتسقَ: انْتَظَم.[2]

وفي الوسيط، وسقَ الحب: جعلَه وسقًا وسقًا. واتسقَ الشيء: اجتمع وانضم. و-انتظم.و- القمر: استوى وامتلأ. واستَوسقَ الشيء: اجتمع وانضم. يقال:

1- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، 1414هـ-1994م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج10، ص379.

2- الفيروزآبادي،(د.ت) مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج3، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص299.

استَوسقت الإبل. و-الأمر: انتظم. ويقال استوسق له الأمر: أمكنه.[1]

وفي متن اللغة، وسقَه يسقه وسقا ووسوقا: ضمه وجمعه وحمله- اتسقَ يتسق وياتَسِق الشيء: انظم وانتظم و- ت الإبل: اجتمعت و- القمر: امتلأ واستوى ليالي الإبدار، والمتّسيق من أسماء القمر.[2]

2.2 مفهوم الاتساق

الاتساق في النصوص ضرورة ليفهمها المتلقي، وحتى يلقى النص قبولا وانتشارا محليا وعالميا، والاتساق نتيجة حتمية لوضوح الدلالة لدى المنتج، ويقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته.[3] والاتساق لا يتحقق بوجود عنصر واحد من عناصره وإنما "بورود العنصر في سياق العناصر المتعالقة هو الذي يهيئ الاتساق، ويعطي للمقطع صفة النص، إن الاتساق يعتبر شرطا ضروريا وكافيا للتعرف إلى ما هو نص وعلى ما ليس نصا. وتشكل كل متتالية من الجمل- كما يذهب إلى ذلك هاليداي ورقية حسن- نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين عناصر هذه الجمل علاقات"[4]. وهذه العلاقات قبلية أو بعدية، لفظية أو بيانية. إن المتتاليات الجملية مادة النص شريطة أن تكون ذات دلالة نحوية ومعجمية سياقية مرتبطة بالدلالة الجامعة للنص، وهنا يجب الإشارة إلى أقوى الروابط في النص وهو وجود الدلالة الجامعة للنص، تجمعه وتعطي أفقا للإيضاح والتوسع، إن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده

---

1 - أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، ج2، ص 1032 .

2 - رضا، احمد، 1380هـ - 1960م، معجم متن اللغة، مج5، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 755. وانظر الكرمي، حسن سعيد، 1412هـ - 1992م، الهادي إلى لغة العرب، ج4، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص486، 487.

3- خطابي، لسانيات النص، ص5.

4- المرجع نفسه ، ص 12، 13.

كنص[1]. فالاتساق النصي خاصية جدلية تبادلية بين اللفظ والمعنى تأويلا وتصريحا اعتمادا على مؤشرات لفظية ومعطيات المحيط؛ مؤثرات الزمان والمكان، وكلها منضبطة إلى الجامع الدلالي.

النص المتكامل يحتمل الإطالة وتباعد الأجزاء، وحتى يبقى النص مترابطا متسقا، فقد قدمت اللغة أدوات لتماسك أجزائه لفظية وبيانية، يحكمها الجانب الدلالي؛ فكرة النص، ليخرج النص خطابا تاما، ولكي تكون لأي نص نصيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة[2]. إذ يرى هارفج أن النص "وحدات لغوية متتابعة مثبتة بسلاسل إضمار متصلة"[3]. وهذه الوحدات تقوم في ترابطها على أن "كل جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط"[4].

ويرى تمام حسان: "أن التعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى، فإذا استثنينا جملة الإثبات والأمر بالصيغة (قام زيد- زيد قام- قم) وكذلك بعض جمل الإفصاح، فإننا سنجد كل جملة في اللغة العربية على الإطلاق يتكل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة"[5]. ومن هذه الأدوات التي تعمل على التماسك بين أجزاء النص عناصر الاتساق.

وبعيدا عن المتلقي وتأويلاته فقد فُرق "بين النص واللانص أو بين النصانية واللانصانية، انطلاقا من أدوات الاتساق نفسها، فإذا كان لدينا ملفوظ، ويحمل دلالة تجمع عناصره بعضها إلى بعضها الآخر، وتوافرت أدوات اتساق كافية كان الملفوظ نصا.

ملفوظ --- دلالة جامعة--- أدوات اتساق كافية--- نص.

1- خطابي، لسانيات النص، ص 15، وانظر الزناد، نسيج النص، ص123.
2- المرجع نفسه، ص 13.
3- فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 27.
4 - الزناد، نسيج النص، ص 28.
5 - حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص 123.

ملفوظ --- دلالة جامعة--- أدوات اتساق غير كافية--- لا نص"[1].

إن توفر أدوات الاتساق علامة على إمكانية انسجام الخطاب لدى المتلقي، وسهولة الوصول إلى الفكرة، ولكن توفر هذه الأدوات مرهون بالدلالة الجامعة التي تقود إلى النصية، وبناء على العامل الدلالي وأدوات الاتساق يكون الملفوظ في حال التلقي ضمن المعادلة الخطية التالية:

ملفوظ --- دلالة جامعة--- أدوات اتساق كافية--- نص.

ملفوظ --- دلالة جامعة--- أدوات اتساق غير كافية--- نص.

ملفوظ ---عدم توفر دلالة جامعة--- أدوات اتساق غير كافية--- لا نص.

ملفوظ --- عدم توفر دلالة جامعة--- أدوات اتساق --- لا نص.

فالمعادلة الأولى نصية أوجدها المنتج له وللمتلقي وأبقى المتلقي محايدا، أما الثانية فأوجدها المنتج وأشرك المتلقين من خلالها في إعادة إنتاج النص بقصد أو بغير قصد، وأما الثالثة فقدت مقومات النصية على المستويين الدلالي والتركيبي، أما الرابعة فقدت النصية لفقد الجامع الدلالي، فوجود عناصر الاتساق في هذه الحالة كحجارة البناء المتناثرة التي لا يجمعها جامع، فهي اسم على غير مسمى.

إن المعادلتين الأخيرتين هما في واقع الاستعمال اللغوي أو الدلالي غير موجودتين، فهما افتراض نظري، فلا وجود للملفوظ النصي أصلا لعدم وجود الدلالة، فالنص لا يمكن بناؤه دون دلالة جامعة في كليته أو جزئيته خلاف الجملة غير النصية، ويبقى الاحتمال الأول الذي لا جدال فيه، أما الثاني فالنصية فيه تتحصل مع عدم وجود أدوات اتساق غير كافية؛ لأن الدلالة الجامعة تتضمن عناصر وجودها فان لم تكن أدوات لغوية لفظية فبيانية، أو علاقات توافقية يصطلح عليها كل من المنتج والمتلقي كما في الإعلانات التجارية أو اللغة الرمزية.

وعند دراسة أثر عناصر الاتساق في ترابط النص لا بد من الإشارة إلى أهم عنصرين يقوم بينهما الترابط في النص وهما: العنصر الإشاري والعنصر الإحالي، وبهما تدرك العلاقات الاتساقية الدلالية في النص.

---

1 - الرواشدة، في الأفق الأدونيسي، ص 9.

إذا كانت العناصر الإحالية غير ذات معنى في ذاتها، فالمنطق في التماسك النصي يوجب معرفة العنصر الإشاري ووضوح حدوده، حتى تحدث المزاوجة بين العنصرين الإحالي والإشاري، ليولد النص جريا على سنة الحياة التي تقوم على طرفين: موجب وسالب، ذكر وأنثى، ووجود العنصرين مرهون بدورهما في النص.

النص مجموعة مكونات أو عناصر تكونه وتربطه، أولها: العنصر الدلالي ثم اللغوي ومنه عناصر لغوية بيانية ولفظية، ونظرا لسعة هذه العناصر سيقتصر البحث على العناصر الاتساقية اللفظية العاملة في تماسك النص، وهي: الإحالة وتتكون من التالي:

أولا: المضمرات الظاهرة والمستترة، وأسماء الإشارة، والاسم الموصول، وظرف الزمان والمكان، والعنصر المعجمي الإحالي نحو: (قصة، رأي)، واقترحت الدراسة إضافة النداء لافتقاره للعنصر المفسر له.

ثانيا: الوصل بأدوات العطف بأنواعها، والوصل القائم على السبب والنتيجة وخاصة ما قام منه على الأدوات مثل: الشرط، والقسم، والتعليل.

ثالثا: الاتساق المعجمي، القائم على التكرير والتضام.

رابعا: الحذف.

خامسا: الاستبدال.

وقبل الدخول إلى عناصر الاتساق لا بد من إيضاح العناصر الإشارية والإحالية لأهميتهما في بناء النص.

3.2 العنصر الإشاري

وهو كل مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره، فهو في الكلام وحدات معجمية (أسماء مفردة وما يضارعها من المركبات) يمكن أن نطلق عليها مصطلح (العنصر الإشاري) (Deictice element) وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن، إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة؛ فيمثل العنصر الإشاري معلما (Index) لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره، وتمثل العناصر الإشارية جملة الذوات التي تكون العناصر الأساسية الدنيا في عالم

الخطاب؛ وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى، فهي ترتبط بالحقل الإشاري (Deictice field) ارتباطا آنيا محدودا مباشرا لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل. ويشمل العنصر الإشاري:

لفظا مفردا دالا على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان.

جزءا من الملفوظ أو الملفوظ كاملا.[1]

ومن العناصر الإشاريةِ المرجع الإشاري: وهو عنصر أو أكثر، ويعمل داخل النص بفاعلية، تعود إليه أكثر العناصر الإحالية في النص، أو الموضوع النصي.

العناصر الإشارية الحرة في النص، تؤدي إلى سعة الإحالة، وبالتالي انفتاح النص للتأويل ومنه قوله تعالى: (إنه لاَ يفْلِح الظاِلمون)[2]، فالهاء ضمير الشأن تحيل على عنصر إشاري غير محدد؛ فإما إلى الذين يجازون الحسن بالسيئ، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون لأنفسهم، وقيل: أراد الله لأنه مسبب الأسباب[3]. وفي ذلك توسعه نصية.

1.3.2 العناصر الإشارية اللغوية

وتجمع العناصر الإشارية الواردة في النص؛ أي التي تتوفر في عالم النص الداخلي، وهي قسمان: عامل وغير عامل:

عنصر إشاري يذكر مرة أولى ثم يحال عليه بمضمر، أو بلفظه مرة أو أكثر في غضون النص، فهو عامل، إذ يحكم مكونا أو عددا من المكونات لأنه يفسرها. والعنصر الإشاري مفرد دائما يرد رأس الوحدة الإحالية التي يحكمها، والتي يمكن أن تتكون من عدد غير محدود من العناصر الإحالية.[4] مثل: (يوسف، وامرأة العزيز، وإخوة يوسف، ويعقوب...)، فيوسف عليه السلام أهم عنصر إشاري في

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص 115- 116 .

2- سورة يوسف، آية، 23 .

3 - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (468- 538)هـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي،مكتبة مصر، ج2، ص 456.

4 - الزناد، نسيج النص، ص، 128 .

قصة يوسف، يرتبط به أكبر عدد من العناصر الإحالية، والعنصر الإشاري يحكم كل العناصر الإحالية الواردة في النص حكما لا يأبه بالترتيب أو الموضع. والأصل في الإحالة أن يجري تعيين المرجع ثم تجري الإحالة عليه بعد ذلك، إحالة اللاحق على السابق[1]. كما في قاعدة عودة الضمير إلا أن نحو النص يتحرر من هذه القاعدة؛ فنجد الضمير يعود على عنصر إشاري ورد في عموم النص سابقا أو لاحقا. كضمير المخاطب في قوله تعالى: (نَحن نَقُص علَيك أَحسن الْقَصص)[2] فضمير المخاطب في (علَيك) يعود على العنصر الإشاري سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يرد ذكره في أكثر من موضع في نص القرآن.

عنصر إشاري، يذكر مرة واحدة في النص ولا يحال عليه، فهو غير عامل، إذ لا يحكم مكونا آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة ومنه قوله تعالى: (وقَالَ الآخَر إِني أَرانِي أَحمِلُ فَوقَ رأْسِي خُبزا تَأْكُلُ الطير مِنْه)[3]. فالطير عنصر إشاري غير عامل لم يحل عليه بأي عنصر إحالي في النص.

العنصر الإشاري الذي يحكم وحدة إحالية أو أكثر، ينقسم إلى قسمين:

أولا: عنصر إشاري معجمي، لفظ مفرد دال على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان ومنه العنصر الإشاري (يوسف) عليه السلام الوارد في نص سورة يوسف، إحدى الموضوعات النصية في القرآن الكريم.

ثانيا: عنصر إشاري نصي، وهو مقطع من الملفوظ، يحال عليه بعنصر إحالي نصي.[4] وفي سورة يوسف نجد مثلا: اسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى: (يوسفُ أعرض عن هـذَا واستَغْفِري لِذَنبِكِ إِنكِ كُنتِ مِن الْخَاطِئِين)[5] يحيل على ادعاء المراودة من امرأة العزيز على يوسف عليه السلام، وهو عنصر إشاري يمثل جزءا من مقطع، كما سيتم توضيحه في التطبيق، والعنصر الإشاري النصي عندما يحال

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص144.

2 - سورة يوسف، آية 3.

3 - سورة يوسف، آية36.

4 - الزناد، نسيج النص، ص128.

5- سورة يوسف، آية، 29.

عليه يحال على مؤوله الاسمي، مفردا كان أو مركبا، فاسم الإشارة (هذا) أحال على مراودة امرأة العزيز. فالعنصر الإشاري اسمي سواء المعجمي أو النصي، وهذا النوع من العناصر الإشارية متوفر في نص القرآن الكريم كونه يتمتع بالنصية الكاملة، ومع ذلك تتميز العناصر الإشارية النصية عن الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشارا، ثم إن العناصر الإحالية النصية التي يقتضيها محدودة في الرصيد اللغوي من ناحية أخرى.[1] وأكثر ما يمثلها عناصر الإحالة الاسمية، نحو: أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والظروف المحيلة.

2.3.2 العناصر الإشارية غير اللغوية

هي كل عنصر إشاري غير لغوي يحال عليه باسم إشارة لتعيينه أو بضمير المتكلم أو المخاطب، فهي تجمع كل عنصر إشاري يتوفر ما يعود عليه في الملفوظ، وللمقام الحسي دور أساسي في الربط بين المضمر الوارد في النص والمفسر الذي يرتبط به والموجود خارج النص.[2] والدور الحسي مرتبط بالجوانب الدلالية، ومنها مضمون الجمل والمقاطع النصية. والإحالة تعود على الاسم أو المؤول الاسمي لها، نحو قوله تعالى: (يوسفُ أعرض عن هـذَا)[3]. قام اسم الإشارة (هذا) بالإحالة النصية الموسعة على مضمون مقطع؛ فهو يحيل على المراودة أو حدوث المراودة أو مراودة امرأة العزيز ليوسف. ولا نقول أحال على: قامت امرأة العزيز تراود يوسف عن نفسه. وقوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)[4]. فاسم الإشارة ذلك يحيل على مضمون قصة يوسف عليه السلام، والضمير في (نوحيه) يعود على اسم الإشارة أو أنباء الغيب، وفي عودة اسم الإشارة والضمير على عنصر إشاري واحد تآزر أو التفات يجري بين العناصر الإحالية.

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص130.

2 - المرجع نفسه، ص130.

3 - سورة يوسف، آية29.

4 - سورة يوسف، آية102.

3.3.2 المجموعة الإشارية الرئيسية

تتكون من عدد من الوحدات الإشارية الرئيسية، وهي تمثل النص من حيث هو كل إحالي[1]. فالعناصر الإشارية في قصة يوسف، وأولهم يوسف عليه السلام المرجع الإشاري في القصة، ثم الإخوة، والأب، وامرأة العزيز، وغيرهم، إضافة إلى العناصر الإشارية غير الملفوظة (العنصر الإشاري النصي)، وهناك عناصر إشارية في موضوعات أخرى من النص العام للقرآن الكريم، عادت عليها عناصر إحالية من سورة يوسف ربطت السورة بالسور الأخرى، وجعلت السورة إحدى موضوعات نص القرآن الكريم، وله تفصيل في التطبيق.

4.3.2 الوحدة الإشارية الرئيسية

وتتكون من عنصر إشاري، يذكر مرة واحدة في النص ولا يحال عليه، أو تتكون من (عنصر إشاري) و(مجموعة إحالية رئيسية) تجمع جملة العناصر الإحالية التي يحكمها العنصر الإشاري. فيوسف في النص عنصر إشاري، يشكل مع جملة العناصر الإحالية العائدة عليه في النص وحدة إشارية رئيسية، وقد يتكرر العنصر الإشاري، وهذا التكرار وظيفي والقصد الأساسي فيه هو التذكير والترسيخ لتباعد ما بين الموضعين اللذين ذكر فيهما العنصر الإشاري النصي، وظاهرة تكرار العنصر الإشاري محكومة بالمسافة الفاصلة بين موضعي وروده. ويمكن أن يحدث تكرار العنصر الإشاري في موضعين متقاربين أو متصلين كما يحدث في التوكيد اللفظي، وإن كان ذلك لا يتجاوز مستوى الجملة الواحدة، فكل عنصرين إشاريين متباعدين أو متصلين في الذكر، ومترادفين أو متطابقين في المدلول يكونان عنصرا إشاريا واحدا"[2]؛ كذكر يوسف عليه السلام، علما ولقبا؛ فقد لقب بالعزيز بعد موت عزيز مصر الذي كان قبله في قوله تعالى: (قَالُواْ يا أَيها الْعزِيز إِن لَه أَبا شَيخًا كَبِيرا فَخُذْ أَحدنَا مكَانَه إِنا نَراك مِن الْمحسِنِين).[3]

1- الزناد، نسيج النص، ص135.

2 - المرجع نفسه ، ص137 .

3- سورة يوسف آية 78 .

4.2 عناصر الاتساق

1.4.2 الإحالة

تُعرفُ الإحالة (Refrehce) عادة بأنها العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات.(1) ولكنه تعريف واسع يجعل اللغة بمجملها عنصرا إحاليا، ولم يحدد طبيعة العنصر الإحالي، وبتعريف أدق للإحالة فإنها: "تتمثل في عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر أخرى نقدرها داخل النص أو في المقام".(2) "وتطلق تسمية (العناصر الإحالية) (Anaphors) على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد-cross) (reference".(3) بعدا نصيا ومقاميا؛ لأن عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري معجمي أو نصي؛ جملة نصية أو مجموعة جمل نصية (مقطع) أو مقاطع داخل النص المكون من موضوع واحد، يعد إحالة نصية قريبة، أما ما عاد على عنصر إشاري في أحد موضوعات النص في النصوص المكونة من أكثر من موضوع، فهي إحالة نصية بعيدة، وأما عودة العنصر الإحالي على المقام؛ أي خارج النص العام فالإحالة فيه مقامية بعيدة.

وتعتبر إحالة عنصر إحالي على عنصر إشاري في موضوع آخر من موضوعات النص العام إحالة نصية، إذ يبقى الارتباط ارتباطا دالا على وحدة النص، فتباعد أجزاء النص الواحد لا يمنع من الإحالة النصية (الداخلية) ولا يعطل فاعلية أدواتها، فسورة يوسف إحدى موضوعات نص القرآن الكريم، تحيل داخليا بترابط لغوي اتساقي قريب وواضح في أجزائه بسبب من قرب الموضوع، وتحيل

1- بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 172.

2- الرواشدة ، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت،الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، ع3، مج 30، 2003م، ص 517.

3 - الزناد، نسيج النص، ص 118.

على نص القرآن بعمومه إحالة نصية عامة، وتحيل على بعض الموضوعات في نص القرآن إحالة نصية، ليرتبط الخاص بالعام ويحيل النص العام للقرآن مقاميا من مختلف موضوعاته على المنتج جل وعلا، وما يذكره من العبر السابقة وما شابه ذلك مع بقاء الجذب الإحالي إلى نص القرآن، لأن العناصر الإشارية المحال عليها متعلقة بالمحيل، تخدم أغراضه الدلالية، فعندما يحيل القرآن على الكتب السماوية الأخرى تكون لخدمة نص القرآن دلاليا.

تعد الإحالات أهم عناصر الاتساق في ربط أجزاء النص وإن تباعدت، وتعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، فالعلاقة بين المحيل والمحال إليه علاقة تطابقية. وكقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، وإذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل على السابق أو على اللاحق، وحتى يمكن الحكم بنصية النص وترابطه لا بد من معرفة موضع الإحالة ليتم ربط خيوط النص مع بعضه وإلا بقيت حلقات مفقودة تفقد النص نصيته، أو تُبقي الباب مفتوحا للتأويلات والاجتهادات، فوجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما[1].

وتتميز البنية الإحالية عن البنية التركيبية؛ فالأولى تعمل في الاتجاهين دون ضير بالمعنى، فهي تحيل على السابق وتطابق البنية النحوية في ذلك من حيث عمل المكون السابق في المكون أو المكونات اللاحقة، وهي تحيل على اللاحق وتخرج عن البنية النحوية فهي ذات اتجاهين، في حين لا تملك البنية النحوية إلا اتجاها واحدا.[2]

الإحالات ترد مزدوجة داخلية أو خارجية في آن واحد. فإذا كانت الفواصل بين حدود الجملة وحدود النص واضحة، معيار التمييز فيها ثابت وهو قوانين التركيب في الجملة والنص، فإن الفواصل في الإحالة على خلاف ذلك، فهي عابرة للتركيب(Trans -syntaxique) لأنها تتسلسل من منافذه وتتجاوز حدوده، فتربط

1 - خطابي، لسانيات النص ، ص 17، 21.

2 - الزناد، نسيج النص، ص 144.

بين المتباعدين ربطا طيعا مرنا لا يلزم فيه العنصر الإحالي موقعا واحدا ولا حالا واحدا[1].

الإحالة المعجمية تفترض أساسا مطابقة تامة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي المرتبط به (الجنس، والعدد، والتعريف، والتنكير...الخ) فمثلا: لا يعود الضمير المفرد المؤنث الغائب إلا على عنصر إشاري يتوفر فيه صراحة التأنيث والإفراد، أما الإحالة النصية فلا تعتبر هذا القيد فيمكن أن تعود إلى المؤنث أو المذكر؛ أي إمكانية الحياد الجنسي في الإحالة النصية وامتناعه في الإحالة المعجمية.[2]

وتبدو ظاهرة الالتفات في الإحالة جلية، ولا تقتصر على الضمائر فهناك تبادل إحالي بين الضمائر إحدى عناصر الإحالة وبين المحيلات الاسمية كاسم الإشارة مثلا؛ لأن "الالتفات متصل بالدلالة التي يحملها النص وعندئذ تتآزر البنية اللسانية للنص والبنية الدلالية المحمولة على كاهل تلك البنية اللسانية ويصبح أي تغيير في المستوى اللساني مؤشرا على تغيير في المستوى الدلالي".[3] ومن التآزر الإحالي بين عناصر الاتساق، ما يجري مجرى الالتفات، في مثل ما كان بين الضمير واسم الإشارة في قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ)[4] فتم الانتقال من اسم الإشارة إلى الضمير بخصوص العنصر الإشاري قصة يوسف.

1.1.4.2 الإحالة على عناصر إشارية متعددة

يتم تكثيف الإحالة؛ وذلك بإحالة الضمير أو أدوات الإحالة الأخرى على أكثر من عنصر إشاري، معجمي أو نصي، ويؤدي إلى ربط النص المحيل بعالم أوسع؛ أي ربط النص بمكونات نصية أوسع كمية ونوعية تزيده غناء ووضوحا إذ "يعود

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص156 1

2- المرجع نفسه، ص 159.

3- الرواشدة، الأفق الأدونيسي، ص105.

4- سورة يوسف، آية102.

الضمير على محال إليه واحد ويعود على أكثر من محال إليه لربط اللاحق بالسابق فتقوم الإحالة بالضمير على (استحضار) عنصر في خطاب سابق، أو استحضار مجموع خطاب سابق في خطاب لاحق". [1] كما سيتم إيضاحه، وفي الآية الأولى من سورة يوسف موضع التطبيق، إذ أحال اسم الإشارة (تلك) في قوله تعالى: (الر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْمبِين)[2]. على جميع آيات القرآن تفصيلا، وفي الآية الثانية أحال على القرآن الكريم إجمالا لتعزز الإحالات وحدة نص القرآن الكريم، مما يثبت أنه نص واحد، وبناء على تكثيف الإحالة فقد عمدت نظريات الإحالة في أغلب الأحوال إلى استعمال نظرية المجموعات (Settueory) بسبب اهتمامها بمفهوم الكم (Quantificat)[3].

2.1.4.2 أنواع الإحالات

1.2.1.4.2 الإحالة المقامية

الإحالة المقامية تخلق النص وتشكل الرؤيا لدى المتلقي لفهم النص، وهذا النوع "تعود فيه الكائنات لغير مذكور وإلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص والخطاب". [4] وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم.[5] ويمكن أن يكون العنصر الإشاري المحال عليه مقاميا معجميا أو نصيا.

الإحالة المقامية تؤدي إلى توسيع دلالة النص، إذ تطلق العنان للتأويل وتعدد الآراء والقراءات، فتضيف إلى النص وضوحا دلاليا على الحقيقة، أو تؤدي إلى

1- خطابي، لسانيات النص، ص 175.

2- سورة يوسف، آية1 .

3- بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 174.

4- المرجع نفسه، ص 332.

5 - الزناد، نسيج النص، ص 119.

التشظي إذا خرج النص على فهم المتلقي، أو كان النص غامضا دلاليا، وقد تعجز وسائل الانسجام وأدوات الاتساق عن ربط أجزاء النص إذا كان منتج النص قد عمد إلى الغموض والتشتيت، وزاد بإضعاف أدوات الاتساق إلى مستويات غير مقبولة.

وتؤدي عمليات الانسجام دورها بوضوح إذا بني النص على الدلالة الجامعة، وهنا وإن بدت الجمل والمقاطع متباعدة والإحالات بعيدة، فإن المتلقي يلتقط من الإشارات -عناصر الاتساق- ما يقيم للنص أو الخطاب انسجامه لتوفر القصدية في بناء النص.

وقد تبدو عملية عودة العنصر الإحالي على أكثر من محال إليه تشتيتا للنص وإضعافا لانسجامه ولكن القصدية في النص تجعل من العودة على أكثر من محال إليه إثراء للنص وإنضاجا للفكرة ليكون بذلك خطابا منسجما غير ناقص لدى المتلقي، وإذا توفرت القصدية عند منتج النص؛ فإن متابعة عودة الضمائر في الإحالة المقامية وغيرها من عناصر الاتساق، تؤدي إلى ربط خيوط النص وإن تعددت وتباعدت زمانا ومكانا، وإن قصد منتج النص الغموض أو كانت أفكاره ضعيفة غير ناضجة أو لا تحمل صفة الصدق في أحد المستويين الحقيقي أو الفني أو كليهما؛ أي انعدمت القصدية في النص، فذلك ينعكس من خلال ضعف الترابط اللغوي أو انعدامه، فاللغة وعاء الفكرة، فلا وجود للنص دلاليا إلا بوجود اللغة بتمام مكوناتها ومنها عناصر الاتساق، ويمكن أن نصف العلاقة العامة بين الدلالة واللغة؛ بأن اللغة عنصر إحالي والدلالة عنصر إشاري.

والإحالة بنوعيها الخارجية (المقامية) والداخلية (النصية) ومهما تعددت أنواعها فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع[1]. ويعملان على ربط أجزاء النص، فالإحالة المقامية تعمل على خلق النص وربطه بأوسع عالمه ومكوناته، وتُدخل في عالم النص ما يبدو بعيدا عنه، وتشكل الإحالة المقامية عامل ربط بين النصوص؛ بسبب التجاذب الإحالي التبادلي من النص وإليه، والربط هنا تحكمه الاعتبارات الدلالية، والإحالات التبادلية النصية في النص الواحد أكثر استعمالا وفاعلية.

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص 119.

وبناء على الاحتمالات الممكنة للإحالات فإذا تم التجاذب الإحالي باتجاه واحد، فإن النص الذي يرسل الإحالات ولا يستقبلها، يعد نصا مرسلا، سواء كانت الإحالات في خدمة النص المحيل أو المحال إليه، وإذا كانت الإحالات متبادلة من النص وإليه فالنص من النوع المفتوح وبها يحيا، فالإحالة المقامية جسر للتواصل الحضاري وعنوان حياة النصوص، وإذا استقبل ولم يحِلْ مقاميا فهو نص مستقبل فقط، وإذا لم يرسل ولم يستقبل الإحالات فهو نص مصمت.

الإحالة المقامية (الخارجية) تعمل على خلق النص وتدعيم الفكرة وتوضيحها وإثرائها على وجه العموم فهي علاقة بسياق المقام الخارجي، وهي كما أشار هاليداي ورقية حسن "تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر".[1]

2.2.1.4.2 الإحالة النصية

الإحالة النصية (الداخلية) تعمل على اتساق النص بشكل مباشر، وربط أجزائه بعضها ببعض، وهي عودة العنصر الإحالي على العنصر الإشاري (المفسر) داخل النص، وتعمل الإحالات النصية على ربط النص باتجاهين السابق واللاحق لأن "الضمائر التي تعمل داخل النص تحيل إحالات قبلية نمطية أو بعدية، وهي التي تعمل على الاتساق داخل النص وربط أجزائه ويندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا أو تثنية أو جمعا: (هو، هي، هم، هن، هما...). وحين نتحدث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص، فإن صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص ويصدق كل ما قيل عن الضمائر المحيلة إلى الشخص على ضمائر الملكية".[2] والإحالة النصية وإن لم تذهب خارج النص فهي ضرورية لاتساق النص بشكل مباشر.

الإحالات النصية تزيد فاعلية الترابط الدلالي داخل النص، وتؤدي إلى ترابط أجزاء النص لسانيا أكثر من المقامية، والعناصر الإحالية النصية تحمل صفات العنصر الإشاري، وتطابقه في عدد من السمات، وهي حاملة لأشياء جديدة، إذ يتوفر

1 - خطابي، لسانيات النص، ص 17 .

2 - المرجع نفسه، ص 18 .

في العنصر الإحالي أحيانا ما لا يتوفر في العنصر الإشاري نحو (رجل) والضمير المحيل (هو)، فرجل: عاقل، مذكر مفرد، والضمير (هو) يحمل الصفات نفسها ويزيد بأنه معرفة[1].

فالإحالة النصية الداخلية تؤدي إلى ترابط النص وتحقق مثالية التعبير التي تعرف بأنها تعاقب أفقي متناسق لوحدات لغوية مترابطة تقوم على أسس محددة من حيث التسلسل، وضمائر الإحالة النصية تشكل داخل النص سلسلة من الحلقات التي تبني النص إذ يعتبر النص وحدات لغوية متتابعة بسلاسل إضمار متصلة [2]. ودراسة الإحالات في النص تكون على مستوى الجملة النصية والمقاطع والموضوعات النصية المتولدة عن الدلالة الجامعة.

الإحالات النصية تبادلية داخل النص، وباتجاهين وفق الضرورة الدلالية. وقيام التبادلية الإحالية بين موضوعات النص دليل على وحدته. كما يظهر ذلك من خلال تبادل الإحالات بين سور القرآن الكريم، وهذه التبادلية التي توجدها عناصر الإحالة النصية على هذه الشاكلة تجعل من الموضوعات التي جرت فيها التبادلية الإحالية نصا واحدا.

ولعل الناظر في القرآن الكريم يجد الإحالات متبادلة بين موضوعاته (سوره)، مما يعني أنه نص واحد متماسك، يرتبط أوله بآخره، وآخره مرتبط بأوله. وكمثال على ذلك نأخذ من سورة العصر بإيجاز قوله تعالى: (إلا الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وتَواصوا بِالْحق وتَواصوا بِالصبرِ)[3]. فقد أحال الاسم الموصول (الذين) على موصولاته من بعده وصارت الموصولات له كالصفة لموصوفها إبانةً وتمكيناً، وعمل العطف على الربط بين الاسم الموصول وصلاته كما عملت (ال) التعريف كأداة ربط فاستحضرت واستوفت كل المعاني لما دخلت عليه من مفردات غدت معارف على عموم المعنى، كما عملت عوامل الربط البياني على قوة التماسك داخل التركيب كالعلاقة الإسنادية، ونرى أداة الاستثناء (إلّا) التي تأخذ الآية من سياقها

1- الزناد، نسيج النص، ص 133.

2- فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص25، 27.

3- سورة العصر، آية 3.

السابق من حيث المعنى تمهيداً لربطه بسياقات أخرى في نص القرآن، وهنا نجد ضمير الجماعة الواو الذي يحيل نصيا على عموم المؤمنين كعناصر إشارية في نص القرآن، ومنهم الذين يعملون الصالحات، والذين يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، ونأخذ الإحالة على المؤمنين ونتتبع بعض مواقعها، فنجد قائمة طويلة يصعب استيعابها في هذه الدراسة ومن ذلك قوله تعالى: (آمن الرسولُ بِما أُنزِلَ إليه مِن ربهِ والْمؤْمِنُون كُل آمن بِاللّهِ وملآئِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورسلِهِ لاَ نُفَرقُ بين أحد من رسلِهِ وقَالُواْ سمِعنَا وأَطَعنَا غُفْرانَك ربنَا وإِلَيك الْمصِير)[1]. وقوله تعالى: (لا يتخِذِ الْمؤْمِنُون الْكَافِرِين أَولِياء مِن دون الْمؤْمِنِين ومن يفْعلْ ذَلِك فَلَيس مِن اللّهِ فِي شَيءٍ)[2]. وقوله تعالى: (لـكِنِ الراسِخُون فِي الْعِلْمِ مِنْهم والْمؤْمِنُون يؤْمِنُون بِما أُنزِلَ إِلَيك وما أُنزِلَ مِن قَبلِك والْمقِيمِين الصلاَةَ والْمؤْتُون الزكَاةَ والْمؤْمِنُون بِاللّهِ والْيومِ الآخِرِ أُولَـئِك سنُؤْتِيهِم أَجرا عظِيما)[3]. وقوله تعالى (قَد أَفْلَح الْمؤْمِنُون)[4]. وقد ورد لفظ (المؤمنون) سبعا وعشرين مرة في نص القرآن الكريم - عدا صوره الأخرى في حالة الإفراد والتثنية والجمع وفي حالاتها الإعرابية المختلفة - في السور التالية: البقرة/285، آل عمران/27، 110، 122، 160، النساء/126، المائدة11، الأنفال/2، 4، 6، التوبة/51، 71، 105، 122، إبراهيم/11، المؤمنون/1، النور/12، 62، الروم/4، الأحزاب/11، 22، الفتح/12، الحجرات/10، 15، المجادلة/10، التغابن/13، المدثر/31. ولفظ (المؤمنين) ورد ثلاثا وثمانين مرة، وكلها تحمل نفس الدلالة للفظها في سورة العصر. وإذا تتبعنا لفظ آمنوا نجده يرد مئتين واثنتين وستين مرة، أحدها قوله تعالى: (يخَادِعون اللّه والَذِين آمنُوا وما يخْدعون إِلا أَنفُسهم وما يشْعرون)[5]. ولفظ الإيمان ورد أربع عشرة مرة، هذا عدا المشتقات الأخرى التي أحالت عليها سورة العصر ضمن مفهوم الإيمان

1- سورة البقرة، آية 285.

2 - سورة ال عمران، 27.

3 - سورة النساء، آية، 126 .

4 - سورة المؤمنون، آية1.

5 - سورة البقرة، آية 9.

الواسع كعنصر إشاري نصي غير ملفوظ، ونجد الآيات تفصل في الإيمان وأركانه، وصفات المؤمنين وأجرهم وإلى ما لم تسعه خزائن الكتب، والآيات تحمل الإحالات التبادلية الترابطية مع غيرها من موضوعات القرآن الكريم الأخرى، فقوله تعالى: (يخَادِعون اللّه والذِين آمنُوا) يحيل من خلال الاسم الموصول (الذين) على صلته (آمنوا) والمؤمنون في عموم نص القرآن، وهو يحيل إحالة نصية موسعة بعيدة وقريبة على متعدد، وهذا يظهر من إحالة ضمير الجماعة الواو على عموم المؤمنين، ومنهم الصابرون والمتواصون بالصبر في سورة العصر وسور أخرى، وهكذا يجري الترابط في نص القرآن في كل موضوعاته النصية.

1.2.2.1.4.2 الإحالة الداخلية (النصية): قبلية وبعدية

الإحالة النصية القبلية أو الإحالة بالعودة: وهي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري سابق أو مذكور قبله في النص، إذ يقوم العنصر الإحالي مقام العنصر الإشاري عوضا عن تكرار ظهوره للاختصار، لذلك تسمى العناصر الإشارية بالمعوضات، وتشتمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد وهو الإحالة التكرارية (Epanaphora) وتمثل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام.[1] ومن الإحالة القبلية، اسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى: (فَلَما ذَهبواْ بِهِ وَأجمعواْ أَن يجعلُوه فِي غَيابةِ الْجب وَأوحينَا إليه لَتُنَبِّئَنهم بِأَمرِهِم هـذَا وهم لاَ يشْعرون)[2]. فقد أحال إحالة نصية قبلية على عنصر إشاري نصي (مضمون) وهو تآمر إخوة يوسف.

الإحالة النصية البعدية أو الإحالة على اللاحق: وهي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري لاحق أو مذكور بعده في النص. ومن ذلك ضمير الشأن في العربية أو غيرها من الأساليب[3]. قال تعالى: (وقَالَ الذِي اشْتَراه مِن مصر لامرأَتِهِ

1 - الزناد، نسيج النص، ص 119.

2- سورة يوسف آية 25 .

3- الزناد، نسيج النص، ص119

أَكْرِمِي مثْواه)[1] فالاسم الموصول (الذِي) إحالة بعدية؛ فالعنصر الإشاري المحال عليه أتى ذكره لاحقا في النص.

2.2.2.1.4.2 الإحالة النصية من حيث مكان العنصر الإشاري

وهي ثلاثة أنواع:

أولا: إحالة داخل الجملة النصية. إذا أحيل على العنصر الإشاري من داخل جملته، سواء أحيل عليه بعنصر واحد أو بمجموعة إحالية، شرط ألّا يذكر العنصر الإشاري غير مرة، نحو قوله تعالى: (وقَالَ الآخَر ِإني َأرانِي َأحمِلُ فَوقَ رأْسِي خُبزا تأْكُلُ الطير مِنْه نَبئْنَا بِتأْوِيلِهِ إِنا نَراك مِن الْمحسِنِين)[2]. فإذا نظرنا إلى العنصر الإشاري (خُبزا) وتتبعنا النص لا نجد له ذكرا في موضع آخر في النص بنفس الدلالة، وأحيل عليه من جملته فقط. (انظر تحليل الآية 36، ص144، 146). فذكر العنصر الإشاري أكثر من مرة في أي موضع من النص سابقا أو لاحقا يخرج الإحالة عن حدود الجملة النصية؛ لأن العناصر الإحالية تحيل داخل النص دون التقيد بشرط المكان للعنصر الإشاري. فلا تحكم بالرتبة.

ثانيا: إحالة داخل مقطع أو مقاطع نصية

وهي عودة العنصر الإحالي على العنصر الإشاري اللغوي؛ المعجمي أو النصي في مقطع أو مقاطع أخرى من الموضوع، نحو قوله تعالى: (ذَلِك مِن َأنباء الْغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيك)[3] فاسم الإشارة يحيل على أكثر من عنصر إشاري نصي في قصة يوسف وفي أكثر من مقطع نصي، وضمير المخاطب في (إِلَيك) يحيل على عنصر إشاري معجمي ملفوظ؛ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقد ورد ذكره في مواطن أخرى من نص القرآن.

1- سورة يوسف، آية 21.

2- سورة يوسف، آية 36.

3- سورة يوسف، آية 102.

ثالثا: إحالة نص عامة

وفيها يعود العنصر الإحالي على عموم عناصر النص الإشارية، أو عموم النص نحو قوله تعالى: (الر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْمبِين* إنا أنزلْنَاه قُرآنًا عربِيا لعلكُم تَعقِلُون)[1]. إذ أحال اسم الإشارة (تِلْك) على جميع آيات القرآن، فكل آية فيه عنصر إشاري، وأحال ضمير الغيبة المتصل الهاء في (أنزلْنَاه) على القرآن الكريم، ولفظ القرآن عنصر إشاري يمثل عموم النص بالإجمال.

3.2.2.1.4.2 المدى في الإحالة النصية

وهو نوعان:

الأول: إحالة نصية قريبة: وهي الإحالة على عنصر إشاري داخل الموضوع النصي، وهي على نوعين أيضا:

الإحالة داخل الجملة النصية أو المقطع النصي الواحد. وفيها يحيل العنصر الإحالي على عنصر إشاري داخل الجملة أو المقطع الواحد. نحو قوله تعالى: (وقَالَ الْملِك إني أرى سبع بقَراتٍ سِمانٍ يأْكُلُهن سبع عِجافٌ وسبع سنبلاتٍ خُضرٍ وأُخَر يابِساتٍ يا أيها الْملأ أَفْتُونِي فِي رؤْياي)[2] فضمير المتكلم الياء في قوله تعالى: (أَفْتُونِي فِي رؤْياي) يحيل على عنصر إشاري داخل الآية وضمن مقطع يتحدث عن قصة يوسف والملك.

إحالة داخل الموضوع النصي: وهي إحالة على عنصر إشاري خارج المقطع النصي للعنصر الإحالي، وضمن حدود الموضوع النصي للنصوص ذات الموضوعات المتعددة، وتتوفر في نصوص دون أخرى، وهي إحالة ذات مدى أبعد من الإحالة داخل الجملة أو المقطع الواحد، ويقوم الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول والظرف أو العنصر المعجمي الإحالي بهذا النوع من الإحالات كما في قوله تعالى: (وكَذَلِك مكنا لِيوسفَ فِي الأَرضِ ولِنُعلمه مِن تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ واللّه

1- سورة يوسف، آية1، 2.

2- سورة يوسف، آية 43.

غَالِب علَى أَمرِهِ ولَـكِن أَكْثَر الناسِ لاَ يعلَمون)[1]. فقد أحال اسم الإشارة (كَذَلِك) على أكثر من عنصرٍ إشاري نصي غير معجمي؛ وهو مضمون مقاطع سابقة: محنة يوسف مع إخوته والسيارة الذين شروه وبيعه.

الثانية: إحالة نصية بعيدة: وهي الإحالة على عنصر إشاري موجود في موضـوع آخر من النص العام، كإحالة الاسم الموصول وضمير الجماعة في قوله تعالى: (إِلا الَذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وتَواصوا بِالْحق وتَواصوا بِالصبرِ)[2]. فقد أحالا على عناصر إشارية في سور (موضوعات) أخرى في نص القرآن. وقد يحيل العنـصر الإحالي إحالة قريبه وبعيدة في النص (متعدد الموضوعات) نحو إحالـة العنـصر المعجمي (قصص) في قوله تعالى (لَقَد كَان فِي قَصصِهِم عِبرةٌ لِّأُولِي الأَلْبـابِ)[3]. فقد أحال على قصة يوسف في سورة يوسف وأحال على قصص أخرى في القرآن، وقصص لم تذكر، فالإحالة داخلية نصية: قريبة وبعيدة. وإحالة اسم الإشارة (تلـك) في بداية سورة يوسف إحالة نصية عامة قريبة وبعيدة.

ولكون الإحالة ذات بنية دلالية فإنه يشترط وجوبا في كل مضمر أن يكـون لـه مفسر مناسب يحكمه (عنصر إشاري)، وهذا التحكم يتم بغض النظـر عـن موقـع المفسر، سواء كان سابقا عليه أو لاحقا، فيجوز تقدم المضمر على المفـسر ومنـه الإحالة البعدية، على اعتبار أن القواعد اللغوية تجري حسب ترتيب اعتباري معين، يتمثل هذا الترتيب في تقديم إجراء قواعد الإضمار على إجراء قواعد التصرف في رتب العناصر في اللفظ[4].

ينقسم المضمر على ضوء مبدأ التحكم من حيث الوجود أو الغياب إلى نوعين:

مضمر مربوط (Bound): وهو الذي يتوفر له مفسر يحكمه في النص.

---

1 - سورة يوسف، آية 21.

2- سورة العصر، آية 3.

3- سورة يوسف، آية 111.

4 - الشاوش، محمد، 1421هـ - 2001م، أصول تحليل الخطاب، في النظرية النّحوية العربية، "تأسيس" نحو النص"، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ص1224.

مضمر حر (Free): وهو ما كان على خلاف الأول كما في قوله تعالى: (إنه لاَ يفْلِح الظاِلمون)[1] فضمير الغيبة (الهاء) لا يعود على مفسر محدد، وإنما يقع التحديد بتوجيه دلالي من قبل منتج النص أو بتأويل من متلقي النص، "ومن المضمر الحر في العربية ما يحيل عليه الاسم الموصول المشترك"[2].

3.1.4.2 العناصر الإحالية

1.3.1.4.2 العنصر الإحالي

العنصر الإحالي هو كل مكون يحتاج في فهمه مكونا آخر يفسره؛ وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النص الإحالية.[3] وعلى سهولة التعريف للعنـصر الإحـالي ووضوحه إلا أنه يبقى بحاجة إلى التأطير، فهناك من يجعل الضمائر عناصر إحالية ومنهم من يجعلها عناصر تكرارية، ولكل تسويغه المقبول، وينطلقون مـن الناحيـة الدلالية؛ يقول الشاوش: وكل عنصر يحيل إلى خارجه فهو عنصر إحـالي فقولنـا: (أشهد أن محمدا رسول الله) يحيل العنصر الإحالي (محمد) إلى خارجه كما يحيـل الضمير، وضمير المتكلم لا يختلف عن سائر الأسماء في إحالته على خارج خاص يوافق في كل استعمال كائنا واحدا [4]. ويرى الفقي "أن الضمائر التي تحيل إلـى الله تعالى في سورة الفاتحة نوع من التكرار ذلك لأن الضمائر تحـل محـل الأسـماء الظاهرة"[5]. وعلى هذا ومثله قد نصل إلى القول أن اللغة برمتها عنـصر إحـالي والدلالة عنصر إشاري.

تنقسم الإحالة إلى قسمين[6] من حيث نوع العنصر الإشاري المحال عليه:

عنصر إحالي معجمي: ويعود على مكون مفسر له يدل على ذات أو مفهوم مجرد. وعدد العناصر الإحالية كبير في المعجم، ونظامه محكم في عمله، فإحصاء

1- سورة يوسف، آية 23 .

2 - الزناد، نسيج النص، ص 123. انظر الفقي، علم اللغة النصي، ج1 ص25.

3 - الزناد، نسيج النص، ص131.

4 - الشاوش، أصول تحليل الخطاب، مج2، ص1076.

5 - الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص25.

6 - الزناد، نسيج النص، ص 132.

الضمائر وأسماء الإشارة وعلامات المطابقة والموصولات الاسمية وكذلك الأحكام الموجودة في نظام كل واحد منهما وفي النظام الذي يجمعها في اللغة(النحو) يثبتان ذلك؛ فهي عناصر ضرورية في كل ملفوظ[1]. ومن العناصر المعجمية يوسف عليه السلام وامرأة العزيز في قوله تعالى (وراودتْه الِتي هو فِي بيتِها عن نفْسِهِ)[2]. إذ عادت العناصر الإحالية، الهاء في راودته، والاسم الموصول (التي)، والضمير المنفصل هو، والهاء في (بيتها ونفسه) على ذوات، وتعود الإحالة النصية على مفسر هو ذات أو مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي) وتتوفر في نصوص دون أخرى[3].

عنصر إحالي نصي: (Element anaphorique textual) ويعود على مكون مفسر له يمثل مقطعا من النص، وعددها محدود في المعجم، ثم إن اللغة لم تخصها بنظام تركيبي يحكم استعمالها، وإنما تجري جريان الأسماء الصريحة فيها[4]. والعنصر الإحالي الاسمي: اسم الإشارة، والموصول، وظرف الزمان، يتميز بالإحالة الموسعة، إذ يحيل بعضها على عنصر إشاري نصي تفصيلي عام، يمثل مقطعا نصيا ومقاطع من الموضوع النصي، وكل مواضيع النص، داخل النص العام. ومن ذلك اسم الإشارة (تلك) في قوله تعالى (الر تِلْك آياتُ الْكِتَابِ الْمبِين)[5]. إذ أحالت على جميع آيات الكتاب في جميع سوره (موضوعاته). وقد تؤديها ألفاظ من قبيل: (قصة، خبر، رأي، فعل)[6].

الإحالات ثلاث: المقامية، والنصية، والمشتركة، وكلها يحكمها العنصر الإشاري، فإذا كان داخل النص لفظا ودلالة وأحيل عليه فالإحالة نصية، وإذا كان خارج النص لفظا وأحيل عليه فالإحالة مقامية، وإذا كان العنصر الإشاري داخل

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص 23.

2- سورة يوسف، آية 23 .

3 - الزناد، نسيج النص، ص 119.

4 - المرجع نفسه، ص، 132.

5- سورة يوسف، آية1.

6 - الزناد، نسيج النص، ص 119.

النص لفظا ودلالة أو داخل النص لفظا ودلّ على ما هو خارج النص فالإحالة مشتركة نحو قوله تعالى: (وما أَكْثَر الناسِ ولَو حرصتَ بِموْمِنِين* وما تَسأَلُهم علَيهِ مِن أَجرٍ إِن هو إِلا ذِكْر للْعالَمِين)[1]. (انظر تحليل الآيتين، ص 187، 188)

وفي مفهوم الإحالة على عنصر نصي نجد ما قاله الزمخشري مثلا في توضيح مدلول اسم الإشارة (ذلكن) في قوله تعالى: (قَالَتْ فَذَلِكُن الذِي لُمتُنِني فِيهِ ولَقَد راودته عن نفْسِهِ)[2] فقال ويجوز أن تكون الإشارة إلى المعنى بقولهن: عشقت عبدها الكنعاني. تقول: هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن، ثم لمتنني فيه. تعني: أنكن لم تصورنه بحق صورته، ولو صورتُنه، بما عاينتن لعذرتنّي في الافتتان به "[3].

2.3.1.4.2 عامل الإحالة الرئيسي

عامل الإحالة الرئيسي يحكم وحدة النص، ويحقق التماسك النصي، بعودة العناصر الإحالية إليه، وعلى رأس هذه العوامل:

منتج النص فهو الجامع الأساسي الذي يضبط النص بكل تفاصيله الرئيسية والفرعية، وأكثر الإحالات المقامية إليه.

المتلفظ داخل النص. مثل: يوسف وإخوته وامرأة العزيز وغيرهم، ويحال إليه بالمضمرات، وهي عناصر فاعلة داخل النص.

ما هو مضمون تعود عليه اللغة.[4]

3.3.1.4.2 المجموعة الإحالية الرئيسية

وتتكون من وحدة أو وحدات إحالية رئيسية تجمع بين العناصر المكونة لها العودة على عنصر إشاري واحد، وتنقسم هذه المجموعة إلى وحدة أو وحدات إحالية رئيسية. والمعيار في هذا الانقسام هو التركيب النحوي، وكذلك نوع الإحالة كانقسام

1- سورة يوسف، آية، 103، 104.

2 - سورة يوسف، آية32.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص464.

4 - الزناد، نسيج النص، ص 124.

الضمائر العائدة على عنصر إشاري واحد في النص إلى ضمائر الغياب وضمائر الخطاب حسب مجال ورودها، والعناصر التي ترد في مكون نحوي واحد تشكل مجموعة إحالية رئيسية واحدة.[1] نحو قوله تعالى: (الر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْمُبِين)[2]. (انظر تحليل الآية ص 104-109).

4.3.1.4.2 الوحدة الإحالية الرئيسية

وهي توافق حدود الجملة النحوية في النص. وهذه الجملة بسيطة أو مركبة تحتوي على جملة أو جمل فرعية. ويوافق عدد الوحدات الإحالية الرئيسية عدد الجمل المستقلة التي تشتمل عنصر أو عناصر إحالية تعود على مفسر واحد. فهي تتكون من عنصر إحالي فقط أو من عنصر إحالي ومجموعة إحالية صغرى.[3] وهي الجملة النصية بما تحتوي من جمل فرعية نحو قوله تعالى: (وجاء إِخْوَةُ يوسفَ فَدخَلُوا علَيهِ فَعرفَهم وهم لَه منكِرون)[4] فمجموعة العناصر الإحالية، الضمائر المنفصلة والمتصلة في الجمل الفرعية التي أحالت على العنصر الإشاري إخوة يوسف، شكلت مع بعضها وحدة إحالية رئيسية.

5.3.1.4.2 المجموعة الإحالية الصغرى

وهي توافق تركيبيا الجملة الفرعية أو أحد المركبات النحوية التي تشتمل على عنصر إحالي أو أكثر، يعود على العنصر الإشاري الذي يحكم الوحدة الإشارية الرئيسية.[5] قال تعالى: (قَالُوا أَإِنك لأَنتَ يوسفُ قَالَ أَنَا يوسفُ وهـذَا أَخِي قَد من اللّه علَينَا إِنه من يتقِ ويصبِر فَإِن اللّه لاَ يضِيع أَجر الْمحسِنِين)[6]. فقوله تعالى: (قَالَ أَنَاْ يوسفُ) يتكون من جملة فرعية فيها عنصر إشاري وهو يوسف عليه

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص 137.

2- سورة يوسف، آية 1.

3 - الزناد، نسيج النص، ص 138.

4- سورة يوسف، آية، 58.

5 - الزناد، نسيج النص، ص 138.

6- سورة يوسف، آية، 90.

السلام، ومجموعة إحالية تعود عليه تتكون من عنصرين إحاليين هما: الضمير المستتر في (قَالَ) والضمير المنفصل (أَنَا)، والعنصر الإشاري يحكم عناصر إحالية أخرى في الجملة النصية، بالإضافة إلى العلاقة الإسنادية كرابط بياني في الجملة الفرعية.

6.3.1.4.2 الوحدة الإحالية الصغرى

تتكون من عنصر إحالي أو أكثر.[1] ويمكن إيضاحها في أبسط صورة في التركيب النحوي، نحو قوله تعالى: (وهـ ـذَا أَخِي)[2] تكونت من عنصرين إحاليين، وكل عنصر أحال على عنصر إشاري، فاسم الإشارة أحال على الأخ (بنيامين) والضمير في (أخي) أحال على يوسف، بالإضافة إلى العلاقة الإسنادية كرابط بياني في الجملة الفرعية.

4.1.4.2 مفهوم الإشارة

الإشارة مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه. ومن ذلك: (الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذا، هذه). وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه. وينحصر دور هذه العناصر في تعيين المرجع الذي تشير إليه، وهي بذلك تضبط المقام الإشاري وتتعلق دلالة هذه العناصر بالمقام الإشاري لأنها غير ذات معنى في ذاتها، ما لم يتعين ما تشير إليه، فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر، وهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء وتتخذ محتوى مما تشير إليه[3]**.**ومفهوم الإشارة هنا ينطبق على المبهمات "ومن الأسماء مبهمات لكنها تدل على معنى في ذاتها لا

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص 138.

2- سورة يوسف، آية، 90.

3- الزناد، نسيج النص، ص، 116.

على معنى غيرها. أما الحروف فهي وإن جاز أن تعد من المبهمات فمعناها لا يكون إلا في غيرها"[1]

وعلى ذلك فالنداء عنصر إحالي إشاري نحو قوله تعالى: (يا صاحِبي السجن أأرباب متَفَرقُون خَير)[2]. فقد أحال على عنصر إشاري، وهو المنادى، لافتقاره إلى المفسر كما الضمير، وعليه تقترح الدراسة إضافة النداء إلى أدوات الإحالة.

يقوم السياق بمضمونه بإكساب العناصر الإشارية إشاريتها، والعنصر المؤشر إليه يحمل علامات لغوية تثب له الدلالة الخاصة به، ويأخذ موقعا نصيا، ويعتبر مرجعا إشاريا في النص، كلما كان موضع أكبر عدد ممكن من العناصر الإحالية.

ومن الأفعال ما يعتبر من المؤشرات على قلة نحو قوله تعالى: (قالَ ما خَطْبكُن إذ راودتن يوسفَ عن نفْسِهِ)[3] فالفعل راودتن، أشار إلى مراودة النسوة ليوسف عليه السلام، إذ توسعت الإشارة حاليا لتشمل مدى واسعا جدا من الظواهر بما فيها ظروف الإشارة (هنا، وهناك) وزمن الفعل (ماض، مضارع، مستقبل) وفوارق معجمية مثل: (يأتي) مقابل (يذهب)[4].ومكرر العنصر الإشاري يحمل مضمون العنصر الإحالي.

5.1.4.2 وسائل الاتساق الإحالية

1.5.1.4.2 الإحالات

الإحالات ثلاث: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة.

1.1.5.1.4.2 الضمائر

وهي عناصر لغوية تحتاج إلى مفسر تعود عليه، يوضحها ويكشف عن مدلولها، وهي من أكثر العناصر الإحالية فعالية في تماسك النص، وذات مدى بعيد.

---

1 - الشاوش، أصول تحليل الخطاب، مج2، ص1052.

2- سورة يوسف آية، 39.

3- سورة يوسف، آية 51 .

4- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص 252.

وتقوم هذه العناصر على مفهوم دور الشخوص المشاركة في عملية التلفظ، وغير بعيد من هذا إجراء لفظ (الضمير) عند النحاة العرب على الوحدات الدالة على الشخص؛ وهو يتعلق بمفهوم الخفاء والدقة وكذلك الباطن.[1] وتتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب إلى فرعين كبيرين متقابلين هما ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتلقي؛ أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد؛ فضمائر الحضور أكثر تفصيلا من ضمائر الغياب، وهذا يرتبط بأولوية الشخوص المشاركة في عملية التلفظ[2]. وهناك من قسمها إلى قسمين:

1- ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، نحن،هو، هم، هن،... الخ.

2- ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابنا... الخ.

العنصر الإشاري يحكم عمل الضمائر ووجودها، والضمير عادة يفسره ظاهر يتقدم عليه، خاصة ضمائر الشخص، فلا يجوز الإضمار إلا بعد معرفة من السامع، والمضمر يشبه الحرف في أنه لا يستبد بنفسه أو أنه يدل على معنى فـي غيـره، وبذلك يعد المضمر جزءا من المظهر.[3]، وأما ضمير الشأن فله استخدام خاص، أنه كناية عن الجملة بعده، وتكون الجملة خبرا له وتفسيرا، ولذا يطلق عليـه (ضـمير الجملة)، وهناك من يقول إنه يعود على السابق وفيه توكيد للمحال إليـه، وعودتـه على الظاهر اللاحق تفسير وتوضيح[4]. ومنه قوله تعالى: (فَصرفَ عنْه كيدهن إنه هو السمِيع الْعلِيم)[5] (انظر تحليل الآية، ص143-144)، وهذه الآراء تتحكم بهـا الدلالة، وما دامت الدلالة بالعودة على السابق أو اللاحق واضحة لا لبس فيهـا، ولا

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص 117.

2 - المرجع نفسه، ص 117.

3 - بحيري، سعيد حسن، (د.ت)، دراسات لغوية تطبيقية، في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص97.

4 - المرجع نفسه، ص109.

5 سورة يوسف، آية 34.

يترتب عليها خلل دلالي، فلا تقف القيود النحوية التركيبية مانعة من الإحالة على السابق أو اللاحق، ولكن لا بد من المظهر لذلك المضمر.

تقوم الضمائر بأكثر ادوار الإحالة "وتكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية؛ فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل."[1] ومن خلال الدور الإحالي النصي للضمائر يظهر أثر تقسيماتها، فتقسيمها إلى ضمائر ظاهرة ومستترة، ومن حيث الاتصال: إلى منفصلة ومتصلة، ومن حيث المدلول: ضمائر الحضور والغيبة، ومن حيث الجنس: مذكر(هو)، ومؤنث(هي)، ومشترك (نحن)، ومن حيث العدد: الإفراد والتثنية والجمع –يجعلها قادرة على تخصيص العنصر الإشاري المحال عليه بدقة أكثر من الأسماء الإحالية، كأسماء الإشارة مثلا، ومن ذلك اسم الإشارة والضمير في قوله تعالى (وكَذَلِكَ مكنا لِيوسفَ فِي الأَرضِ يتَبوأُ مِنْها حيثُ يشَاء نُصِيب بِرحمتِنَا من نشَاء ولاَ نُضِيع أَجر الْمحسِنِين)[2] وقوله تعالى: (فَبدأَ بِأَوعِيتِهِم قَبلَ وِعاء أَخِيهِ ثُم استَخْرجها مِن وِعاء أَخِيهِ كَذَلِك كِدنَا لِيوسفَ ما كَان لِيأْخُذَ أَخَاه فِي دِينِ الْملِكِ إِلا أَن يشَاء اللّه نَرفَع درجاتٍ من نشَاء وفَوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ علِيم)[3] فاسم الإشارة ذلك أحال على تفاصيل حدث التمكين، وكذلك في الآية الثانية فقد أحال اسم الإشارة على حادثة وضع يوسف الصواع في رحل أخيه. أما الضمير في كلتا الآيتين فقد أحال على مفرد وإن أحال في الأولى على الأرض في (يتَبوأُ مِنْها) إلا أنها إحالة ذات دلالة محدودة ليست بتفصيلات الأسماء الإحالية، فقد أحال على الاسم كاسم محدد، بينما اسم الإشارة أحال على الحدث بتفاصيله، وفيه شمولية، وعند مراجعة الإحالة الإشارية في الآية الأولى نجد اسم الإشارة قد وسع نص القرآن بتفاصيل آياته.

ومن الإشارات على إحالة الضمير عند القدماء ما ذكر الزمخشري عن الضمير في قوله تعالى: (واستَعِينُواْ بِالصبرِ والصلاَةِ وإِنها لَكَبِيرةٌ إِلا علَى

---

1 - الفقي، علم اللغة النصي ، ج1 ص137.

2- سورة يوسف آية، 56

الْخَاشِعِين)[1] فالضمير في (إنّها) يعود على خطاب سابق موجه إلى بني إسرائيل[2] مجموعه خمس آيات وهي: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم... وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون).

ما حدود مفهوم الإحالة؟ أهي الأداة أم وظيفتها؟ يرى الفقي مثلا "أن الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى في سورة الفاتحة نوع من التكرار؛ ذلك لأن الضمائر تحل محل الأسماء الظاهرة"[3]، وهو بذلك يوسع باب التكرار على حساب الإحالات في حين أن الشاوش[4] يرى عدم توسيع باب المقارنة حتى لا تبتلع دور غيرها، ومرد هذه الاستدراكات عند الدارسين عدم ثبوت الأطر لنحو النص بعد.

2.1.5.1.4.2 أسماء الإشارة

أسماء الإشارة مبهمات لأنها تقع على كل شيء أولا، ولأنها لا تخص شيئا دون شيء، ويلزمها البيان عند الالتباس، وعدت من الحروف بدليل ثبوت النون معها نحو: (ذانك، وتانك)، فلو كانت أسماء لوجب حذف النون وجرها بالإضافة. فقد ربط النحاة الإشارة بالحروف، وهم بذلك قد فطنوا إلى وظيفتها في الاستعمال، فقد تكون بديلا عن مفرد أو جملة أو نص، وتشترك مع ضمير الغيبة غالبا، لتشكل حكما في قضية سابقة أو تنقل ما سبق، لينسحب على ما يلحق[5]،وتستخدم في التكثيف لأنها تشير إلى عدد كبير من الأحداث فتفيد الاختصار والبعد عن التكرار. كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنباء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)[6]. فقد ربط اسم الإشارة كل مقاطع أحداث قصة يوسف (انظر تحليل الآية ص 185-187).

---

1 - سورة البقرة، آية 45.

2 - الزمخشري، الكشاف، ج1، 126-127.

3 - الفقي، علم اللغة النصي ، 129.

4 - الشاوش، أصول تحليل الخطاب،مج1، ص130.

5 - بحيري، دراسات لغوية تطبيقية ص127- 129 .

6 - سورة يوسف، آية 102.

ويمكن ترتيب أسماء الإشارة حسب التصنيف الزمني أو المكاني أو القرب أو البعد. وتحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري. وهي تماما مثل الضمائر لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه[1]. وتقوم أسماء الإشارة بالربط القبلي والبعدي وهي تقوم بشتى أصنافها بالإحالة القبلية؛ بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق ومن ثم تسهم في اتساق النص[2].

واسم الإشارة المفرد يتميز (بالإحالة الموسعة) أي إمكانية الإحالة على جملة بأكملها أو متتالية من الجمل.[3] نحو قوله تعالى: (الر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْمِبِين)[4] فاسم الإشارة تلك يحيل على جميع آيات القرآن الكريم، ونحو اسم الإشارة (كذلك) في قوله تعالى: (وكَذَلِكَ مكنا لِيوسفَ فِي الأَرضِ)[5] وهي أوسع دلالة من الضمائر، وتشاركها في المدى الإحالي، وتشترك أسماء الإشارة مع الضمائر في الإحالة، مما ينتج قوة في التماسك على مستوى اللفظ والمعنى. وأسماء "الإشارة تعتمد على الجانب السياقي من معنى الوحدة الكلامية فهي العلاقة القائمة بين المتحدث (وعلى نحو أعم بين القائمين بعملية التحدث) وبين ما يتحدثون عنه في مناسبات معينة"[6]. وتوظيف آلية أسماء الإشارة في النص محكوم برؤية المنتج الذي يوظفها بطريقة رتيبة وفق رؤياه[7].

وأسماء الإشارة تشير إلى القريب بذا، وإذا أردت زيادة البعد زدت كاف الخطاب فقلت: ذاك، وإذا زاد بعد المشار إليه أتيت باللام مع الكاف، ويستفاد من اجتماعهما زيادة في التباعد.[8]

---

1 - الزناد، نسيج النص، ص118، 119.

2- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص 246.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 19.

4 - سورة يوسف آية1.

5 - سورة يوسف آية1.

6- لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص 243- 244 .

7- الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ص6.

8 - بحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص132.

3.1.5.1.4.2 المقارنة

المقارنة تعمل في ترابط النص وتقوم على طرفين يقوي أحدهما الآخر، فالمقارنة تقوي المقارن بالمقارن به فتعمل على "كسر القيد الدلالي عن المشبه وفتحه على احتمالات الدلالة التي يقدمها المشبه به"(1). "المقارنة: وجود عنصرين يقارن النص بينهما، وتنقسم إلى المطابقة والتشابه وتقوم على ألفاظ من مثل وصف الشيء بأنه شيء آخر أو يماثله أو يوازيه وبعضها يقوم على المخالفة كأن تقول يضاد أو يعاكس أو أفضل أو أكبر أو أجمل"(2).

والإيحاء مقرون مع المقارنة على مستوى النص في توجيه الدلالة من الغموض إلى الوضوح ومن التخيل إلى الحقيقة لرسم الصور المتعاقبة(3). وتعمل المقارنة من ناحية الصدق الفني في ربط أجزاء النص، فالمقارنة تقوم بوظيفة اتساقية في النص.(4) وتقسم إلى:

1- عامة. وتتفرع إلى: التطابق والتشابه والاختلاف.

2- خاصة. وتتفرع إلى: كمية، وكيفية.

المقارنة بابها واسع ووضعها مع الإحالات سيدخل جميع البنى الدلالية التركيبية التي تقتضي عنصرين اثنين إلى حيز الإحالات وبذلك تبتلع الإحالة معظم مقتضيات الدلالة والإعراب"(5) لذلك لم يتم تناولها بشكلها الموسع في الدراسة.

2.4.2 الوصل

وهو مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق، وذلك لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة

1- الجزار، محمد فكري،2001م، الخطاب الشعري عند محمود درويش، إيتراك للنشر والتوزيع القاهرة،ط1، ص 164.

2 - خطابي، لسانيات النص ص 19.

3- الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ص 68.

4- خطابي، لسانيات النص، ص 19.

5 - الشاوش، أصول تحليل الخطاب، مج1، ص130.

والاستبدال والحذف[1]. فالوصل "تحديد للطريقة التي يترابط بها السابق مع اللاحق بشكل منظم"[2].

ويشكل تناوب أدوات الوصل داخل النص أهمية كبيرة في إيجاد الترابط النصي، نحو ما بين أداة الوصل الإضافي والسببي (فَلَما) في قوله تعالى: (فَلَما سَمِعتْ بِمكْرِهِن أَرسلَتْ إليهن وأَعتَدتْ لَهن متكَأً وآتَتْ كُل واحدة منْهن سِكينًا وقَالَتِ اخْرج علَيهن فَلَما رأَينَه أَكْبرنَه وقَطعن أَيدِيهن وقُلْن حاشَ لِلّهِ ما هـذَا بشَرا إِن هـذَا إِلا ملَك كَرِيم)[3]. إذ ربط الوصل الإضافي بالفاء الآية مع سابقتها، وربط الوصل السببي من خلال أداته (لما) بين السبب (سمِعتْ) والنتيجة (أَرسلَتْ) وتتابع الربط الداخلي مع النتيجة من دون أداة، وجاء بالوصل الإضافي في المتعاطفات نحو: (وأَعتَدتْ لَهن متكَأً وآتَتْ كُل واحدة منْهن سِكينًا وقَالَتِ)، وعملت إعادة الوصل الإضافي والسببي مرة ثانية في اجتماعهما مع العطف بعدهما، نحو: (فَلَما رأَينَه أَكْبرنَه وقَطعن أَيدِيهن وقُلْن حاشَ لِلّهِ) على قوة التماسك، وأبرزت تتابع أحداث المشهد في الآية (الجملة النصية)، فأدوات العطف علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص.

ومن الوصل ما يقوم على روابط منطقية غير لفظية نحو: الوصل السببي القائم على العلاقة العامة؛ السبب والنتيجة، كالتتابع المنطقي بين الفعل وسبب حدوثه، وما بين القول ومقوله، والإجابة عن الاستفهام، وغيره مما ليس مجالا للبحث هنا، وأسماه الزناد الربط الخطي المنطقي[4]. إضافة إلى الترابط القائم على النواحي البيانية من تتابع جملي لا يحتاج إلى روابط ظاهرة كالنعت والمنعوت.

ومنه ما قام على روابط لفظية: كما في أدوات مثل: كي، لكن، لأن، لام التعليل. عدا عن أدوات العطف من مثل: الواو، وأم، و أو، وثم، والفاء. فهي حلقات تربط أجزاء الجسم الواحد ليبدو كلا متكاملا مع أدوات الاتساق الأخرى. وتعمل

1- خطابي، لسانيات النص، ص 23 .

2- المرجع نفسه، ص 23.

3- سورة يوسف آية، 31 .

4- الزناد، نسيج النص، ص 48.

أدوات الوصل المتمثلة بالفاء، و أو، و ثم، على الربط الخطي بين المتتاليات الجملية، ويؤدي استخدام العطف بين الجمل إلى الربط بين الألفاظ والترابط في المعاني وتكثيفها واختصار الكم الجملي وتوفير الاتساق للنص، وتعتبر أدوات الاستئناف وروابط الحال عناصر ربط في نحو الجملة، ويعمل الوصل على ترابط الجمل أو المتتاليات في النص من خلال وسائل متنوعة نحو: وصل إضافي، وعكسي، وسببي، وزمني.

الوصل الإضافي: وفيه "مطلق الجمع: ويربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين، وتؤدي إلى تكثيف الدلالة، والتخيير (Disjuntion) ويربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين.[1] ويتم بواسطة الأداتين (و) (أو) ويندرج ضمن الوصل الإضافي علاقات أخرى مثل:[2]

1. التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بتعبير من نوع بالمثل، أو أداة نحو قوله تعالى: (هَلْ آمَنُكُم عَلَيهِ إِلا كَمَا أَمِنتُكُم عَلَى أَخِيهِ مِن قَبلُ)[3]؛ أي تأمين يعقوب على بنيامين مع إخوته مثل تأمينهم على يوسف باستخدام أداة التشبيه. وبمفهوم المقارنة الواسع يدخل التماثل الدلالي إلى باب المقارنة.
2. علاقة الشرح وتتم بتعابير مثل: اعني، بتعبير آخر... .
3. علاقة المثيل، المتجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو... .

وأكثر الوصل استعمالا من خلال التحليل لسورة يوسف كان الوصل الإضافي بواو العطف.

وفي أهمية العطف في التماسك النصي من حيث الشكل والمضمون يقول الفقي: " العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه دلالية فالتماسك إذن شكلي الأداة

1- بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 346.

2- خطابي، لسانيات النص، ص23-24.

3 - سورة يوسف، آية، 64 .

دلالي المضمون والمعنى، لذلك لا تكتسب أداة العطف معناها العطفي إلا من خلال وقوعها في تركيب العطف"[1]

الوصل العكسي: الذي يعني (على عكس ما هو متوقع) مثل:(but، yet) وغيرها مثل (nevertheless)، (however ... ومنها في اللغة العربية: بل، لكن وغيرهما نحو ما جاء في قوله تعالى: (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمرا فَصبر جمِيلٌ)[2]. فيعقوب أضرب عن حجة أبنائه التي قدموها عن سبب عدم عودة أخيهم بنيامين معهم. وهذا الإضراب من خلال أداة الوصل العكسي (بل) أدى إلى ترابط هذه الآية مع الآيتين السابقتين من حيث توجيه الدلالة إلى التسويل فيتذكر المتلقي قصة يوسف مع الإخوة عند الجب.

الوصل السببي: ويمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر ويعبر عنه بعناصر مثل: (Therefore، Thus hence، so)، وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب ومنه الشرط بأدواته ... وهي علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب والنتيجة. ويعرف ابن القيم الروابط الشرطية بأنها الأدوات التي تجعل بين جملتين تلازما لم يفهم قبل دخولها".[3]

الوصل الزمني: ويجسد علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو: Then. وفي العربية نحو: حين، عند، ساعة...الخ.

وأدوات الوصل الزمني داخل النصوص كثيرة، "وتدل عليها الأفعال التامة والناقصة وكذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبية الأخرى في الجملة، ولكن الأفعال تبقى أوفر تلك الوسائل دقة واستعمالا".[4] "وعلاقة العِلّية والزمانية مهمتين في الترابط النصي فهي علاقة سببية من ناحية وعلاقة زمنية من ناحية أخرى، إن

---

1 - الفقي، علم اللغة النصي ، ج1، ص249.

2- سورة يوسف آية، 83 .

3 - عليان، يوسف سليمان،2002، التماسك النصي في اللغتين، العربية والانجليزية دراسة تقابلية في"الربط النحوي"، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص104.

4 - الزناد، نسيج النص، ص87.

كثرة اللحمات الدالة على العلية والزمانية تظهر أهمية هاتين العلاقتين لتنظم عالم النص".[1](انظر تحليل الآية الرابعة ص115-116).

أنواع العطف الوارد في التطبيق:

1- عطف لفظة على لفظة.

2- عطف جملة فرعية على أخرى.

3- عطف جملة نصية على أخرى. (انظر تحليل الآية 31،ص 139-141 والشكل "ج"، ص224).

ولأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص.

3.4.2 الاتساق المعجمي

يعد المستوى المعجمي المتمثل في المفردات المستقلة بمعناه معجميا عن السياق مادة أولية لا تمثل بعدا نصيا على مستوى الجملة البسيطة أو المركبة، ولكن عندما يعمد منتج النص إلى إنتاج فكرته يقوم على اختيار الألفاظ المنسجمة مع المعنى المقصود في الجملة المنضبط مع الدلالة الجامعة للنص، وهذا الاختيار يكون لبناء النص أو الجملة بنوعيها، ويتم وظيفيا لإنتاج فكرة النص أو إيصالها للمتلقي. فعماد الاتساق المعجمي هو المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات[2]. والوحدة المعجمية التي تدخل في علاقة اتساقية لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور وإنما يكون ذلك بحسب موقعها في النص[3]. وينقسم الاتساق المعجمي إلى نوعين:

1.3.4.2 التكرير (Reiteration)

يرى (خطابي) أن التكرير يقوم بالربط أولا، (الجمع بين الكلامين) والثانية فهي الوظيفة التداولية المعبر عنها بالخطاب؛ أي لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا

---

1 - بوجراند، النص الخطاب والإجراء، ص350.

2 - الشاوش، أصول تحليل الخطاب، مج1، ص138.

3 - فيهفجير، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص50.

الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها[1]. ويكون التكرير للحرف، والكلمة، والجملة، وأما الفقرات على قلة في بعض الأعمال. والتكرير شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا، أو اسما عاما نحو: شرعت في الصعود إلى القمة. فكلمة (الصعود) إعادة لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى، و(التسلق) مرادف للصعود و(العمل) اسم مطلق (superordinate) أو اسم عام، و(الشيء) كلمة تندرج ضمنها أيضا كلمة (الصعود)[2]. ومن تكرار الجملة ما جاء في قوله تعالى: (أَكَلَه الذِّئْب)[3]. فقد وردت تكريرا من الآية الثالثة عشرة. ومن تكرير المفرد، تكرير المرجع الإشاري يوسف في سورة يوسف، وأخوة يوسف، وامرأة العزيز. ويقوم التكرير على تقوية المعنى، ويؤدي إلى تكثيف المعاني في النص، ويؤكدها، مما يقوي دور اللغة في تأدية المعنى، وهذا يعني وضوحا أكثر للدلالة والخلاص من عناء التأويل لإيجاد الانسجام في النص وإبعاد النص عن التشتت.

ونرى في الشعر الحديث تكريرا لفقرات شعرية ونجد التكرير على صورة جديدة وذلك بترك فراغ في النص "تقنية الفراغات"[4]، وهذا يدل على أهمية المعنى المكرر، كما أن التكرير في موضعه المطلوب دليل على فضل للغة على المعنى، إذ لا يقوى المعنى على الظهور بالقوة المرسومة في وجدان المنتج لولا أسلوب التكرير كواحد من أساليب العربية، والإعادة "دعامة للقوة التوليدية لأنظمة الجملة".[5] كما ذكر (كاشير).

وتتطلب إعادة اللفظ وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد، ولكنها قد تؤدي إلى تضارب في النص حين يتكرر المشترك اللفظي مع اختلاف المدلولات، ومن شأن إعادة اللفظة من الناحية النفسية أن تصرف الانتباه عن عناصرها إلا في

1- خطابي، لسانيات النص، ص 179.

2- المرجع نفسه ، ص23- 25.

3- سورة يوسف، آية، 14 .

4 - الرواشدة، إشكالية التلقي والتأويل، ص159.

5 - بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 160.

حالات... وإذا كان مبدأ التكرار التعليمي مطبقا، فإن العناصر المكررة ينبغي أن تنطبع في الذاكرة. ويمكن لإعادة اللفظ أن يستعمل مع انتقال الوظيفة النحوية لعبارة ما، ويكيف العنصر المكرر بكيفية بيئته السياقية، ولكن اتحاد الإحالة يظل واضحا... ويمكن لإعادة اللفظ والعبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة أن تكون ضارة لأنها تحبط الإعلامية ما لم يكن هناك تحفيز قوي. ومن صواب طرق الصياغة أن تخالف ما بين العبارات بتقليبها بواسطة المترادفات، إلا أن يكون هناك اسم واحد للمدلول المطلوب.[1] والتكرير يجب أن يؤدي معنى داخل السياق "وينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام".[2]

التكرار يأتي على أنواع[3]

التكرار التام أو المحض: وهو تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد، كتكرار المرجع الإشاري يوسف عليه السلام ومنه تكرير الفعل جاء في الآيتين السادسة عشرة والثامنة عشرة . (انظر تحليل الآية 18 ص127-128)

التكرار الجزئي: وهو ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي مع اختلاف العنصر الإشاري المتصل به، نحو تكرار الفعل (جاء) لعدة أحوال من المجيء (انظر تحليل الآية 19، ص128-129)**.**

تكرار المعنى واللفظ مختلف ويشمل الترادف وشبه الترادف والعبارات الموازنة ومن الترادف ذكر يعقوب بلفظ العلمية والكنية بالأب، ومنه ذكر يوسف بالعلمية واللقب إذ لقب بعزيز مصر بعد موت عزيزها قطفير.

1- بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 304 - 306.

2- الملائكة، نازك، 1983م، قضايا الشعر المعاصر، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، ص246.

3 - أبو زنيد، عثمان حسين مسلم،2004م، نحو النص (دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ص116.

2.3.4.2 التضام (collocation)

وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة، فالعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما، هي علاقة التعارض من مثل: ولد، بنت، جلس، قعد، فلفظ الولد والبنت قد يردا في نص لا يعود فيه عليهما عنصر إحالي موحد ولكنهما يسهمان في النصية، ومنه ما بين الفعلين ذهبوا وجاءوا في قوله تعالى: (فَلَمّا ذَهبواْ بِهِ وَأَجمعواْ أَن يجعلُوه فِي غَيابةِ الْجب وَأَوحينَا إليه لَتُنَبِّئَنهم بِأَمرِهِم هـذَا وهم لاَ يشْعرون وجاؤُواْ أَباهم عِشَاء يبكُون)[1].

وهناك علاقات أخرى مثل: الكل- الجزء، أو الجزء- الجزء، أو عناصر من نفس القسم العام: كرسي، طاولة، وهما عنصران من اسم عام هو التجهيـز. ومـن علاقة الجزء بالكل التضام في قوله تعالى: (وقَالَ الآخَر إِني أَرانِي أَحمِلُ فَوقَ رأْسِي خُبزا تَأْكُلُ الطير مِنْه)[2]. فالخبز جزء من الطعام الوارد في قوله تعـالى: (قَـالَ لاَ يأْتِيكُما طَعام تُرزقَانِهِ إِلا نَبأْتُكُما بِتأْوِيلِهِ)[3] "ويكون التضام بأمرين إمـا (التـوارد) رصف الجملة، وإما أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنـصرا آخـر ويسمى (التلازم) أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى (التنافي)"[4]. فالتضاد والتنـافر يوسعان النص، فأيام الأسبوع التي لا يمكن جمع أحدهما وسبتهما تؤدي إلى التوسع، على خلاف الحذف والاشتمال اللذين يؤديان إلى الاختصار.

إن إرجاع الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائما أمـرا هينـا، لكـن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة، معتمدا على حدسه اللغوي وعلـى معرفتـه بمعـاني الكلمات وغير ذلك[5]، إذ يرى فيرث أننا "نعرف الكلمة بالمجموعة التي تلازمهـا" فتحديد التضام يرتكز على معنى الكلمات المفردة والأعراف المتبعة حول الـصحبة

1- سورة يوسف، آية، 15، 16 .

2- سورة يوسف، آية، 36.

3- سورة يوسف، آية، 37.

4- حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 217.

5- خطابي، لسانيات النص، ص 25.

التي تلتزمها[1]، والتضاد والتنافر اللفظي يؤديان إلى التضام الدلالي في النص؛ فالضد بالضد يعرف، فابيض واسود يبرزان المعاني المقصودة لدى المنتج. والتوارد اللفظي من التضام، ومن التوارد في سورة يوسف التراكيب التي دارت في فلك المراودة لسيدنا يوسف من امرأة العزيز، نحو: وغلقت الأبواب، وقالت هيت لك، وهمت به، واستبقا الباب، وقدت قميصه، وغير ذلك. (انظر تحليل الآيات، 23-30، ص131-139)، ومن التضام ما بين المسند والمسند إليه والصفة والموصوف إلا أنها لم تدخل الدراسة حتى لا يتسع الخرق على الراتق، ولكونها عناصر اتساق بيانية.

4.4.2 الحذف

الحذف "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، وإن الحذف أبلغ من الذكر وإن المتكلم يكون أكثر بيانا إذا لم يبن بعض الألفاظ".[2] وقد عد ابن جني في خصائصه الحذف في باب شجاعة العربية "اعلم أن معظم ذلك، إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف".[3]

يحدد هاليداي ورقية حسن الحذف بأنه "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[4]. ويمكن حذف "ما لا يعتبر فرضا تترتب عليه نتائج في بقية النص"[5]. والمعنى المقصود هو الذي يحكم طبيعة الحذف، ومدى وضوح الدلالة المقصودة من النص بعد الحذف، ووجود المؤشرات السابقة للمحذوف. إن الحذف على مستوى جملة واحدة لا يحقق التماسك بل على مستوى أكثر من جملة[6] والحذف في إطار

1- بالمر، علم الدلالة، إطار جديد، ص 147.

2 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص112.

3 - ابن جني الخصائص، ج2، ص360.

4- خطابي، لسانيات النص، ص 21.

5- فضل، بلاغة الخطاب، ص 332.

6 - خطابي، لسانيات النص، ص22.

الجملة أكثر استعمالا من النص، وفي النص المنوي أكثر استعمالا منه في النص الموجود.

الحذف من خصائص العربية التي تكسبها بلاغة، ويكسب اللغة الاختصار والاقتصاد، ويؤدي إلى الإيجاز وسرعة الإتاحة، في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية بشدة[1]. كما يمكن أن تحذف أدوات الربط؛ مما ينتج نوعا من سرعة الإيقاع وديناميكية التعبير[2]."واعلم أن العرب... إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد"[3].

الحذف على المستوى التركيبي من أهم نتائج الثقل إذا أمن اللبس أو الإجحاف بالمعنى أو اللفظ، وإذا لم يؤثر على وضوح المعنى، والعربية تميل إلى الإيجاز والاختصار للجمل والتراكيب حيث يطول العنصر اللغوي.[4] وإذا كان حذف الحرف للتخفيف، فحذف الكلمة والجملة من باب أولى بدلالة السياق. الحذف عنصر من عناصر الاتساق فهو منوي في ذهن المتكلم، والمحذوف كالمذكور، خاصة إذا وجد دليل عليه.[5] فحذف المكون الثاني أولى من الأول لدلالة الأول على الثاني "فإذا دار الأمر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى"[6] وأهمية وجود الدليل المقالي والمقامي في الحذف تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة ويحقق التماسك النصي بين جملة أو مجموعة من الجمل.[7]

1- بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص345.

2 - فضل، بلاغة الخطاب، ص 276.

3- ابن جني الخصائص، ج1، ص260.

4- عفيفي، احمد، رجب 1417هـ - نوفمبر، 1996م، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، ص 274.

5 - الفقي، علم اللغة النصي ج1 ص221.

6 - ابن هشام، مغني اللبيب ، ج2، ص162.

7 - الفقي، علم اللغة النصي ج2، ص208.

وبمقارنة الحذف مع الاستبدال نجد "أن علاقة الاستبدال تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، فيما علاقة الحذف لا تخاف أثرا، إذ لا يحل بدل المحذوف شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا، يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق، والحذف على مستوى الجملة الواحدة غير مهم من حيث الاتساق النصي، ويجب البحث عنه من خلال الجمل وليس داخل الجملة الواحدة"[1].

الحذف آلية المنتج للنص؛ بحيث يتحكم بالدلالة وضوحا وغموضا وفق اعتبارات قد يكون منها خضوع النص للرقابة، ومحاولة المبدع الإشارة إلى جزئية مهمة محذوفة وحقها الحضور أو محاولة المبدع تحفيز المتلقي واجتلابه وإشراكه في إنتاج النص[2]. والحذف ثلاثة أنواع: اسمي وفعلي وقولي[3].

يتمثل الحذف في اختزال بعض عناصر الجملة اللازمة في السياق العادي، وهو مجاز يعود إلى نزعة الاقتصاد في الكلام ما دام المقصود مفهوما من السياق، وقد يكون هذا الحذف في جملة تالية اعتماداً على وجود العنصر المحذوف في جملة سابقة[4]. ومن الحذف ما يعرف "بتقنية الفراغات"[5]

ويأتي الحذف من عدة أساليب منها:

الإشغال: ويمكن أن يعتبر الإشغال النحوي من قبيل الحذف أيضا، كما يمكن أن تحذف أدوات الربط في مثل هذه الجمل؛ مما ينتج نوعا من سرعة الإيقاع وديناميكية التعبير[6]، الإشغال فيه عودة الضمير على متقدم ويمكن اعتباره في باب الإحالة القبلية.

1- خطابي، لسانيات النص، ص 21- 22.

2- الرواشدة، إشكالية التلقي والتأويل، ط1. ص163.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 22.

4- فضل، بلاغة الخطاب، ص 275.

5 - الرواشدة، إشكالية التلقي والتأويل، ص159.

6- فضل، بلاغة الخطاب، ص276.

الاختيار: وهو حذف بعض المعلومات وإبقاء بعضها الآخر، مع مراعاة وضوح العلاقة بين المحذوف والمتروك[1]. وهنا نجد التداخل مع الاستبدال، إذ يمكن اعتبار الاختيار من باب الاستبدال.

التعميم: ويقتضي حذف بعض البيانات الجوهرية، مثل: (عصفور، قط، كلب) ويمكن أن تحل محلها (حيوانات أليفة)[2]. وتعتبر المصطلحات من التعميمات التي تؤدي دور الحذف للجمل والنصوص، فمصطلح: الإسلام، يختصر مفهوم فكرة الدين الإسلامي، والرأسمالية تختصر مفهوم فكرة النظام الرأسمالي؛ أي اختصار نصي، أو أن التعميمات من باب الكلمات التي تشكل دلالة جامعة وتعد نصوصا منوية.

التكوين أو البناء: فأي موقف يتطلب مجموعة من الشروط والمواصفات والنتائج التي يمكن أن تكون في جملتها مفهوما عاما كليا، يمكن إعادة تكوينه في جملة واحدة[3]. فإذا أردت أن تسافر بالطائرة فعليك أن تذهب إلى المطار لشراء التذكرة والصعود بعدها إلى الطائرة، ثم الإقلاع، كل هذا يمكن إعادة تكوينه في جملة واحدة (السفر في الطائرة). ويمكن اعتبار هذا النوع من التضام قائما على التفصيل والإجمال.

وأثر الحذف في معنى النص خاصة المنوي أكبر من أثره على المعنى في جملة النظام المستقلة، ففي مقطع نصي يتحدث عن فكرة التعاون نحو: إن الشرائع السماوية أمرت بالإنسانية وربط الشعوب تحت مظلة التعاون والتعارف، فالكون وحدة واحدة...الخ. فقد حذفت مسميات الشرائع السماوية مثل: المسيحية والإسلام وغير ذلك مما أنزل الله تعالى بدليل السياق، وإذا اعتبرنا التعميم والتكوين من الحذف فكل مفردة من المحذوفات تمثل نصا محذوفا، فأثر الحذف في النص دلاليا أكبر من حذف مفردة أو حرف من جملة.

1- فضل، بلاغة الخطاب، ص334.

2- المرجع نفسه ص334.

3- المرجع نفسه، ص335.

الحذف في نحو النص يكون في مفردة نصية أو جملة نصية أو مقطع نصي، أو موضوع من موضوعات النص، أما حذف الكلمة أو الحروف فمن نحو الجملة، لأن حذف الحرف لا يؤثر في المعنى النصي. نحو: حذف الياء من (يسري) في قوله تعالى (والليل إذا يسر* هل في ذلك قسم لذي حجر)[1] للحفاظ على موسيقى الكلام. فإذا أمن اللبس في المعنى أمكن الحذف لأن المعنى مدار الشكل اللغوي وهدفه.

وبناء على مفهوم الجملة والنص فالحذف نوعان:

حذف جملة: وهو ما كان أثره الدلالي أو الارتباط المرجعي له في حدود الجملة نحو قوله تعالى: (فَصبر جمِيلٌ واللّه الْمستَعان)[2] على تقدير المحذوف صبري، أي صبري صبر جميل، فالأثر الدلالي للمحذوف في حدود الجملة، خاصة في الجمل التي يمكن أن تغادر نصها.

حذف نصي: وهو ما كان أثره الدلالي أو الارتباط المرجعي له يتعدى الجملة, وهذا النوع يعمل على ربط أجزاء النص، وللمتلقي فيه فسحة للحراك أو التأويل، نحو قوله تعالى: (وقَالَ الْملِك ائْتُوني بِهِ أَستَخْلِصه لِنَفْسِي فَلَما كَلمه قَالَ إِنك الْيوم لَدينَا مكِين أَمِين)[3] الفاء في (فلما) عطفت على جملةٍ حدثٍ سبق وصول يوسف عليه السلام إلى الملك، وهي من مجريات القصة يقدرها المتلقي، وحذفت لأنها تفهم من السياق. والحذف النصي يقوم على الربط بين النص والمقام وهذا الدور يأتي من فهم السياق وتأويل المتلقي، وإلى ذلك أشار الفقي، إذ قال "من أنماط الحذف المهمة في التحليل النصي حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة.[4]

وقد وردت إشارات عند علماء اللغة القدماء عن الربط بالحذف في مجال ربط النص بالمقام، نحو ما أورده سيبويه في الكتاب في باب ما يضمر فيه الفعل" وذلك

1- سورة الفجر، الآيات 4- 5.

2 - سورة يوسف, آية 18.

4 - الفقي، علم اللغة النصي ،ج2، ص195.

قولك، إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيئة الحاج، فقلت:مكة ورب الكعبة... كأنك قلت: يريد مكة والله"[1]. ومن أغراض الحذف:[2]

تثبيت السياق ودعمه: فالسياق حضور علائقي بين الألفاظ والجمل ومعانيها واستمرار الحضور يعني استمرار العلاقات، فالسياق يسقط بسقوط العلاقات ويكون ذلك بضعف الحضور وانقطاع العلاقات. ومن هنا يأتي دور الحذف النصي الذي يعطي الدور للمتلقي في التقدير بما يوفره السياق من دلالات، من أجل إيجاد الاستمرارية النصية.

التماسك المنطقي للتراكيب: يأتي الحذف لجعل النص متماسكا منطقيا وحتى تبقى البنى النصية متواصلة.

التخلص من الحشو: فاللغة العربية تسعى للإيجاز عند أمن اللبس ومن ذلك يأتي دور الحذف للتخلص من الحشو المعلوم أو المفهوم من السياق وفيه ابتعاد عن الإحالة. ومن الحذف القسم والشرط, نحو قوله تعالى: (لقَد كان فِي يوسفَ وإخوته آيات للسائِلِين)[3] فالقسم محذوف.

5.4.2 الاستبدال

"الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر بعنصر آخر. ويعمل الاستبدال على اتساق النص داخليا في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، ومعظم حالات الاستبدال النصي قبلية. وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع: [4]

---

1 - سيبويه، عمرو بن عثمان، (د.ت) 1988م الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، ، ج1، ص257.

2 - الجراح، عبد المهدي هاشم حسين، 2002، الخطاب وأثره في بناء النص، تطبيق على المعلقات السبع، رسالة دكتوراه عير منشورة قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، ص103.

3 - سورة يوسف, آية 7.

4 - خطابي، لسانيات النص، ص20.

الاستبدال الاسمي: وهو أن يحل الاسم محل آخر مؤديا وظيفته التركيبيـة ومنهـا: آخر وأخرى- ones, one، ونفس، same، ومنها قولـه تعـالى: ﴿وإن خِفْـتُم ألا تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامى فَانكِحواْ ما طَاب لَكُم من النساء مثْنَى وثُلاَثَ ورباع فَإِن خِفْتُم ألا تَعدِلُواْ فَواحِدةً أَو ما ملَكَتْ أيمانُكُم ذَلِك أَدنَى ألا تَعولُواْ﴾ [1].

الاستبدال الفعلي: وهو حلول الفعل مكان الآخر مع تأدية وظيفته التركيبيـة، نحـو قوله تعالى:﴿ يا أَيها الَذِين آمنُوا لَا تَتخِذُوا عدوي وعـدوكُم أَولِيـاء تُلْقُـون إِلَـيهِم بِالْمودةِ... ومن يفْعلْه مِنكُم فَقَد ضلَ سواء السبِيل ﴾ [2]. فقد استبدل الفعـل (يفعـل) مكان الفعل تتخذوا.

الاستبدال القولي: وهو استبدال قول مكان آخر مع تأدية وظيفته، نحو قوله تعـالى: ﴿فَلَما جاء السحرةُ قَالُوا لِفِرعون أَئِن لَنَا لَأَجراً إِن كُنا نَحن الْغَالِبِين * قَالَ نَعم وإِنكُم إِذاً لَمِن الْمقَرِبِين ﴾ [3]. فقد استبدل بالقول السابق، نعم. [4]

تتضمن عملية الاستبدال استمرارية للعنصر المستبدل فلا يفهم المبـدل مـن دون العودة إلى ما هو متعلق به قبلا في النص، ومن هنا فالاستبدال يعمـل علـى ترابط النص نتيجة لاحتياج اللاحق للسابق.

إن العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدل والمبدل) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد (Repudiation) فمثلا: (فأسي جد مثلومة. يجب أن اقتني فأسا أخرى حادة)[5]. فالتقابل هنا قام بين المثلومة والحادة وتم تحديده في (الفأس)، ومن ثم جاءت عملية الاستبعاد للفأس المثلومة لصالح الفأس الحادة، ومع الاستبعاد تم الاحتفاظ بأثر مشترك وهو الفأس لتبقى عملية الاتصال في الجملة قائمة.

---

1 - سورة النساء، آية 3.

2 - سورة الممتحنة اية1.

3 - سورة الشعراء اية41-42.

4 - خطابي، لسانيات النص، ص20. وانظر أبو زنيد، نحو النص، ص102.

5- خطابي، لسانيات النص، ص 19- 20.

ومن الاستبدال في سورة يوسف قميص يوسف فالقميص الأول معلّم بدم كذب، والثاني مقْدود والثالث فيه شفاء والأثر المشترك يوسف عليه السلام فالقمصان الثلاثة له مما أدى إلى ربط ثلاث مقاطع نصية مع بعضها.

5.2 التماسك النصي

التماسك نتيجة وهدف، وليس وسيلة، إذ يسعى إليه المنتج ليسم بـه أعمالـه وهو نتيجة لأدوار اللغة المختلفة ابتداء من الحرف إلى أعلى مستوى لغوي، وهـو من أدوار المتلقي الذي بدوره يعمل آليات الانسجام المختلفة وهو يحـاور عناصـر اللغة ومقتضيات الخطاب، ويسعى كل من المنتج والمتلقي إلى إبراز الدلالة بأكمـل وجه، فالحديث عن التماسك واسع فطبيعة المنتج والمتلقي بجميع ظروفهما تؤثر في التماسك واللغة وسيلة الطرفين.

ذهب دي بوجراند في حديثـه عـن التماسـك (الـسبك) إلـى "أن الـسبك (Choesion) هو أحد المعايير التي تجعل النصية (Textuality) أساسا مشروعا لإيجاد النـصوص واسـتعمالها، ويتحقـق التـرابط الرصـفي (Connectivity Sequential) بوسائل التضام التي تشتمل على هيئة نحوية للمركبات (PHrases) والتراكيب (Clauses) والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية (pro-forms) والأدوات والإحالة المشتركة (Junctions)".[1] "التماسك مجموعـة مـن العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص إذ تلتحم هذه الأجزاء ويتماسك بعضها مع بعض بحيث إذا غاب هذا الالتحام ظهر النص وكأنه أشلاء ومِـزق لا رابـط بينهما، وللتماسك أهمية كبرى في العمل الأدبي بل فـي كـل عمليـات الاتـصال اللغوي، وبدون التماسك لا تسمى الجملة جملة".[2]

1- أهمية التماسك النصي

أ- معرفة النص من غيره.

ب- دراسة تركيب النص كوحدة واحدة متكاملة.

---

1 - بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص103.

2 - الجراح، الخطاب وأثره في بناء النص، ص37.

ج- بيان عوامل التماسك.

د- الربط بين العناصر المتباعدة مكانا وزمانا.

2- محاور التماسك النصي في سورة يوسف هي:

أ- التماسك بين الجمل الفرعية للجملة النصية.

ب- تماسك الجملة (الآية) مع السابقة أو اللاحقة.

ج- تماسك مقاطع السورة.

د- تماسك أول السورة مع أخرها.

ه- تماسك السورة مع السورة الأخرى.

الفصل الثالث

تحليل سورة يوسف

تمهيد

سورة يوسف مكية وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية، وهي السورة الثانية عشرة في ترتيب الكتاب العزيز، وجاء في سبب تنزيلها فيما "روى الحاكم وغيره عن سعيد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي صلى عليه وسلم القرآن فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل: ﴿الله نَزلَ أحسن الْحدِيثِ﴾ [1]. زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله لو ذكّرتنا فأنزل الله: ﴿أَلَم يأْنِ لِلذِين آمنُوا أَن تَخْشَع قُلُوبهم﴾ [2]. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فنزل:﴿ نَحن نَقُص علَيك أَحسن الْقَصصِ ﴾ [3]. وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله" [4].

اختيرت السورة موضوع الدراسة عشوائيا، كون سور القرآن تصدر عن منتج واحد؛ الذات الإلهية جلّت وعلت قدرته، فأي سورة هي عينة ممثلة.

1.3 تحليل سورة يوسف وفقا لعناصر الاتساق اللفظية

الآية الأولى: ﴿الر تِلْك آيات الْكِتَابِ الْمبِين﴾

بدأت السورة بتكرير الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض سور القرآن الأخرى، ويظْهر تكرير الحروف المقطعة -بصفتها حروفا منها تكون القرآن الكريم- الترابط بين سور القرآن وآياته، على اعتبار التفسير الذي يرى أن هذه الحروف إشارة للحروف التي يتكون منها القرآن الكريم، وإن ذكر بعضها دون الآخر، وأما "أهل العربية، فإنهم اختلفوا في ذلك، فقال بعضهم هي حروف من

---

1 - سورة الزمر، أية 23.

2 - سورة الحديد، آية 16

3 - سورة يوسف، آية 3.

4 - السيوطي، جلال الدين، (ت.911هـ)، 1423هـ - 2002م، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، ط1، المكتب الثقافي، الأزهر، القاهرة، ص151.

حروف المعجم، استغني بذكر ما ذُكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها، التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا، كما استغنى المخبر عمن أخبر عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفا – بذكر (أ ب ت ث) عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين، قال: ولذلك رفع (ذلك الكتاب) لأن معنى الكلام: الألف واللام والميم من الحروف المقطعة، ذلك الكتاب الذي أنزلته إليك مجموعا لا ريب فيه"[1]. وقال الزمخشري "قد علمت أن معظم الشيء وجلّه ينزل منزلة كلّه،... وكأن الله -عز وجل اسمه- عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم... تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلام ... وجاءت متفرقة لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير"[2]. وفي تيسير التفسير "أن الرأي الأشهر الذي اختاره المحققون فهو: أنها حروف أنزلت للتنبيه على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف، وفي متناول المخاطبين به من العرب، فهو يتحداهم أن يصوغوا من تلك الحروف مثله، وهم أمراء الكلام، واللغة لغتهم هم[3].

تكرر العنصر الإشاري قوله تعالى: (آيات الْكِتَابِ) مع حروف أخرى في مواضع أخرى من القرآن الكريم نحو قوله تعالى: (طسم* تِلْكَ آيات الْكِتَابِ الْمبِين)[4]. وقوله تعالى: (طسم* تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْمبِين)[5]. وقوله تعالى: (المر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ والذِي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن ربكَ الْحق ولَـكِن أَكْثَر الناسِ لاَ يؤْمِنُون)[6].

1 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (224 – 300) هـ، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، ج1، حققه وعلّق على حواشيه، محمود حمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: احمد حمد شاكر، دار المعارف بمصر، ص 209.

2 - الزمخشري، الكشاف ج1، ص 32.

3 - القطان، إبراهيم، 1402 هـ - 1982م، تيسير التفسير، راجعه وضبطه: عمران احمد أبو حجلة، ط1، عمان، ص، 52.

4 - سورة الشعراء، آية 1،2.

5 - سورة القصص، آية،2،1.

6 - سورة الرعد، آية، 1.

وقوله تعالى: (الم* تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)[1]. وقوله تعالى: (طس تِلْكَ آياتُ القرآن وكِتَابٍ مبِينٍ)[2]. وتكررت الحروف (الر) باجتماع ذكر آيات الكتاب والقرآن الكريم في مواطن أخرى من القرآن منها قوله تعالى: (الَر تِلْكَ آيات الْكِتَابِ وقُرآنٍ مبِينٍ)[3].

فالتركيب اللغوي للقرآن الكريم من هذه الحروف هو دليل على وحدة المادة اللغوية لنص القرآن الكريم ووحدة النص، فتكرير هذه الحروف دلاليا أو لفظيا يعني وحدة النص "وكل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره"[4].

وتبع هذه الحروف في الآية اسم الإشارة تلك الذي اعتبره الزمخـشري فـي الكشاف إشارة إلى آيات سورة يوسف، والكتاب المبين هو سورة يوسـف[5]. وأمـا ابن كثير فقال: إنها "آيات الكتاب وهو القرآن المبين"[6]. وقال الطبري وأما قولـه: "تلك آيات الكتاب المبين"، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله... وقال أبـو جعفـر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معناه: هذه آيات الكتاب المبين لمن تلاه وتدبر ما فيه ، من حلاله وحرامه ونهيه وسائر ما حواه من صنوف معانيه، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين، ولم يخص إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه. فذلك على جميعه، إذ كان جميعه مبينا عما فيه"[7]. وذكر الجوزي أن في (تلك) أقـوالاً منهـا على ثلاثة "أحدها: أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، والثاني: أن الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها من القرآن. والثالث: أن (تلك) إشـارة إلـى

---

1 - سورة لقمان، آية، 1. 2.

2 - سورة النمل آية، 1 .

3 - سورة الحجر، آية 1 .

4 - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص32.

5- المصدر نفسه، ج2، ص441.

6 - ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت77هـ)، 1418هـ - 1998م، تفسير القرآن العظيم، مج2، ط2، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، مكتبة دار العلوم الرياض، ص613.

7 - الطبري، تفسير الطبري، ج1، ص 550.

(الر) وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتتحة بها السور هي (آيات الكتاب) لأن الكتاب بها يتلى وألفاظه إليها ترجع"[1]. وذكر ابن عاشور في تفـسيره للآية: (الم، ذلك الكتاب)[2]. وعلى الأظهر تكون الإشارة إلى القرآن المعروف لديهم يومئذ، واسم الإشارة مبتدأ والكتاب بدل، وخبره ما بعده[3].

وقد تكررت الحروف (الر) مع آيات الكتاب في غير سورة نحو قوله تعالى: (الر تِلْك آياتُ الْكِتَابِ الْحكِيمِ)[4]. وتكررت الحروف (الر) باجتماع ذكر آيات الكتاب والقرآن الكريم بالوصل بأداة العطف الواو في موطن آخر من القرآن في قوله تعالى: (الَر تِلْك آيات الْكِتَابِ وقُرآنٍ مبِينٍ)[5]. وفي سورة الحجر الآية الأولى، فآيات الكتاب والقرآن اسمان لمسمى واحد، إلا من الذكر بالتفصيل لمكونات الكتاب، بدلالة الإحالة على آيات القرآن الكريم ثم عطف الكتاب على آيات القرآن في موضع آخر قال تعالى: (طس تِلْك آياتُ القرآن وكِتَابٍ مبِينٍ)[6]. وأُحيل على الكتاب الكريم باسم الإشارة (ذلك) من دون ذكر الآيات قال تعالى: (الم* ذَلِك الْكِتَاب لاَ ريب فِيهِ هدى للْمتقِين)[7].

وفي اللغة اسم الإشارة (تلك) للبعيد؛ أي أن (الر) وأمثالها من الحروف الأخرى تكونت منها آيات الكتاب الكريم، فلم تنحصر الدلالة الإحالية على الآيات القريبة في سورة يوسف، ومن مجموع الآيات تكون نص القرآن المبين.

---

1 - الجوزي القرشي البغدادي، الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، (508-597)هـ، 1404هـ - 1984م، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، ط2. ج1، ص، 21. وانظر ج4، ص 4.

2 - سورة البقرة، آية1،2.

3 -عليان، يوسف سليمان،2002، التماسك النصي في اللغتين: العربية والانجليزية دراسة تقابلية في"الربط النحوي"، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص118.

4 - سورة يونس، آية 1.

5 - سورة الحجر، آية 1.

6 - سورة النمل، آية 1.

7 - سورة البقرة، آية 1، 2.

وإذا اعتبرنا اسم الإشارة (تِلْكَ) يحيل على هذه الحروف أو على آيات القرآن المبين، فهي إحالة نصية عامة بعيدة وقريبة على مكونات القرآن الكريم، وهذه الحروف والآيات هي مكون القرآن اللغوي، والإحالة تمثل عودة عنصر إحالي على عدة عناصر إشارية قبلية وبعدية، قريبة وبعيدة، وهي تشكل المجموعة الإشارية الرئيسية، وبالإحالة من مواضع أخرى من القرآن على لفظ القرآن يكون القرآن عنصرا إشاريا واحدا، يحمل بداخله وحدات إشارية عديدة؛ هي الآيات (الجمل النصية)، بحيث تكون كل آية في القرآن عنصرا إشاريا أحيل عليها من مواضيع مختلفة من موضوعات القرآن النصية. ومن الاتساق المعجمي التضام الذي قوى وأكد التماسك في القرآن في جلّه وجزئه، فبين لفظ آيات الكتاب في الآية الأولى ولفظ القرآن في الآية الثانية تضام؛ فالآيات أجزاء القرآن الكريم.

وتتكون الآية الأولى من تركيب نحوي بسيط يحتوي على جملة واحدة وتحتوي على عنصر إحالي وهو اسم الإشارة (تِلْكَ)، إلا أنه مثّل ارتباطا شاملا لهذه السورة مع عموم نص القرآن الكريم، وكان بتخصيص من التعريف للكتاب، فأداة التعريف (ال) من العناصر الإحالية وترد في اللغة كثيرا، وحصرها وشرحها تضيق به الدراسة، واحتوت عنصرا إشاريا واحدا هو (آيات الْكِتَابِ)، فهي تمثل مجموعة إحالية صغرى، إلا أن هذا التركيب البسيط ، لم يمنع الآية من أن تمثل تماسكا نصيا من خلال الإحالة. عمل التعريف -كعنصر إحالي- وضوحا وتحديدا ليصبح المقصود هو القرآن الكريم بعموم معناه ولفظه، فأضيف المعرف (الكتاب) إلى لفظ آيات، وهنا تظهر أهمية الموجهات في التركيب اللغوي، فلو اقتصرت الآية على قوله تعالى: (الر تِلْكَ آيات) أي العمد في اللغة، المسند والمسند إليه، ولم يتبع الحق تعالى بالمضاف إليه والصفة بعدها لبقيت آيات مبهمة الوجهة؛ أهي آيات سورة يوسف أم آيات الكتاب بعمومه، أم علامات ودلالات أخرى؟ فالموجهات عمد في نحو النص. فقوله سبحانه وتعالى: (الْكِتَابِ)، أوضح الإبهام في آيات وربطها بعموم الكتاب الكريم.

واسم الإشارة (تِلْكَ)؛ عنصر إحالي اسمي، مثل إحالة نصية عامة موسعة، بعيدة وقريبة؛ أما عامة موسعة؛ لأنه يحيل بالتفصيل على عموم آيات القرآن لكونه

نصا واحدا، وبعيدة وقريبة من حيث المدى الإحالي إذ أحالت على آيات السورة وتجاوزت حد الجملة النصية والمقطع النصي في السورة فأحالت على عموم نص القرآن، ومن عظيم نسيج نص القرآن أن تمثل هذه الآية وحدة إحالية صغرى ومجموعة إحالية رئيسية. ومجموعة إشارية رئيسية لعموم القرآن

بدأت السورة من حيث أدوات الاتساق بالإحالات من خلال اسم الإشارة، واعتبارها إشارة إلى آيات سورة يوسف يجعل مداها الإحالي قريبا وهذا ما يبدو من تفسير الزمخشري لها، ولكن هذه النظرة تؤدي إلى تجزئة نص القرآن الكريم، واعتبار كل سورة فيه نصا مستقلا بذاته، بينما دراسة القرآن لغويا من خلال عناصر الاتساق تقود إلى وحدة نصه، وهذا ما تقودنا إليه عناصر الاتساق في سورة يوسف، وتقودنا إلى أن سورة يوسف موضوع نصي من موضوعات نص القرآن الكريم، وليست نصا مستقلا بذاتها. فالسورة ليست مستقلة عن نص القرآن حتى في آياتها أو مقاطعها، فالمقطع الأول مثلا يرتبط بعموم القرآن من خلال الإحالات النصية البعيدة، سواء ما عاد منها على القرآن أو على رسولنا الكريم، وفي أحداث القصة إحالات تعود على عناصر إشارية ترد في نص القرآن، ومثل ذلك في المقطع الأخير، وفي ذلك كله توضيح لاحق.

اللغة وإن كانت الشكل، إلا أنها المعبر عن المضمون، فهي الدال على المدلول وبدقة، خاصة أن البيان معجزة القرآن الكريم، واللغة معجزة في دقة تعبيرها عن مكنون الشيء، كما يظهر من الإعجاز العلمي مثلا؛ فعند التدقيق في مدلول اللغة المعجمي الخالص يهتدي الباحث إلى موطن الإعجاز العلمي ويمسك خيوطه فقوله تعالى: (والْأرض بعد ذَلِك دحاها)[1]. عند الرجوع فيه إلى معنى الدحي لغويا، يمسك الباحث العالم المتفكر ذو اللب الذي يذكره تعالى في تنزيله بخيوط قوية عن موضوع تكوين الأرض، ولذلك عند مناقشة الإحالة الإشارية في الآية الأولى نجدها تعود على آيات الكتاب جميعها دون استثناء وخاصة إذا أنعمنا النظر في لفظة (الكتاب) ودخول التعريف عليها، لأنها تصرف الذهن إلى عنصر إشاري معهود معروف، ووصف الكتاب بالإبانة، وهي صفة لعموم القرآن وليس لسورة يوسف

1 - سورة النازعات، آية 30.

وحدها، فأداة الاتساق (تلك) عنصر إحالي نصي عام، تحيل على عموم نص القرآن الكريم، فالسورة تبدأ بإحكام الترابط بين أجزاء القرآن، وبمقدمة عامة شاملة من خلال الأدوات اللغوية الاتساقية التي تعمل على إحكام نسيج القرآن لغة ومعنى.

الآية الثانية: ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيا لعلكم تعقلون﴾

تتكون الآية (الجملة النصية) من جملتين وأربعة تراكيب نحوية (إنّا) و(أنزلناه) و(لعلكم) و(تعقلون)، وتضم الوحدة الإحالية الرئيسية خمسة عناصر إحالية وكلها إحالات مقامية؛ وهي ضمير المتكلم المتصل (نا) في قوله تعالى: (إنّا أنزلناه) إذ يحيل الضمير على الذات الإلهية منتج نص القرآن الكريم، وذلك يؤدي إلى تعزيز الترابط بين نص سورة يوسف وبقية نص القرآن التي مصدرها منتج واحد، هو الله عز وجل عامل الإحالة الرئيسي في النص، فهو منتج فكرة نص القرآن الكريم؛ وهي دين الإسلام.

وضمير الغائب (الهاء) في قوله تعالى: (أنزلناه) في محل نصب مفعول به، يحيل على القرآن الكريم بعمومه، الذي فيه قصة يوسف، وليس من تسمية بعض القرآن قرآنا كما أورد الزمخشري "وسمي بعض القرآن قرآنا؛ لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه"[1]. فهذه الإحالة دليل إحالي آخر على أن السورة موضوع نصي من نص عام، إذ يحيل الضمير على عموم القرآن، وتعززه صفة العربية لعموم القرآن أيضا. وضمير المخاطب (كم) اسم لعل في (لعلكم)، والواو فاعل (تعقلون) إحالات مقامية ونصية (إحالة مشتركة)، إذ تحيل على عناصر إشارية خارج وداخل نص القرآن الكريم، وتحيل على عموم المرسل إليهم. وهذه الإحالات حين تعود على عناصر إشارية بعينها في عموم نص القرآن تكون نصية، وإذا عادت على عناصر إشارية خارج النص تكون مقامية، وإذا عادت على النوعين معا فهي إحالة مشتركة.

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص441.

يظهر في الآية ثلاثة عناصر إشارية بدلالة الإحالات، وهي الذات الإلهية؛ منتج النص، والقرآن الكريم؛ النص بعينه، والمتلقي، وكل عنصر إشاري له مجموعة إحالية، والعناصر الإحالية في الآية زادت عن الآية الأولى .

بين لفظ القرآن في هذه الآية ولفظ آيات الكتاب في الآية السابقة تضام، فالآيات مكون القرآن التفصيلي، والعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل.

الآية الثالثة: ﴿ نَحن نَقُص علَيك أَحسن الْقَصص بِما أوحينَا إِليك هـذَا القرآن وإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِن الْغَافِلِين ﴾

وفيها الإحالات التالية: ضمير المتكلمين المنفصل، نحن؛ تعظيما، والضمير المستتر نحن في جملة الخبر (نَقُص)، وهما إحالة مقامية إليه سبحانه وتعالى، وكذلك ضمير المتكلم (نا) الفاعل في (أوحينَا)، وتستمر الإحالات، فتُدخل العناصر الإحالية عنصرا إشاريا (مرجعا إشاريا) وهو شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو عنصر مقصود بالموضوع النصي في سورة يوسف، فهو متلقي النص، كما يبدو من ضمير المخاطب (الكاف) في (علَيك، إِلَيك)، فهي ضمائر مجرورة متعلقة بعنصر إشاري نصي، والتاء ضمير المخاطب اسم كان في (كُنتَ)، وضمير الغائب الهاء في (قَبلِهِ) المجرور بالإضافة يحيل على القرآن الكريم،واقتران هذه الإحالة بعنصر الإحالة الزمني (قبل)، إشارة إلى ما سبق نزول القرآن، وهي إحالة مقامية على عنصر إشاري غير لغوي.

في الآية إضافة لعنصر إشاري مقامي جديد وهو عنصر الزمن، وذلك لفتح النص على عوالم أخرى، مما يعطي بعدا أوسع وفهما ووضوحا أكثر لمعنى الآيات وأكثر شمولية وانسجاما مع شمولية فكرة الإسلام التي تعتبر هي فكرة النص القرآني الأساسية والتي تجيء كل سور القرآن الكريم توضيحا لها، باعتبارها موضوعات نصية فرعية على النص الأساسي؛ القرآن الكريم. ولذلك نجد كل موضوع نصي في القرآن يحيل على موضوع نصي آخر في القرآن أو أكثر، وتستقبل الموضوعات النصية من بعضها إحالات متبادلة جعلت القرآن نصا واحدا متكاملا.

وتضيف الآية عنصرا إحاليا آخر وهو اسم الإشارة (هـذَا) من خلال إحالة بعدية على العنصر الإشاري القرآن الكريم؛ فلفظ القرآن يدل على عموم نص القرآن

الكريم والإحالة إليه نصية عامة، ومنه هذه السورة. وقيام اسم الإشارة بالإحالة النصية العامة مهد للدخول في موضوع السورة، لذلك نرى الآية التالية تدخل في صلب الموضوع وهي قصة يوسف عليه السلام.

هذه الآية جملة نصية توليدية، فقصة يوسف عليه السلام التالية واحدة من قصص القرآن الكريم. والآية أدخلت عنصرا إشاريا نصيا من خلال الإحالة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو لم يذكر بلفظه في سورة يوسف إلا أنه مذكور في سور أخرى من نص القرآن، وهو المتلقي الأول للنص وهذا الدخول للعنصر الإشاري مهد للإحالات النصية بعدما كانت العناصر الإحالية خارجية مقامية، وهو تدرج للدخول في أحداث القصة كعنصر إشاري نصي، أخذ الإحالات من المقامية البعيدة إلى الإحالات النصية.

الآيات الثلاثة السابقة، جمل نصية تمهيدية، معظم إحالاتها لعناصر إشارية خارج أحداث قصة يوسف.

العناصر الإحالية المقامية في هذه الآية تتمحور حول ثلاثة عناصر إشارية أساسية وهي: منتج النص سبحانه وتعالى، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم متلقي النص، والقرآن الكريم كنص، المعنى والمبنى أو الوسط الناقل (اللغة)، وهي العناصر الأساسية في وجود النص تداولياً، أما تكوين النص بحد ذاته فيكون بالمنتج مع فكرته واللغة، ومن العناصر الإحالية العنصر الإحالي المعجمي قصص، في قوله تعالى: (أَحسن القَصصِ) فالقصص إشارة إلى قصص حصلت، فلفظ القصص ليس عنصرا إشاريا هنا، بل عنصر إحالي مشترك فقد أحال على قصص ذكرت في القرآن ومنها قصة يوسف، وقصص خارج القرآن لم تذكر، قال تعالى: (ورسلاً قَد قَصصنَاهم علَيك مِن قَبلُ ورسلاً لم نَقْصصهم علَيك وكلم اللّه موسى تَكْلِيما)(1). فالقصص المحال إليها عناصر إشارية لغوية وغير لغوية.

وقبل الابتعاد في توضيح التماسك أوضح دور الموجهات في نحو النص من خلال الآيات الثلاثة الأولى، فإذا أخذنا المركبات الإسنادية لها من دون الموجهات، يكون تركيب الآيات كالتالي: الر تلك آيات...، إنا أنزلناه... لعلكم تعقلون، نحن

---

1 - سورة النساء، آية 164.

نقص...، أو كنت... وإن كنت... لمن الغافلين. فالدلالة النصية المقصودة من الجمل (الآيات) في نص القرآن من دون الموجهات مفقودة، فلا يعرف للتراكيب الإسنادية وجهة، ولا يمكن تكوين نص على هذه الشاكلة يخلو من الموجهات التي تحدد المعنى في الجملة النصية وتضبط الوجهة الدلالية لمجموع الجمل النصية، وإذا كان تكوين الجمل غير النصية ممكنا على هذه الشاكلة، فغير ممكن ذلك في الجمل النصية. فالموجهات في الجمل النصية عمد، وفي الجمل غير النصية فضلات كما هو مقرر في نحو الجملة.

تمثل الآيات من الأولى إلى الثالثة حديثا عاما عن القرآن الكريم، وهي جمل نصية تمهيدية وتحيل مقاميا. فالجمل النصية التمهيدية غالبا ما تحيل مقاميا، وعند مطالعة مطالع السور في القرآن الكريم نجد ذلك، فسورة العصر مثلا تحيل مقاميا على الزمان بعنصر الإحالة المعجمي العصر في قوله تعالى (والْعصر)[1]. وكذا في غيرها من سور القرآن الكريم.

الآية الثالثة انتقلت إلى ما هو أضيق موضوعا من الحديث عن عموم القرآن إلى القصص القرآني بعمومه، وقد تم الارتباط مع الآيتين السابقتين من خلال تكرير لفظ القرآن المحال إليه إحالة بعدية باسم الإشارة (هذا)، وفي الإحالة على القرآن الكريم باسم الإشارة هنا دليل على أن القرآن بآياته نص واحد؛ لأن من صفات أسماء الإشارة الإحالة على أكثر من عنصر إشاري، أو أكثر من مضمون. أو جملة حدث.

القصة تشكل جزءا من السورة وليس السورة كلها، فهي تتكون من مقاطع تحمل إحالات داخل نص القرآن وخارجه وبين أجزاء القصة، وعلى تفصيل لاحق في ذلك جاءت المقاطع على النحو التالي:

المقطع الأول: تمهيد عام ربط السورة بعموم القرآن من خلال الإحالات المقامية والنصية، وفيه منتج النص والنص والمتلقي. ويبدأ من الآية الأولى إلى نهاية الآية الثالثة.

---

1 - سورة العصر، آية 1.

المقطع الثاني: قصة يوسف عليه السلام ابتداء من الآية الرابعة إلى نهاية الآية السابعة والخمسين، وتضمن المقاطع الفرعية الآتية.

1. حديث يوسف مع أبيه في موضوع الرؤيا، ابتداء من الآية الرابعة إلى نهاية الآية السادسة.
2. كيد إخوة يوسف، إذ جعلوه في غيابة الجب، ابتداء من الآية السابعة إلى نهاية الآية الثامنة عشرة.
3. قصة يوسف مع السيارة، من الآية التاسعة عشرة إلى نهاية الآية العشرين.
4. أحداث قصة يوسف في مصر مع من اشتراه وبالذات مع امرأة العزيز، وأحداث أخرى ابتداء من الآية الواحدة والعشرين إلى نهاية الآية الواحدة بعد المائة، وفيه مقاطع فرعية وهي:

أ- قصة يوسف مع الذي اشتراه.

ب- قصة يوسف مع امرأة العزيز.

ج- قصة يوسف في السجن.

د- قصة يوسف مع الملك.

ه- قصة يوسف مع إخوته عندما أتوا مصر على مرحلتين.

المقطع الثالث: وفيه يعود الحديث إلى المتلقي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، مع العبر والعظات لأهل مكة والناس أجمعين.

وفي إطار الوصل الزمني للتمثيل لا سنة في التحليل نأخذ من الآية الثالثة مثلا؛ لأن موضوع الوصل الزمني بأبعاده يحتاج لبحث كامل مستقل، إذ قام الترابط بين الماضي والحاضر، فالفعل المضارع (نَقُص) جاء للزمان الحاضر حضور الذات الإلهية في كل زمان ومكان علما، وفي الفعل (أوحينَا) مضي، والعامل المشترك ما بين الفعلين في المفعولية هو المتلقي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الإحالات عليه بالضمائر المجرورة في (علَيك، إِلَيك)، والفعل الناقص (كنت) يستحضر ماضي الرسول الكريم قبل الإسلام، ويخصص هذا الاستحضار بزمن معين يحدده ظرف الزمان كعنصر إحالي لما مضى على الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، ففي الآية ارتباط بين زمنين.

الآية الرابعة ﴿إذ قالَ يوسفُ لِأبيهِ يا أبتِ إني رأيتُ أحد عشرَ كوكبا والشمس والقمر رأيتُهم لِي ساجِدِين﴾

تعد هذه الآية الجملة النصية التوليدية الرئيسية للقصة؛ فمن مضمونها وعبرها أو تفسيرها على أرض الواقع تولدت معظم الجمل النصية في القصة.

تبدأ الآية الكريمة اتساقيا بالإحالة المقامية ظرف الزمان (إذ)، فقد ارتبط الظرف بأحسن القصص الوارد في الآية السابقة، ويعرب بدل اشتمال من أحسن القصص[1]. وبها تبدأ قصة يوسف عليه السلام ليدخل المتلقي إلى القصة، إذ تنقل أحداث الماضي إلى حاضر؛ إلى المتلقي سيدنا محمد عليه السلام، ويكون يوسف عليه السلام أكثر العناصر الإشارية ورودا في القصة كمرجع إشاري، فهو مدار أكثر الإحالات، ويظهر الأب والإخوة كعناصر إشارية، أحالت الآية على يوسف وذلك بضمير المتكلم الياء في (أبتِ)، والياء هنا محذوفة عوض عنها بالتاء، وأحال ضمير المتكلم الياء في (إني، لِي)، والتاء في (رأيتُ، رأيتُهم) -وهو في الأولى رابط لجملة الخبر، وفي الثانية فاعل رأى -وضمير الغائب الهاء في (لأبيه) المجرور، وكلها أحالت على يوسف عليه السلام، إذ نجد المجموعة الإحالية المكونة من ستة عناصر إحالية تحيل نصيا على المرجع الإشاري سيدنا يوسف عليه السلام، فهو أهم عنصر إشاري في القصة وفي هذه الجملة (الآية)؛ لأنه محور الدلالة فيها، وفي الآية إحالة نصية على إخوة يوسف وأبويه في (رأيتُهم) بضمير الغيبة (هم)، رابط جملة الحال، فالآية تجمع العناصر الإشارية الرئيسية في القصة، وجاء أسلوب الالتفات عنصرا لغويا جميلا من التفاوت بين ضمائر الغيبة والحضور.

تكرر الفعل رأيت، والرؤيا عنصر إشاري مهم في النص، فهي قائد أساسي لخيوط هذه القصة. ويرى الزمخشري أنها كلام مستأنف على تقدير جواب يوسف

---

1 - الدرويش، محي الدين، 1415ـ 1994م، إعراب القرآن وبيانه، مج4 (الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر)، ط4، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سوريا، ص450.

ليعقوب عن سؤاله عن كيفية الرؤيا(1). وجاز أن تكون تكريرا للتوكيد لطول الفصل بين المفاعيل(2).

وفي محور آخر من أدوات الاتساق اللغوي، تقوم أدوات الوصل الإضافي واو العطف في قوله تعالى: (رأيتُ أحد عشَر كوكبا والشمس والقَمر) بالربط مع الفعل رأيت الأولى محور الآية والقصة، وذكر الزمخشري أن تأخير عطف الشمس والقمر "ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما، واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع... ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع. أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر"(3). ومن الوصل وصل سببي قام بين القول ومقوله، فالفعل قال، ترابط مع جملة المقول وهي قوله تعالى: (يا أبتِ إني رأيتُ) وفيها إحالة بالنداء على العنصر الإشاري (الأب)، فالنداء عنصر يفتقر للمفسر حتى تبين دلالته.

ويبرز دور الفهم البلاغي للمعاني بحيث يسهم في ترابط النص، فسجود الشمس والقمر ناحية بلاغية، إذ أدى الفهم البلاغي لذلك إلى فهم الدلالة في التركيب النحوي وانسجامه داخل النص.

الآية الخامسة:﴿ قالَ يا بنَي لا تَقْصص رؤْياك على إخْوتك فَيكِيدوا لك كيدا إن الشيطَان لِلإنسان عدو مبِين﴾

أحال الضمير المستتر هو في الفعل (قالَ) على يعقوب عليه السلام المذكور لاحقا في النص، والمشار إليه سابقا بالكنية (يا أبتِ) على سبيل التكرير بالترادف، فعملت الإحالة على الربط بين السابق واللاحق نصيا، فالعناصر الإحالية لا يحكمها التركيب النحوي بحيث لا تعود على المتأخر رتبة ولفظا، فهي عابرة لحدود التركيب النحوي. وعمل الضمير المتصل بالنداء على الربط مع الآية السابقة حيث ذُكر العنصر الإشاري يوسف، فالذكر المسبق أجاز الإحالة بالضمير؛ لأن عناصر الاتساق الإحالية خالية من المعنى إذا لم تجد عنصرا ذا معنى تحيل عليه، وعمل

---

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص444.

2 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ص 451.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص444- 445.

النداء عمل العنصر الإحالي فأحال على يوسف، وللعامل الصوتي في النداء أثر في إيجاد وتوجيه الإحالة، ونلمس من النداء مع الفعل اللاحق شعور الأب بالحنو والخوف، فالياء نداء للبعيد، فلم استخدمت للقريب؟ إنه الشعور بالآتي البعيد المؤلم للمخاطب القريب، ولذلك نجد الفاء الرابطة بين النهي (لاَ تَقْصُص) وجوابه (فَيَكِيدوا)، فهو يخاف من الكيد بيوسف؛ لأن الشيطان عدو مبين، وأحال الضمير المستتر أنت في (لاَ تَقْصُص) على المرجع الإشاري في القصة؛ يوسف عليه السلام، وهناك ارتباط اتساقي إحالي من خلال العنصر الإحالي المعجمي (رؤْياك) إذ أحال على مضمون الآية السابقة كعنصر إشاري نصي مع إضافته إلى ضمير المخاطب الكاف الذي يربط يوسف بالرؤيا، كذلك الكاف في إخوتك تربط يوسف المرجع الإشاري مع إخوته، وضمير المخاطبين الواو في (فَيَكِيدواْ) إحالة على إخوة يوسف. وضمير المخاطب في (أَك) يحيل نصيا على يوسف. ونرى في هذه الآية الربط بين المرجع الإشاري يوسف، وبين العناصر الإشارية الأخرى: الإخوة، وأبيهم، والرؤيا، باستخدام الإحالات النصية من خلال الضمائر .

ويدخل عنصر إشاري آخر وهو الكيد للفت الانتباه مسبقا إلى حدث الكيدية وهو حدث يشكل عنصرا إشاريا هاما آخر مع الرؤيا في أحداث القصة.

الآية السادسة:﴿ وكَذَلِكَ يجتَبِيك ربك ويعلمك مِن تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ ويتِم نِعمتَه علَيك وعلَى آلِ يعقُوب كَما أَتَمها علَى أَبويك مِن قَبلُ إِبراهِيم وإِسحاقَ إِن ربك علِيم حكِيم﴾

بدأت الآية بالوصل الإضافي ليربط ما بعده بما قبله وهو الاجتباء نتيجة الرؤيا المذكورة في الآية الرابعة، بدليل عنصر الاتساق الإحالي اسم الإشارة (ذَلِك) المرتبط بأداة المقارنة حرف التشبيه (الكاف) الذي يحيل نصيا على حادثة الرؤيا، إحالة نصية (مضمون)؛ فالعنصر الإشاري لم يعد على ملفوظ بذاته بل عاد على عنصر إشاري غير ملفوظ أي عنصر نصي.

ومن الإحالات: ضمائر الخطاب في (يجتَبِيك ربك ويعلمك، علَيك، أَبويك، ربك) وهي إحالات نصية، وأحالت الضمائر مقاميا إلى الله جل وعلا في (يجتَبِيك، ويعلمك، ويتِم نِعمتَه) في تناوب بين الضمائر، إن تناوب الضمائر المحيلة إليه

سبحانه وتعالى وعلى يوسف عليه السلام في هذه الآية يشد أجزاء الآية ويبرز الارتباط ما بين يوسف المرجع الإشاري للقصة- بما تمثله من عِبر- وبين الله سبحانه وتعالى منتج النص الذي هيأ يوسف للنبوة، ويعتبر يوسف مركز الآية من حيث عودة الضمائر عليه في الأفعال والأسماء، وكذلك في القصة، وضمير الغيبة المتصل في (أتَمها) يحيل على عنصر إشاري نصي غير ملفوظ تقديره الإتمام وهو رابط بين جملة النعت كما أتمها والمنعوت المصدر المحذوف؛ "أي إتماما مثل إتمامها على أبويك"[1].

أدوات الوصل الإضافي تقوي الترابط بين الجمل الفرعية في الآية نحو: (ويعلمك، ويتِم، وعلَى آل يعقُوب، وإسحاقَ) وهي روابط تؤدي إلى الاتساق داخل الجملة، وجمعت بين أفعال ثلاثة هي مختصر الأحداث والنتائج في القصة: الاجتباء أولا، ثم التعليم بما حدث له مع إخوته والسجن وسائر أحداث القصة، والنتيجة بإتمام النعمة عليه والظهور بعد المحن، أما واو العطف في (وكذلك) فقد ربطت هذه الآية مع الآية الرابعة بالعنصر الإحالي اسم الإشارة (كذلك)؛ أي بمثل ذلك يجتبيك ربك وفي ذلك مقارنة بالتمثيل إحدى أنواع الإحالة، وأداتها الكاف.

وهناك المقارنة بالتماثل أو التشابه وأداتها (كما) ليفيد المثلية في إتمام الحاضر، إذ يربط بين إتمام النعمة على يوسف وآل يعقوب وعلى أبويه إبراهيم وإسحاق من قبل، وجاءت الإحالة المقامية بالظرف إشارة إلى زمن إبراهيم وإسحاق تذكيرا بما أتم الله عليهم، ويشكل تكرير الفعل (تم) تأكيدا على دور حدث الإتمام للنعمة في القصة، ونقلا للحدث من الماضي إلى الحاضر.

الآية السابعة:﴿ لقَد كان فِي يوسفَ وإخوته آيات للسائِلِين﴾

تمهد الآية للدخول في تفاصيل أحداث القصة، بحسن تخاص من عموم الرؤيا ممثلا في الآيات السابقة، إلى خاص التفاصيل، ابتداء من الآية الثامنة، بالقسم المحذوف وتكرير المرجع الإشاري يوسف، والإحالة على إخوته بضمير الغائب الهاء في (إخوته)، فهم مادة الحدث الأول الذي جرى ليوسف، أما قوله تعالى: (آيات

1- الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ص451 .

للسائِلِين) فكان مدعاة للدخول في التفاصيل لمن يسأل عن قصة يوسف، وهذه الجملة (الآية) من الجمل التوليدية، من ناحية التنبيه على القصة، ومن ثم التفاصيل، فهي بداية مقطع نصي.

ومن الوصل النصي الزمني ما قام به الفعل (كان) فهو يعود إلى ما مضى من الزمن بأحداثه واصلا الماضي بالحاضر، مع أن الزمن الحاضر في النص زمن ماض، ولكن سوغ له، أن الخطاب موجه لمن يسأل من الحضور عما كان من خبر يوسف عليه السلام, ولم يذكر الخطاب قريشا أو المشركين وقتها لاستمرارية توجيه الخطاب لكل زمان ومكان.

الآية الثامنة: ﴿إِذ قَالُواْ لَيوسفُ وَأَخُوه أَحب إلى أَبِينَا مِنا ونَحن عصبةٌ إِن أَبانَا لَفِي ضلالٍ مبِينٍ﴾

دخلت تفصيلات القصة بعملية الإقناع النفسي بين الإخوة، ويحيل ظرف الزمان (إذ) على ماضي الحدث تذكيرا باستمرارية العبر، وسبب فعلة الإخوة بأخيهم، وتتمحور عملية الإقناع بين الإخوة في الآية حول حب أبيهم ليوسف أكثر منهم باستخدام أسلوب التفضيل، (أحب) إذ مثل الذريعة لفعلتهم، ومن ثم تتفاعل أحداث القصة، فقام أسلوب التفضيل بصيغة أفعل التفضيل بالمقارنة -وهي إحدى أدوات الإحالة- بين طرفين من ناحية الحب فأوجد تماسكا نصيا دلاليا كبيرا؛ فتفاعلات التفضيل في المحبة ليوسف عن إخوته طورت الأحداث في القصة.

وفي الآية يذكر أهم العناصر الإشارية بلفظه، وهو يوسف المرجع الإشاري، ويحال على إخوته بضمير الجماعة في الفعل (قَالُواْ)، وقد أفردت الآية أحد إخوة يوسف باللفظ وقرنته بيوسف عليه السلام بالضمير المحيل في (وَأَخُوه)، دلالة على مكانته من يوسف، وهو من أمه وأبيه كما يرد في التفاسير[1]. وزاد الربط بينهما الوصل الإضافي بواو العطف، ومن الوصل في الآية واو الحال في (ونَحن عصبةٌ).

ضمت الآية نوعي الجملة في العربية وبأهم أطراف القصة: الجملة الفعلية اقترنت بالإخوة المحال عليهم بالضمير واو الجماعة في جملة (قَالُواْ)، فهم من بدأ

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص447.

القول أو الحدث القولي بحق يوسف عليه السلام، وقالوا إنه أحب إلى أبينا منّا، وأحدثوا له فيما بعد ما جر عليه المحن، وأما الجملة الاسمية فذُكر فيها يوسف وأخوه بنيامين (لَيوسفُ وَأَخُوه َأحب)، وأما الأب فذكر في الجملة الاسمية في قوله تعالى: (إِن َأبانَا لَفِي ضلاَلٍ مبِينٍ)، فإخوة يوسف طرف، ويوسف وأخوه بنيامين والأب طرف ثان في القصة، فالطرف الأول أحدث محنة الطرف الثاني، لذلك خُص إخوة يوسف بالجملة الفعلية، أما الطرف الثاني فخُص بالجملة الاسمية لأنه خارج أفعال الطرف الأول.

بدأ الحدث من الإخوة، وبدأت وسوسة النفس لديهم، وتأتي الوسوسة النفسية عندهم لشعورهم بأفضلية يوسف وأخيه عليهم، ولذلك نجد الآية تعج بضمائر الأنا الجمعي: الواو في (قَالُواْ) و(نا) في (أَبِينَا مِنا، َأبانَا) والضمير المنفصل (نَحن) وهي تمثل إحالات نصية داخلية، ونجد شحنة كبيرة داخل النفوس أبرزتها هذه الضمائر لتنفجر نفوسهم في آخر الآية على أبيهم بقولهم (إِن َأبانَا لَفِي ضلاَلٍ مبِينٍ)، فيندفع الحدث في القصة إلى الأمام بقوة من واقع الحقد الذاتي، وتطور الحدث من التفكير الأولي البسيط إلى التفكير المؤدي إلى أقصى درجات الأفعال قسوة، القتل أو الطرح أرضا بالتخيير للعدول، ففي نفوس الإخوة جذوة خير، قال تعالى: (اقْتُلُواْ يوسفَ أَو اطْرحوه َأرضا يخْلُ لَكُم وجه َأبِيكُم).

معظم الإحالات كانت على العنصر الإشاري إخوة يوسف، فهم محور الدلالة في الجملة النصية. فالمجموعة الإحالية الرئيسية ارتبطت أو أحالت على العنصر الإشاري النصي إخوة يوسف، فالعناصر الإحالية ترتبط بالعناصر الإشارية بعلاقة طردية بأثر الدلالة، فإذا كان العنصر الإشاري محور الدلالة للجملة النصية زاد عدد العناصر المحيلة إليه أكثر من العناصر الإشارية الأخرى في التركيب النصي، وإذا كان مساويا لغيره من العناصر الإشارية في الدلالة تساوى معها أو تقارب في عدد العناصر المحيلة إليه.

الآية التاسعة:﴿اقْتُلُواْ يوسفَ أَو اطْرحوه َأرضا يخْلُ لَكُم وجه َأبِيكُم وتَكُونُواْ مِن بعدِهِ قَوما صالِحِين﴾

بدأت الآية بقوله تعالى (اقْتُلُواْ) وهذا الفعل عامل ارتباط مع الآية السابقة لأنه من جملة ما حكي بعد قوله (إذ قَالُواْ)[1]. وهو الوصل المنطقي القائم على السبب والنتيجة، ويستمر القول (اطْرحوه أَرضا) ولكن بأداة الوصل الإضافي (أو) للتخيير التي تدل على التردد وفيها معنى العدول.

أما الضمائر في (اقْتُلُواْ، اطْرحوه، لَكُم، أبيكم، وتَكُونُواْ، بعدِهِ) تمثل إحالات نصية سواء ما عاد منها على يوسف أو الإخوة أو الأب، وهذه العناصر الإشارية ذكرت في آيات سابقة، والإحالة إليها تؤدي إلى الاتساق النصي؛ ترابط الأحداث والمعاني، وأكثرها يحيل على الإخوة، فهم العنصر المنفذ لحدث التآمر على يوسف المحور الدلالي للآية.

في الآية عنصر اتساق آخر تمثل في أداة الوصل الإضافي (أو) في (أو اطْرحوه) حيث ربط بين الفعلين (اقْتُلُواْ، اطْرحوه) على سبيل التخيير الناتج عن بعض المواقف من عناصر القصة ، وتم اختيار الإلقاء في غيابة الجب وفيه تمهيد للربط مع الآية العاشرة من باب التخصيص. كذلك عمل العطف وصلا داخل الجملة النصية، ومن الوصل السببي الارتباط بين الفعلين (اقْتُلُواْ، اطْرحوه) وبين النتيجة المتوقعة من الإخوة في الفعل (يخْلُ)، والعطف بالواو على النتيجة بنتيجة أخرى وهي (وتَكُونُواْ مِن بعدِهِ قَوما صالِحِين) وهي من عطف الجمل بعضها على بعض.

الآية العاشرة:﴿قَالَ قَآئِلٌ مَنْهم لاَ تَقْتُلُواْ يوسفَ وأَلْقُوه فِي غَيابةِ الْجب يلْتَقِطْه بعض السيارةِ إِن كُنتُم فَاعِلِين﴾

عملت الإحالة على الإخوة من خلال الضمائر في (قَآئِلٌ منْهم، لاَ تَقْتُلُواْ، وأَلْقُوه، إِن كُنتُم فَاعِلِين) وعلى يوسف في (وأَلْقُوه، يلْتَقِطْه) على ربط الآية بغيرها من الآيات التي ذكرت فيها هذه العناصر، والضمير (هم) في (منْهم) ربط الصفة بموصوفها. وهناك عنصر اتساق آخر عمل على استمرار عملية القول في الآية الثامنة في قوله تعالى: (قَالَ قَآئِلٌ منْهم). وهو تكرير الفعل قال، وكذلك تكرر المرجع الإشاري يوسف.

---

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص447.

عمل التضام من خلال طباق السلب للجمل في (اقْتُلُواْ يوسفَ) في الآية السابقة، و(لاَ تَقْتُلُواْ يوسفَ) في هذه الآية على الربط بين الآيتين، وكذلك يبرز دور الوصل بواو العطف كعامل ربط على مستوى الجملة النصية في قوله تعالى: (لاَ تَقْتُلُواْ يوسفَ وَأَلْقُوه فِي غَيَابَةِ الْجب) وفيها الخيار الثاني للخلاص من يوسف عليه السلام كما ورد في الآية السابقة، وهنا تتحرك بذرة الخير في نفس القائل.

ومن الوصل في الآية على مستوى الجملة النصية استخدام الوصل السببي الذي ربط ما بين الأمر في فعل (ألقوه) وجوابه فعل (يلتقطه).

الآية الحادية عشرة:﴿ قَالُواْ يا أَبانَا ما لَك لا تَأْمنا على يوسفَ وإِنا له لَنَاصِحون﴾

يستمر تأثير تكرير المرجع الإشاري يوسف في الربط النصي وتكرير الفعل قال أيضا، ويظهر الدور الاتساقي للعناصر الإحالية من خلال الضمائر في (قَالُواْ، َأبانَا، لَك، تَأْمنا، وإِنا له لَنَاصِحون) وكلها إحالات نصية تحيل على عناصر إشارية في عدة آيات وفي أكثر من موقع يحمل أفكار القصة المتعددة، واستخدام ضمير الجمع يدل على أن إخوة يوسف مشتركون في الرأي ضده، وأغلب الإحالات هنا على الإخوة محور الحدث في الآية، وجاءت واو الحال للربط بين الحال وصاحبها داخل الجملة النصية في قوله تعالى: (وإِنا له لَنَاصِحون).

الآية التاسعة والعاشرة وأكثر الآيات في قصه يوسف عليه السلام، أكثر ما يربطها من عناصر الاتساق اللغوي الإحالات، وأدوات الوصل تعمل داخل الجملة النصية في أغلبها، وتعمل داخل النص في أقرب الجمل من بعضها، وأكثرها استعمالا أداة الوصل الإضافي المتمثل بواو العطف. وفي جملة (ما لَك لاَ تَأْمنا) وصل سببي ؛ فهي جملة مقول القول، وتقدير المحذوف: أي شيء ثبت لك منا.

الآية الثانية عشرة:﴿ أَرسِلْه معنَا غَدا يرتَع ويلْعب وإِنا له لَحافِظُون﴾

اشتملت الآية على ضمائر الحضور والغيبة المحيلة على يوسف وأبيه وإخوته في إطار الإحالات النصية، إذ عمل ضمير الغائب الهاء في (أَرسِلْه) على الربط مع الآية السابقة، وذلك من خلال الإحالة النصية على يوسف، وكذلك ضمير المتكلم في (معنَا، وإِنا) المحيل على إخوة يوسف حضوريا والمشار إليهم في الآية السابقة بضمير الجماعة في (قالوا، َأبانَا، لاَ تَأْمنا، وإِنا) وضمير الجمع في (لَحافِظُون)

وكذلك نجد الضمير المستتر في (أرسِلْه) يعود على الأب الذي جاء ذكره سابقا في قوله: (أَبانَا) ومع أن هذه الإحالات ارتبطت بالآية السابقة إلا أنها تشير كذلك إلى العناصر الإشارية في كل موضع من النص، فهذه الإحالات تقوم بدور الربط داخل قصة يوسف.

أما الوصل الإضافي في (يرتَع ويلْعب) فمثل الربط داخل الجملة النصية فقط، فلم يتعد أثر الوصل إلى جمل نصية أخرى، وكذلك واو الحال في (وإِنا لَه لَحافِظُون).

الآية الثالثة عشرة: ﴿قالَ إِني لَيحزنُنِي أَن تَذْهبواْ بِهِ وأَخَافُ أَن يأْكُلَه الذِّئْب وأَنتُم عنْه غَافِلُون﴾

يستمر تكرير الفعل (قال) مشكلا عنصر اتساق لأحداث القصة، فهو يلائم السرد القصصي، وكذلك وجود الإحالات العائدة على أطراف القصة، كالضمير المستتر في (قَالَ) وضمير المتكلم الياء في (إِني لَيحزنُنِي) وضمير المخاطبين المتصل واو الجماعة في (أَن تَذْهبواْ) والمنفصل (أَنتُم) التي تحيل على إخوة يوسف، وضمير الغائب الهاء في (بِهِ، أَن يأْكُلَه، عنْه غَافِلُون) المحيلة على يوسف عليه السلام، ونرى الآية تجمع العناصر الإشارية الرئيسية من خلال العناصر الإحالية، فهي معوضات في النص عن العناصر الإشارية دلاليا.

ويظهر دور الفعل (ليحزنني، وأخاف) في قوله تعالى: (إِني لَيحزنُنِي أَن تَذْهبواْ بِهِ وأَخَافُ أَن يأْكُلَه الذِّئْب) كأفعال تؤدي إلى الارتباط من خلال الوصل السببي القائم على السبب والنتيجة من دون أداة، فالحزن نتيجة الخوف علي يوسف، وهذا الرابط يقوم في جميع أجزاء القصة كأحداث مترابطة ، كل تركيب فيها جاء بسبب أو نتيجة للآخر. وقام الوصل بالواو بالربط داخل الجملة.

الآية الرابعة عشرة: ﴿قَالُواْ لَئِن أَكَلَه الذِّئْب ونَحن عصبةٌ إِنا إِذا لَّخَاسِرون﴾

يظهر الاتساق النصي من الإحالات، فالضمائر في هذه الآية تحيل نصيا على يوسف عليه السلام وإخوته، في (قَالُواْ، أَكَلَه، نَحن، إِنا إِذا لَّخَاسِرون)، ونجد الربط السببي القائم على السبب والنتيجة حيث جاءت جملة (إِنا إِذا لَّخَاسِرون) جوابا لقسم محذوف تقديره قالوا: والله لئن أكله الذئب. وهناك حذف لجواب الشرط في (لئن)،

فقد أعطي الجواب للقسم لتقدمه على الشرط[1]. ولكن يبقى أثر الحذف اتساقيا على مستوى الجملة.

أما تكرير جملة (أَكَلَهُ الذِّئْبُ) فقد قام بالربط بين الآية وسابقتها، ويمثل الفعل أكل محور الآية فالخوف ناتج من توقع الأكل، والتكرير هنا تكرير جملة، والتكرير هنا جاء على لسان الإخوة، وفيه استغلال منهم لما قاله أبوهم في الآية السابقة، فوجدوا الذريعة التي يتذرعون بها لدى أبيهم حال تنفيذهم ما اتفقوا عليه.

الآية الخامسة عشرة: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾

بدأت الآية بأداة الوصل النصي فعطفت على محذوف نصي تقديره من السياق "فأرسله معهم"([2]) عملت الضمائر في (ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ ، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) على الترابط النصي في قصة يوسف فهي تحيل نصيا كما تم توضيحه سابقا على عناصر إشارية داخل قصة يوسف ومذكورة خارج الجملة. واللام في (لَتُنَبِّئَنَّهُم) رابط سببي مع الفعل (أوحينَا).

الموقف يتطلب القوة والإجماع على الفعل فأحيل بضمير الجماعة الواو، وهذا غير ما رأينا في الآية الثامنة حيث ضمير المتكلمين (نا) المعبر عن دخيلة النفس.

كثرت في الآية الإحالات النصية على مستوى الجملة الواحدة (الآية) والمقاطع مما يقوي الترابط النصي، لكن لأن القصة جزء من السورة والسورة جزء من نص كبير وهو القرآن، وردت إحالات مقامية تربط النص بجميع مكوناته ومنها الإحالة إلى منتج النص سبحانه وتعالى كالضمير المتصل في (وأوحينَا)، وقد هيأ الاستئناف بالواو هذا الانتقال، وأحال اسم الإشارة هذا في (لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا) إحالة نصية قبلية على أمرهم مع يوسف فالمحال إليه عنصر إشاري نصي، وهو جملة وليس ذاتاً معينةً، فشكل رابطا لافتا للمتلقي، فلفت الانتباه إلى ما كانوا خططوا له، فأبقت صورة الأحداث حاضرة في الذهن.

---

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ص 459.

2 - المرجع نفسه، مج4، ص461

وهناك تكرير للفعل ذهب في قوله (فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ) وهو ربط لفظي مع الآية السابقة، فقد خاف يعقوب أن يذهبوا به ولكنهم ذهبوا ولم يقل ذهب معهم، فإرادة الذهاب منهم وليست من يوسف أو أبيه، وعليه وأمثاله نجد أن الآيات ترتبط مع بعضها بنسيج محكم إما بضمير أو اسم إشارة أو تكرير، أو وصل، وهي أكثر عناصر الاتساق اللغوي استخداما عدا روابط أخرى.

تعددت الصيغ الفعلية بين الماضي والمضارع، ومنها ما دل على حدوث مستقبلي، فعملت الإحالات النصية من خلال الضمائر المحيلة على يوسف وإخوته على فهم الزمن أو تحديد المدة الزمانية، وتقريب زمن الأفعال من بعضها بفعل الوصل الإضافي، فقد أفادت أن عملية جعل سيدنا يوسف في الجب تمت دون فواصل زمنية تذكر، بدليل استخدام الواو في العطف بين الأفعال، ولو كان وقت بين وصولهم المكان والإجماع والتنفيذ لاستخدم حرف عطف غير الواو، بما يفيد التريث في التنفيذ، فهناك إصرار وتخطيط مسبق لم يحوجهم إلى وقت في التفكير.

عمل الوصل الإضافي بحرف العطف الفاء في (فَلَمَّا) على الترابط النصي، والمعطوف عليه محذوف تقديره من سياق القصة؛ فأرسله معهم[1]. ولما رابط لفظي من روابط السبب والنتيجة، وجوابها محذوف، تقديره "فعلوا به ما فعلوا من الأذى"[2].

الآية السادسة عشرة:﴿ وَجَاۤءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَاۤءً يَبْكُونَ﴾

عملت الإحالات بالضمائر في (وَجَاۤءُوٓ أَبَاهُمْ، يَبْكُونَ) على الترابط النصي مع الآية السابقة وما سبقها، فالضمائر تحيل على العناصر الإشارية إخوة يوسف، وقام الوصل الإضافي باستخدام واو العطف بربط الآية مع سابقتها، وإذا كانت الواو للاستئناف فالفعل (جَاۤءُوٓ) ومن خلال التضام ارتبط مع الفعل ذهبوا، فما بعد الذهاب إلا العودة بلفظ جاءوا، وهنا يبرز دور الاتساق المعجمي من خلال التضام، ليربط الجملتين معا داخل النص، فقد ربط الآية السادسة عشرة مع الخامسة عشرة.

---

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ص، 461.

2 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص450. وانظر الدرويش، إعراب القرآن، مج4، ص461.

ونلحظ الظرف عشاء كنوع من موجهات النص حيث حدد الفترة الزمنية كعنصر من عناصر النص، وحدد وقت المجيء بحال البكاء، مما أعطى للنص حيوية، فالنص من دون الموجهات هياكل جامدة غير محدد المعالم أو الوجهة الدلالية، فالمجيء عشاء غير المجيء ظهرا، فادعاؤهم أكل الذئب ليوسف يتطلب التأخر، ليوهموا أباهم بالتأخير بحثا عنه، أو حتى لا يتفحص أبوهم القميص، أو أنها عودتهم المعتادة في هذا الوقت، وبالتالي يكونوا "أقدر على الاعتذار في الظلمة"[(1)]. فمجيء الظرف هنا له أهميته الدلالية في النص.

الآية السابعة عشرة: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾

جاءت العناصر الإحالية التي تحيل على إخوة يوسف مكثفة، كضمير الحضور (نا) الذي ورد سبع مرات والثامنة ضمير المتكلم المنفصل (نحن) والمستتر في (نَسْتَبِقُ) ومعها ضمير الجماعة الواو في (قَالُواْ) وكلها تحيل على إخوة يوسف، وهنا نعود مرة ثانية إلى الآية الثامنة ونحاول معرفة الفرق في مدلول الضمير الوارد هنا وفي الآية الثامنة، فقد دل في الآية الثامنة على الضغط النفسي أو الغضب بدليل التركيب النحوي في نهاية الآية عندما يصف إخوة يوسف أباهم بالضلال المبين في قوله تعالى: (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)، أما الضمير هنا فيدل على خوف وارتباك إخوة يوسف بدلالة التعقيب في نهاية الآية، قال تعالى على لسانهم: (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)، فقد قدموا مبررا كان قد توقعه أبوهم سابقا، وبادروا أباهم بقول ما يتوقعون أن يقول لهم، وأداة الشرط لو تفيد امتناعا لامتناع، فأدانوا أنفسهم من حيث لا يشعرون، فامتنع الصدق لعدم صحة الادعاء، لكن يعقوب عليه السلام من الصابرين.

يتكرر الفعل قال والمرجع الإشاري يوسف مع الإحالة عليه بالضمير في (فَأَكَلَهُ)، في إطار حبك فكرة التآمر على يوسف، وتكرير فعل (أكله) يعيدنا إلى خوف أبيهم من أن يأكله الذئب كما جاء في الآية الثالثة عشرة وكأن تلوين نسيج

---

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ص461.

النص تطلّب خيطا طويلا وآخر قصيرا، لتظهر تجليات الخالق، فبعد آيتين يأتي خيط يربط ما سبق بما لحق، وفي موضع آخر يبرز خيط يربط بين الآية وما يليها مع مد خيوط إلى خارج النص، كما في الإحالة المقامية نحو: (وأوحينَا) في الآية الخامسة عشرة، فضمير المتكلم يحيل خارج النص، فآليات الاتساق تتناوب في نسج خيوط النص.

يعمل الوصل الإضافي على ربط أجزاء الجملة النصية داخليا نحو: (وتَركْنَا)؛ فالواو تدل على الجمع والمشاركة فوقت الذهاب إلى السباق وترك يوسف واحد، ولكن حرف العطف في قوله (فأكلَه) يدل على الترتيب والتعقيب في الحدث فقد اختصر استخدام حرف العطف الفاء جملة تفصيلية تبين فترة وقوع حدث الأكل المفتعل وأنهم لم يكونوا عنده وقتها، ويستمر الوصل بربط خيوط الجملة في (وما أَنتَ بِمؤْمِنٍ لنَا ولَو كُنا صادِقِين) بحرف الوصل الواو.

الآية الثامنة عشرة:﴿ وجآؤُوا على قَمِيصِهِ بِدمٍ كَذِبٍ قَالَ بلْ سولَتْ لَكُم أَنفُسكُم أمرا فَصبر جمِيلٌ واللّه الْمستَعان على ما تَصِفُون ﴾

بدأت الآية بالوصل الإضافي؛ إذ ربط الآية مع السابقة، ويتكرر الفعل جاءوا دالا على الترابط بين الآيات تأكيدا وتبيانا لحدث المجيء وأهميته في أحداث القصة لما فيه من الأعذار التي تحمل عدم صحة دعواهم، والتكرار هنا من النوع التام؛ فقد تكرر ذكر حدث المجيء بنفس العناصر الإشارية الفاعلة للمجيء في الآية السادسة عشرة، قال تعالى: (وجاؤُواْ أَباهم عِشَاء يبكُون)، ويظهر دور القميص كعنصر إشاري معجمي كما سيأتي. ويكرر الفعل قال مرة ثانية في الآية (قَالَ بلْ سولَتْ لَكُم أَنفُسكُم أمرا).

ويظهر دور حرف الإضراب (بل) من أدوات الوصل العكسي في ترابط أجزاء النص، فقد أضرب يعقوب عليه السلام عن حجتهم إلى غيرها (بلْ سولَتْ لَكُم أَنفُسكُم أمرا). ومن الوصل هنا العطف بالواو في قوله تعالى: (وجآؤُوا علَى قَمِيصِهِ بِدمٍ كَذِبٍ) وقوله تعالى: (واللّه الْمستَعان علَى ما تَصِفُون).

وأما الحذف في قوله تعالى: (فصبر جميل) فعلى تقدير صبري أو أمري أو شأني، وأثره داخل الجملة.

عمل العنصر الإحالي الاسم الموصول (ما) رابطا اتساقيا مع العنصر الإشاري المحال عليه في قوله تعالى: (علَى ما تَصِفُون)، وهو ادعاء الإخوة قصة الذئب مع يوسف، وأحالت الآية على إخوة يوسف بالضمائر في (وجآؤُوا، سولَتْ لَكُم أَنفُسكُم، ما تَصِفُون) وعلى يوسف في (قَمِيصِهِ) وعلى يعقوب في (قَالَ).

الفعل (جآؤُوا) هنا محور للآية، فالجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه والصفة في (علَى قَمِيصِهِ بِدمٍ كَذِبٍ) مرتبط بالفعل جاء والفعل قال مرتبط بالفعل جاء وكأن القول: قال بل جئتم مسولة لكم أنفسكم أمرا، والصبر الجميل ترتب على مجيء الإخوة بنبأ مقتل يوسف، وكذلك الفعل (تصفون) يرتبط بوصف ما بعد هذا المجيء، ووضع الدم الكذب على القميص، والعلاقة بين العنصر الإشاري النصي مضمون الآية، والعنصر الإحالي الاسم الموصول، والضمير في قوله تعالى: (علَى ما تَصِفُون) علاقة الإجمال بعد التفصيل.

وإلى هنا تنتهي أحداث التآمر على يوسف، وقد قامت الإحالات والاتساق المعجمي على ربط جمل هذا الجزء من النص مع بعضه، كما ربطته مع أجزاء النص السابقة، وكذلك أدوات الوصل؛ إذ وصلت ما بين الجمل النصية وبين الجمل الفرعية للجملة النصية، والحذف على قلته عمل على الاتساق الداخلي لأجزاء الجملة والنص.

الآية التاسعة عشرة: ﴿وجاءتْ سيارةٌ فَأرسلُواْ واردهم فَأدلى دلْوه قَالَ يا بشْرى هـذَا غُلام وأَسروه بِضاعةً واللّه علِيم بِما يعملُون﴾

تنتقل هذه الآية إلى فصل آخر (مقطع) من فصول القصة، وهي قصة يوسف مع السيارة الذين وجدوه في الجب، وتبدأ بتكرير المجيء (وجاءتْ)، لكنه المجيء إلى الجب الذي طرح فيه يوسف فشكل تكرير الفعل جاء عامل ربط مع الآيات السابقة، وهو من نوع التكرير الجزئي، إضافة إلى الربط باسم الإشارة (هذا) الذي يشير إلى سيدنا يوسف الوارد في معظم القصة، ثم يتلوه لفظ غلام، والمقصود به يوسف عليه السلام، وهو تكرير بالترادف، ويعزز بضمير الغائب (الهاء) المحيل على يوسف عليه السلام في قوله تعالى: (أَسروه)، وهي إحالات نصية، ومن الإحالات داخل الجملة النصية ضمير الجماعة في (فَأرسلُوا، وأَسروه، يعملُون)،

وضمير الغائب المتصل في (واردهم) والمفرد في (دلْوه) والضمير المستتر في (فَأدلى، قَالَ)، وتعتبر الإحالة على السيارة إحالة على عنصر إشاري داخل الجملة، فلم يذكر في غيرها سابقا أو لاحقا، كما نجد الربط الداخلي من خلال الاسم الموصول (بِما) الذي يرتبط مع صلته على مستوى الجملة، وفيه إحالة على عنصر نصي.

أما الوصل كالعطف بالفاء في قوله تعالى: (فَأرسلُواْ وارِدهم فَأدلى دلْوه) فيفيد تتابع وترتيب الحدث، وفي الاستئناف بالواو استمرار للحدث كما في قوله تعالى: (وأَسروه بِضاعةً واللّه عليم)، والاستئناف من روابط الجملة النصية فالجملة اكتملت بالتعقيب في قوله تعالى: (واللّه علِيم بِما يعملُون) فعمل الاستئناف على الربط بإتمام المعنى.

الآية العشرون:﴿ وشَروه بِثَمنٍ بخْسٍ دراهِم معدودةٍ وكَانُواْ فِيهِ مِن الزاهِدِين﴾

بدأت الآية الكريمة بالوصل الإضافي ما أدى إلى تماسكها مع الآية السابقة، وجاءت الإحالات لإفادة التماسك، فقد احتوت على إحالات نصية يمثلها ضمير الغيبة (الهاء) في (شَروه، فِيهِ)، وهو يعود على المرجع الإشاري في النص يوسف عليه السلام، وضمير الجماعة الواو في (وشَروه، وكَانُواْ) يحيل على السيارة إحالة نصية قبلية، والعنصر الإشاري لم يذكر مرة ثانية ونابت عنه الضمائر، والإحالة هنا إحالة نصية خارج الجملة لأن العنصر الإشاري مذكور خارج الجملة.

ويعد الفعل (شَروه) محور الآية، فالثمن البخس والدراهم المعدودة والزهد فيه، كلها مدلولات تجارية، وهذا التفصيل من التضام، وأدى إلى الاتساق على مستوى النص لارتباط أحد عناصر التضام بضمير يحيل على يوسف، وهو الفعل (شَروه). ومن الوصل واو العطف في (وكَانُواْ).

الآية الحادية والعشرون:﴿وقَالَ الَّذِي اشْتَراه مِن مصر لامرأَتِهِ أَكْرِمِي مثْواه عسى أَن ينفَعنَا أَو نَتخِذَه ولَدا وكَذَلِك مكَّنّا لِيوسفَ فِي الأَرضِ ولِنُعلمه مِن تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ واللّه غَالِب علَى أَمرِهِ ولَـكِن أَكْثَر الناسِ لاَ يعلَمون﴾

الآية تمثل بداية مقطع جديد، وهو عهد جديد لسيدنا يوسف عليه السلام مع من اشتراه من مصر، ولذلك نجد العناصر الإحالية على المشتري وامرأته.

بدأت الآية الكريمة بالوصل ثم تكرير الفعل قال محيلة على من اشترى يوسف عليه السلام من مصر بالضمير المستتر والاسم الموصول (الذي)، وهي إحالة بعدية؛ فالعنصر الإشاري المحال إليه يأتي ذكره لاحقا في النص، وتكرير فعل الشراء (اشْتَراه) كعنصر اتساق معجمي ربط الآية مع السابقة التي بدأت بالشراء، وأحال ضمير الغائب الهاء في (اشْتَراه، مثْواه، نَتخِذَه، ولِنُعلمه) على يوسف عليه السلام.

دخل عنصر إشاري جديد وهي امرأة المشتري، فيحيل إليها العنصر الإحالي ضمير الخطاب في (أكْرِمِي)، ثم يأتي ضمير المتكلم ليحيل على المشتري وزوجته في (أن ينفَعنَا) رجاء المنفعة أو اتخاذه ولدا، وقد أحال الفعل (نَتخِذَه) على المشتري وسيدنا يوسف علية السلام بعد استخدام الوصل الإضافي للتخيير بأداته (أو)، وربط بين فعل الأمر (أكْرِمِي) ونتيجته المتوقعة (أن ينفَعنَا أو نَتخِذَه ولَدا)، ويتم استئناف الآية بأداة الاستئناف الواو، لنصل إلى عنصر إحالي وهو اسم الإشارة (ذَلِك) ولا يوجد في النص عنصر إشاري معجمي يعود عليه، فهو يحيل على عنصر إشاري نصي؛ غير ملفوظ وهو "ما تقدم من إنجاء يوسف عليه السلام"[1]. وبذلك يحيل إحالة نصية قبلية على مضمون مقطع سابق، وفي التشبيه بالكاف مقارنة للتذكير على أحوال التمكين عبرة للمتلقين، وفي (مكنا) إحالة مقامية إليه سبحانه وتعالى، وجاء الوصل الإضافي بالعطف، وتبعه الوصل السببي بلام التعليل للربط بين التمكين نتيجة، وعلم التأويل، الذي كان بأمر الله سببا في التمكين في الأرض ليوسف، وقد ورد في الآية السادسة والخمسين في قوله تعالى (وكَذَلِك مكنا لِيوسفَ فِي الأَرضِ يتَبوأُ مِنْها حيثُ يشَاء)، أما (الناس) فعنصر إشاري بدليل عودة ضمير الجماعة الواو عليه في (يعلَمون) .

في قوله تعالى: (واللَّه غَالِب علَى أمرِهِ) ؛أي على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء. أو على أمر يوسف يدبره لا يكِلُه إلى غيره[2]. ففي ضمير الغيبة الهاء إحالة مقامية ونصية؛ مقامية بإحالة الأمور كلها تحت إمرته سبحانه وتعالى، وهي مقامية

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 454.

2- المصدر نفسه، ج2، ص454.

وإن ورد لفظ الجلالة في النص فليس موضع حدث أو طرفا في القصة، إنما هو لفظ يشير إلى الذات الإلهية المنتجة لنص القرآن، وفي الضمير إحالة نصية؛ لأن أمر يوسف وإخوته أحد أموره سبحانه وتعالى المذكورة في نص القرآن، وهي إحالة مشتركة موسعة، تربط الآيات السابقة باللاحقة.

الآية الثانية والعشرون:﴿ولما بلغَ أَشُده آتَينَاه حكْما وعِلْما وكذَلِك نَجزي الْمحسِنين﴾

وتشتمل الآية الكريمة على ضمائر الغيبة المضمرة والمتصلة المحيلة على يوسف عليه السلام، إحالة نصية تربط الآية بالآية السابقة وعموم القصة، كما نجد الربط مع الخارج منتج النص سبحانه وتعالى بالإحالة المقامية في قوله تعالى: (آتَينَاه) بضمير المتكلم (نا)، والضمير المستتر في (نَجزي)، ويمثل الوصل السببي بالأداة في (لما) رابطا على مستوى الجملة بين طرفي الشرط في قوله تعالى: (ولَما بلَغَ أَشُده) و(آتَينَاه حكْما)، وكذلك الوصل الإضافي بالعطف والاستئناف في قوله تعالى: (وعِلْما وكذَلِك نَجزي الْمحسِنين)، وأحال اسم الإشارة إحالة نصية بعدية على عنصر إشاري نصي غير ملفوظ (مضمون)، وهو ما منحه تعالى ليوسف فيما بعد على اعتبار ما سيكون، وفي الآية حكم مسبق ليوسف بأنه من المحسنين فالضمير (الياء) علامة إعراب الجمع المذكر السالم أحال على يوسف كأحد المحسنين.

الآية الثالثة والعشرون: ﴿وراودتْه الَتِي هو فِي بيتِها عن نفْسِهِ وغَلَّقَتِ الأَبواب وقَالَتْ هيتَ لَك قَالَ معاذ اللَّهِ إِنه ربي أَحسن مثْواي إِنه لاَ يفْلِح الظَالِمون﴾

الآية تمثل تطورا للحدث في المقطع النصي؛ وهو قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، وبدأت بحبك لغوي شديد إذ تناوبت الإحالات بالضمائر بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام تناوبا يظهر أهمية الحدث، واللغة تقدم نسجا دلاليا لغويا محكما في تصوير الواقع، إذ اجتمع في الجملتين الفرعيتين في قوله تعالى: (وراودتْه الَتِي هو فِي بيتِها عن نفْسِهِ) عناصر إحالية بالتناوب: الضمير المتصل المحيل على سيدنا يوسف عليه السلام في موقع المفعولية، والاسم الموصول (الَتِي) المحيل على امرأة العزيز في موقع الفاعلية، ثم الضمير المنفصل (هو) المحيل على يوسف ثم ضمير متصل يحيل على امرأة العزيز في قوله تعالى:

(فِي بيتِها)، ثم ضمير يحيل على يوسف في قوله تعالى:(نفْسِهِ)، فنرى تناوب الضمائر في نسج قوي بين طرفي الحدث في المقطع النصي، ثم نرى الضمير المتصل والمستتر في قوله تعالى: (وغَلقَتِ الأَبواب وقَالَتْ هيتَ) يقود انفتاحا للضمائر على امرأة العزيز بما يناسب سير الحدث في الآية، فهي التي راودته عن نفسها، وفي بيتها، وغلقت الأبواب، وقالت هيت لك، فالإحالة كثرت على العنصر الإشاري صاحب القيام بالحدث ومحور الدلالة امرأة العزيز، ثم جاء ضمير المخاطب (الكاف) في (لَك) يحيل على يوسف تبيينا للمخاطب جيء به بعد استغناء الكلام عنه[1]. وتكرر الفعل قال في قوله تعالى: (قَالَ معاذ اللّهِ) لينقل الرفض بعد دهشة من الموقف، فقوله تعالى على لسان سيدنا يوسف: (قَالَ معاذ اللّهِ ِإنه ربي َأحسن مثواي) بما يحمل من ذكر الله وذكر فضل زوج المرأة الذي أحسن إليه لا يصدر عن نفس لأنت للفحشاء، ويحيل على يوسف والزوج، والعناصر الإحالية هنا لم تُشرك المرأة في الاستعاذة، فهي خاصة بيوسف الذي مثل جانب الرفض للغواية، وذلك في الضمير المستتر في (قَالَ)، وضمير المتكلم الياء في (ربي) و(مثواي).

وترتبط الأفعال السابقة (غَلقَتِ، قَالَتْ، هيتَ) بالفعل (راودتْه) على سبيل التضام، فالمراودة تطلّبت إغلاق الأبواب، ثم التوجه إلى يوسف عليه السلام بالقول: (وغَلقَتِ الأَبواب وقَالَتْ هيتَ لَك)، والفعل راود يدل على المفاعلة وعلى من لا يريد أن يخرج مخدوعه من يده فيأتي بما يجذبه إليه[2]. ويأتي الفعل (قال) المحيل على يوسف عليه السلام كمحور فعلي ثانٍ في الجملة، يخص يوسف عليه السلام وما صدر عنه من قول، وكذلك نجد الإحالة النصية العائدة على عزيز مصر قطفير[3]. في (إنه، َأحسن)، وهناك إحالة نصية موسعة على عنصر إشاري حر غير محدد في قوله تعالى: (إنه لاَ يفْلِح الظالِمون)، فالهاء ضمير الشأن يحيل على عنصر إشاري حر: إما إلى الذين يجازون الحسن بالسيئ، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ص467.
2 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص455.
3- المصدر نفسه، ج2، ص456.

لأنفسهم، وقيل: أراد الله لأنه مسبب الأسباب[1]. وكلها عناصر إشارية عامة، وفيها توسعه للنص مقصودة، وهذا دوره سبحانه وتعالى كمنتج للنص، إذ أراد انفتاحا للنص على المتلقي يعمل فيه فكره، بدلالة النص القرآني.

الآية الرابعة والعشرون: ﴿ولَقَدْ همتْ بِهِ وهم بِها لَولا أَن رأَى برهان ربهِ كَذَلِك لِنَصرِفَ عنْه السوء والْفَحشَاء إِنه مِن عِبادِنَا الْمخْلَصِين﴾

بدأت الآية الكريه بالوصل الإضافي واو العطف لربط الحدث بالآية السابقة باستمرار محاولة المراودة، فالفعل (همت) يرتبط بالفعل راودته في الآية السابقة، وفيه اتساق معجمي بالتضام فهو من المراودة، وبما أنها راودته محاولة الإغراء والجذب فقد عمل العطف في (وهم بِها) على الربط بين الفعلين: همت به وهم بها للجمع والتقريب بين الحدثين فوقتهما واحد، مع اختلاف بين الهمين من حيث الدلالة -فالهم معنى واسع- وهم يوسف عليه السلام هو ردعها عنه بالضرب، وفيه تروٍ، لورود الخبر عنه بأبسط صورة لغوية (وهم بِها)، أما هم امرأة العزيز فقد احتوى على المؤكدات اللغوية إصرارا وتمييزا عن هم يوسف، من خلال القسم والتحقيق والعطف على المراودة في قوله تعالى: (ولَقَد همتْ بِهِ)، واقترن الشرط (لَولا) بيوسف، إذ أحال الضمير المستتر في فعل الشرط (رأَى) وكذلك الضمير المتصل في (ربهِ) على يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: (لَولا أَن رأَى برهان ربهِ) ولم يحِلْ على امرأة العزيز، وامتنع هم يوسف؛ أي ضربها - جواب الشرط المحذوف - لما رأى برهان ربه، أما هي فسائرة في همها فحقت أداة الشرط (لولا) ليوسف وليس لامرأة العزيز، فامتناع الجواب لامتناع الشرط، لوجود البرهان الذي صرف عنه السوء. وأما همه بها فقد هم بردعها عن غيها نحوه، ومن البرهان تراجع، فقد رأى من ربه سبيله في مواجهة الأمور بحكمة لا بالقوة التي ترتد عليه بنتائج سلبية.

ويأتي اسم الإشارة (ذَلِك) المقترن بالكاف لمقارنة الأحوال، محيلا على مضمون قوله تعالى: (لَولا أَن رأَى برهان ربهِ) ليربط جملة الشرط السابقة بما بعدها باستخدام أداة الوصل السببي لام التعليل في قوله تعالى: (لنصرف عنه السوء

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص456

والْفَحشَاء)، إذ يحِل بيوسف السوء إن عاقبها على مراودتها له، فيجلب الشك عليه؛ بأنه ضربها ليغتصبها، فيعاقب على ذلك، فتراجع يوسف وصبر ببرهان ربه.

وذِكر السوء في الآية دليل براءته من كل أنواع السوء، فالفحشاء بعض السوء، فما المعنى الموجب لذكر السوء وصرفه عن يوسف، إن لم يكن المعنى المقصود من هم يوسف بها هو عقابها وليس الزنا، فلو كان معنى (هم بها) هو إرادة الفحشاء، لقال تعالى–والله أعلم- لنصرف عنه الفحشاء، وما كان يذكر السوء في الآية، ولكن الهمين مختلفان فنتيجة همها فحشاء، وهو الزنا على رأي المفسرين، ونتيجة همه بالضرب سوء عليه، فافردهما سبحانه وتعالى بالذكر عن بعضهما في قوله تعالى (لِنَصرِفَ عنْه السوء والْفَحشَاء) وربط بينهما بالعطف من ناحية التجاوز عنه، فجاوزه الله تعالى كل السوء، وفي قوله تعالى: (السوء والْفَحشَاء) تضام بالتفصيل للتخصيص، إذ الفحشاء جزء من معاني السوء، فنفى عنه الفحشاء تخصيصا وجنبه السوء بالبرهان عموما.

وتبين الآية براءته، فالله أراد أن يبعد عنه السوء والفحشاء، فحرف الجر (عن) يفيد المجاوزة، وقرن سبحانه وتعالى الضمير المتصل بحرف الجر (عنْه) وهو يحيل على يوسف، والمتجاوِز هو من يقوم بفعل التجاوز، ويوسف عليه السلام إن نفذ همه بها وقع في السوء، وإن نفذت همها به وقع في الفحشاء، فكفاه الله شر الأمرين فجاوزهما عنه سبحانه وتعالى بما أراه تعالى من البرهان، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى أثبت ليوسف أنه من عباده المخلَصِين فقال تعالى: (إِنه مِن عِبادِنَا الْمخْلَصِين).

ودلت آيات لاحقة على براءة يوسف، فالنسوة برأنه، وشاهد من أهلها، والعزيز عرف براءته إذ قال تعالى على لسانه: (يوسفُ أعرض عن هـذَا واستَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنكِ كُنتِ مِن الْخَاطِئِين) بنداء التودد طالبا كتمان ما حدث منها. وإن سجنَه، فكيد النساء عظيم وأثره على الرجال قوي، واسم الإشارة (ذَلِك) أحال إلى قوله تعالى (لَولا أَن رأَى برهان ربهِ) لأن المراد إثبات طهارة يوسف، فعادت الضمائر عليه، دون غيره.

في الآية إحالات نصية نحو: الضمير المستتر في (همتْ) والمتصل في (بِها) وهما يحيلان على امرأة العزيز، والمستتر في (هم، رأَى) يحيل على سيدنا يوسف، وكذلك الضمائر المتصلة في (ربهِ، عنْه، إِنه)، ومقاميا أحالت الآية إليه سبحانه وتعالى في (نَصرفَ، عِبادِنَا)، أما الحذف لجواب الشرط (لولا) في قوله تعالى: (لَولا أَن رأَى برهان ربهِ) فعنصر اتساق داخل الجملة النصية.

الآية الخامسة والعشرون: ﴿واستَبقَا الْباب وقَدتْ قَميصه من دبرٍ وأَلْفَيا سيدها لَدى الْبابِ قَالَتْ ما جزاء من أَراد بِأَهلِك سوءا إِلا أَن يسجن أَو عذَاب أَلِيم﴾

بدأت الآية باستمرار محاولة المراودة من امرأة العزيز باستخدام أداة الوصل الواو دون أن يبدو اشتراك ليوسف عليه السلام في ذلك؛ من ناحية التفكير أو الإغراء النفسي أو المحاولة الجسدية، بدليل هروب سيدنا يوسف إلى الباب، وهنا نجد في اشتراك يوسف وامرأة العزيز في الاستباق إلى الباب عن طريق الإحالة بضمير التثنية الدال على الاستباق من الطرفين: يوسف عليه السلام وامرأة العزيز ما يثبت أن يوسف لم يهم بالفحشاء رغم الإغراء، فالاشتراك في الفعل (استَبقَا) دليل ذلك، فهو فعل يحمل معنى التحفز والاستعداد في الانطلاق، والإحالة على سيدنا يوسف وعلى امرأة العزيز معا بضمير التثنية يدل على أن يوسف عليه السلام قد فكر بالهرب وهي تحاول معه، وأن امرأة العزيز أدركت ذلك منه واستعدت، فعندما بادر بالهروب إلى الباب كانت مستعدة تسابقه للوصول إلى الباب لمنعه، ولم يقل سبحانه وتعالى تبعته إلى الباب لتمنعه –والله اعلم- فالرفض باد على سيدنا يوسف، وهي مستعدة، وقد غلقت الأبواب من قبل، وعندما بادر بالهروب انطلقت معه لمنعه من الباب، فهي تدرك رفضه واستعدت له، وأما الوصول إلى الباب معا على الرغم من أن همة الهارب وسرعته أكبر من المنتظر لنيل مراد عاطفي، فمرده إلى أن امرأة العزيز عندما رأت سبقَ سيدنا يوسف لها جذبته من قميصه بقوة فمزقته وأعاقت وصوله إلى الباب قبلها فوصلا سويا (وأَلْفَيا) سيدها لدى الباب، فالإحالة إليهما معا بالوصول إلى الباب كان بفعل جذبه بقوة وقد قميصه.

المفسرون فسروا السوء في قول الله تعالى على لسان امرأة العزيز (ما جزاء من أَراد بِأَهلِك سوءا) على أنه الزنا، ولو كان المعنى كذلك ما أفرده الله تعالى في

الآية السابقة عن الفحشاء، فالسوء معنى عام تدخل ضمنه الفحشاء، والفحشاء معنى عام من ضمنه الزنا، وامرأة العزيز أطلقت عموم المعنى لإخفاء خصوص مرادها منه لظروف وطبيعة الموقف، إذ فوجئت بسيدها لدى الباب، وهذا لا يسمح لها بالتفكير في خصوص المعنى الذي يدينه ولا يشينها، فقالت بالسوء دون تحديد. وفهم أنه الزنا.

في الآية إحالات نصية بضمائر تعود على المرجع الإشاري يوسف متصلة ومستترة في (قَمِيصه، يسجن)، وضمائر تعود على العنصر الإشاري امرأة العزيز نحو (قدت، سيدها، قالت) وضمائر تحيل على يوسف وامرأة العزيز معا نحو (واستَبقَا، وَأَلْفَيا)، وهي روابط داخل النص، ومن الوصل العطف بالواو في (وقَدتْ، وَأَلْفَيا) و أو في قوله تعالى: (يسجن أو عذَاب َأَلِيم) وهي روابط على مستوى الجملة النصية، والاسم الموصول (من) نحو(من َأراد) إحالة نصية على يوسف عليه السلام.

ونجد الترابط بين الآيات الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين والخامسة والعشرين عدا الروابط الإحالية - بالتضام، فالأفعال: غلقت، قالت هيت، همت، استبقا، قدت، ألفيا، كلها محاولات إغراء ومراودة وإيقاع بيوسف عليه السلام، تماسكت بالتضام مع الفعل راود.

الآية السادسة والعشرون: ﴿قَالَ هِي راودتْنِي عن نفْسِي وشَهد شَاهِد من َأهلِها ِإن كَان قَمِيصه قُد مِن قُبلٍ فَصدقَتْ وهو مِن الْكَاذِبِين﴾

بدأت الآية الكريمة بتكرير الفعل قال الذي يفهم منه رد يوسف عليه السلام على سؤال، أو الدفاع عن النفس مقابل اتهام امرأة العزيز إياه، وضمير الشأن (هي) يمثل إحالة نصية تربط الآيات، فامرأة العزيز عنصر إشاري ورد في أكثر من آية في القصة، وهو أول ضمير منفصل يحيل على امرأة العزيز وفي موضع اتهام لها.

ضمت الآية عناصر اتساق نصية: كالضمير المستتر في (قَالَ)، والمتصل في (راودتْنِي، نفْسِي، قَمِيصه)، والضمير المنفصل (هو) وكلها تحيل على يوسف عليه السلام، وأحيل على امرأة العزيز بضمير الشأن (هي) والمستتر في (راودتْنِي، فَصدقَتْ)، أما الضمير المتصل في (َأهلِها) فانه يحيل على عناصر إشارية أخرى

وهم أهلها، وهي واحدة منهم، ومن الاتساق أيضا الوصل القائم على السبب والنتيجة باستخدام الأداة في أسلوب الشرط نحو قوله تعالى: (إِن كَان قَمِيصه قُد مِن قُبلٍ فَصدقَتْ). والوصل الإضافي بواو العطف في (وشَهد، فَصدقَتْ وهو).

وجاء التكرير المعجمي للفعل (راود) من قبل يوسف عليه السلام للتأكيد على أن محاولة الإغراء من امرأة العزيز، وعمل الفعل على الربط ما بين الآية وسابقاتها إضافة إلى مجموعة أفعال تدور في إطار المراودة ذكرت سابقا. ويعود العنصر الإشاري (قميص يوسف) للظهور مرة ثانية كعنصر اتساق يربط بين أجزاء النص، فقد ربط بين هذا المقطع والمقطع الذي تحدث عن ادعاء إخوة يوسف بأن الذئب أكله، عندما جاءوا على قميصه بدم كذب، مع اختلاف بين القميصين، إلا أن الإحالة على يوسف عليه السلام بالضمير المتصل بلفظ القميص شكلت رابطا بين العناصر الإشارية وهي القميص الأول والثاني وسيأتي ذكر الثالث، وفي إعادة العنصر الإشاري القميص مع استبدال الثاني المقدود بالأول ووجود الأثر الدال على المستبدل؛ وهي الضمائر المحيلة على يوسف العنصر الإشاري الجامع بين القميصين - اتساق نصي بالاستبدال. وقد عمل الاستبدال على مستوى الروابط النصية المقطعية، مذكرا بأول محنة ليوسف عليه السلام التي مر بها مع إخوته.

الآية السابعة والعشرون: ﴿وإِن كَان قَمِيصه قُد مِن دبرٍ فَكَذَبتْ وهو مِن الصادِقِين﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل الإضافي واو العطف لتربط الآية مع سابقتها في قوله تعالى: (وإِن كَان قَمِيصه) فربطت بين جملتي الشرط في هذه الآية والآية السابقة في قوله تعالى: (إِن كَان قَمِيصه قُد مِن قُبلٍ فَصدقَتْ). وهناك وصل بالواو في (وهو مِن الصادِقِين) إضافة إلى إحالات الضمائر المستترة والمتصلة والمنفصلة العائدة على طرفي المقطع النصي في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز في (وإِن كَان قَمِيصه، فَكَذَبتْ وهو مِن الصادِقِين).

وظهرت إحالة نصية جديدة في (قُد) فالضمير يعود على قميص يوسف الذي قد لا الذي جاءوا عليه بدم كذب - وهنا تكرار معجمي للقميص المقدود، والفعل قد مثل تضاما إلى الفعل راود، فقد القميص من المراودة، والكذب والصدق ضدان، فيهما تضام.

الآية الثامنة والعشرون:﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾

أحال الضمير المستتر نصيا على زوج امرأة العزيز (قطفير) في (رأى)، كما أحال الضمير المتصل في (إنه) على عملية القد، ودخلت إحالة نصية جديدة في الفعل (كيدكن) فضمير الخطاب (كن) يحيل على امرأة العزيز وأمتها، وأحال بالجمع استعظاما لكيد النساء كما يذكر الزمخشري[1].

ويظهر عنصر التكرير، إذ كرر العنصر الإشاري (قَمِيصه) والفعل (قُد) و(قَالَ) لترتبط الأسماء والأفعال مع الآية السابقة وكرر (كَيدكُن) في الآية للتأكيد على عظم كيد النساء، وأحيل على يوسف بالضمير المتصل في (قميصه)، ويظهر دور الوصل في (لما) كرابط نصي داخل الجملة.

الآية التاسعة والعشرون: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾

بدأت الآية بتكرير المرجع الإشاري في القصة (يوسف) عليه السلام الذي يربط جميع أحداث القصة، وهو أبرز عنصر إشاري في القصة بما في القصة من عبر، وجاء عنصر الحذف لحرف النداء لإظهار قرب المنادى وأنه مفاطن للحديث وفيه تقريب له، وتلطيف لمحله[2]. وفي النداء المحذوف إحالة على يوسف عليه السلام.

واسم الإشارة هذا في قوله تعالى (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا) قام بالإحالة النصية الموسعة على مضمون المقطع بما أحدثته امرأة العزيز، ويطلب العزيز منه أن يعرض عن الحديث به، فاسم الإشارة أحال على عنصر إشاري نصي يمثل أحد الأفكار الفرعية في موضوع القصة، ليربط هذه الآية مع مجموع الآيات السابقة التي تحدثت عن مراودة امرأة العزيز ليوسف، ونجد الوصل بواو العطف في (واستغفري) كعنصر اتساق على مستوى الجملة؛ فقد عطف جملة فرعية على أخرى داخل الجملة النصية، لكن اقتران المعطوف بالضمير العائد على امرأة

---

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص460.

2 - المصدر نفسه، ج2، ص460.

العزيز المحيل نصيا يعمل على ربط الآية مع غيرها من الآيات التي ورد فيها العنصر الإشاري امرأة العزيز، وفي الآية إحالات نصية بالضمائر تحيل على يوسف عليه السلام في (أعرض)، وعلى امرأة العزيز في قوله تعالى: (واستَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنكِ كُنتِ مِن الْخَاطِئِين)، وقد كثرت الإحالات على العنصر الإشاري امرأة العزيز في سياق الحديث عن الخطيئة، إثباتا للخطيئة عليها، ولا نجد مثل هذه الإحالات على يوسف عليه السلام في مجال الاتهام بالخطيئة.

الآية الثلاثون: ﴿وقَالَ نِسوةٌ فِي الْمدِينَةِ امرأة الْعزِيزِ تُراوِد فَتَاها عن نفْسِهِ قَد شَغَفَها حبا إِنا لَنَراها فِي ضلالٍ مبِينٍ ﴾

بدأت الآية بتكرير الفعل قال، ويعمل مع مقوله على تماسك الجمل في القصة، وحرف العطف الواو في (وقَالَ) عمل على الارتباط مع الآيات السابقة في إطار تساوق الأحداث، ويذكر العنصر الإشاري امرأة العزيز من بعد الإضمار إظهارا في قوله تعالى: (امرأة الْعزِيزِ)، ويعود الفعل راود للتكرير وهو تكرير تام كرابط جامع لهذه الآية مع الآيات السابقة. ومولد دلالي لمجموعة أفعال، وتحتوي الآية عدة ضمائر تحيل إحالات نصية على امرأة العزيز في (تُراوِد فَتَاها، شَغَفَها، لَنَراها)، وفيها إدانة لها من النسوة، وفي ضمير المتكلم إحالة نصية على النسوة في (إنّا) وفي الضمير المستتر في فعل (نراه) إظهار لموقف النسوة وإبراز إنكارهن الشديد لفعلة امرأة العزيز، الذي انقلب تاليا عندما رأينه، مما شجع امرأة العزيز على الاعتراف بذنبها فاللائمات أصبحن هائمات من رؤية واحدة فكيف بها وهو في بيتها، هذه الآية بداية حدث آخر من مجريات القصة، وهو ما جرى بين امرأة العزيز ونسوة من المدينة حيث شكل المرجع الإشاري يوسف عامل ارتباط داخل النص بين امرأة العزيز والنسوة، وكذلك امرأة العزيز بدرجة أقل من يوسف فهما مدار إحالات وارتباطات لغوية كثيرة، وأحالت الضمائر نصيا على يوسف نحو: (نفْسِهِ، شَغَفَها).

الآية الحادية والثلاثون: ﴿ فَلَما سمِعتْ بِمكْرِهِن أَرسلَتْ إِلَيهِن وأَعتَدتْ لَهن متكَأً وآتَتْ كُلَّ واحِدةٍ منْهن سِكِينًا وقَالَتِ اخْرج علَيهِن فَلَما رأَينَه أَكْبرنَه وقَطَّعن أَيدِيهن وقُلْن حاشَ لِلّهِ ما هـذَا بشَرا إِن هـذَا إِلا ملَك كَرِيم﴾

بدأت الآية الكريمة بالوصل الإضافي والسببي نحو: (فَلَما) لترتبط بالآية السابقة في نفس الحدث، وتتابع الربط الداخلي بالوصل السببي الشرطي نحو: (فَلَما سمِعتْ بِمكْرِهِن أَرسلَتْ إليهن)، والوصل الإضافي في المتعاطفات نحو قوله تعالى: (وَأَعتَدتْ لَهن متكَأً وآتَتْ كُل واحِدةٍ منْهن سِكينًا وقَالَتِ)، وكذلك عملت إعادة الوصل الإضافي والسببي مع العطف بعدهما في قوله تعالى: (فَلَما رأينَه أَكْبرنَه) على التماسك، وتتابع الوصل الإضافي بالعطف في قوله تعالى: (وقَطعن أيدِيهن وقُلْن) ثم السببي في مقول القول في قوله تعالى: (حاشَ لِلّهِ ما هـذَا بشَرا إِن هـذَا إِلا ملَك كَرِيم) وهذا الترابط داخل الجملة النصية، زاد في التماسك، وأبرز التتابع أحداث المشهد في الآية (الجملة النصية)، والوصل في بداية الآية وصل نصي فقد وصل الجملة (الآية) النصية مع السابقة، بينما الوصل الذي جرى في الجمل الفرعية هو وصل داخلي؛ أي داخل الجملة النصية.

الضمائر التي تحيل نصيا على امرأة العزيز والنسوة تناوبت، فامرأة العزيز بالضمير المستتر، والنسوة بضمير الغيبة (هن) نحو قوله تعالى: (فَلَما سمِعتْ بِمكْرِهِن أَرسلَتْ إليهن وَأَعتَدتْ لَهن متكَأً وآتَتْ كُل واحِدةٍ منْهن سِكينًا وقَالَتِ اخْرج علَيهن)، وقد اتصلت الضمائر المحيلة على النسوة بداية بحروف جر عندما كان الحدث من امرأة العزيز، فالنسوة هنا لا دور لهن في الأداء القصصي، أما بعد أن رأينه أصبحن داخل الحدث، فاتصلت الضمائر العائدة عليهن بالأفعال، ومن جميل اللغة أن عبر الفعلان (رأينَه، أَكْبرنَه) عن حيوية الحدث والإعجاب والاندهاش والذهول بذكر الفعل والفاعل والمفعول به في نفس اللفظة التي تشكل جملة، وكأن القارئ يرى مشهد النسوة عيانا، وفي الفعلين يحيل الضمير نصيا على يوسف مثار الدهشة التي بدت على النساء، وأعطت الإحالات بالضمائر المحيلة على النسوة مشهدا خالصا خاصا بالنسوة وفيه اختصار.

عمل العنصر الإحالي اسم الإشارة في قوله تعالى: (ما هـذَا بشَرا إِن هـذَا إِلا ملَك كَرِيم) على إبراز الذهول بطريقتين:

أولاهما: الإحالة، فقد أحال على المرجع الإشاري للنص سيدنا يوسف عليه السلام، إذ شغلهن وأصبحن في قلب الحدث أو وقعن في ما وقعت به امرأة العزيز فوجدت لنفسها عذرا فيما فعلت، لتعترف لاحقا.

ثانيتهما: التكرار توكيدا للمعنى، وفي الآية تضام بين (بشَرا، ملَك).

الضمائر التي تحيل على امرأة العزيز تقع في إطار أحداث المكر طلبا لرفع اللوم عنها الذي أوله سماع مكرهن (سمِعتْ بِمكْرِهِن) فأثارها، ثم الإرسال إليهن (أرسلَتْ إليهن) للإيقاع بهن، حتى لا يلمنها، ثم الإعداد للمكر (وأَعتَدتْ لَهن متكَأً)، وأمعنت في المكر على ثقة من نجاحه (وآتَتْ كُل واحِدةٍ منْهن سِكينًا)، ثم طلبت خروجه إليهن (وقَالَتِ اخْرج علَيهن)، لتنفيذ الخطة، فكانت النتيجة بأن قطعن أيديهن، واحتاج لفظ النتيجة إلى أداة وصل حتى يتسق ويعطي الدلالة واضحة، فلا يستقيم قول (أكبرنه قطعن أيديهن) من دون العطف.

الآية الثانية والثلاثون: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُن الَّذِي لُمتُنَّنِي فِيهِ ولَقَد راودته عن نفْسِهِ فَاستَعصم ولَئِن لم يفْعلْ ما آمره لَيسجنَن ولَيكُونًا من الصاغِرِين﴾

يتكرر الفعل قال مع الإحالة على امرأة العزيز، ويتبع التكرير الوصل الإضافي والإحالة باسم الإشارة والاسم الموصول في قوله تعالى: (فَذَلِكُن الَّذِي)، ويربط الوصل بالفاء الإحالة باسم الإشارة (فَذَلِكُن) مع المرجع الإشاري يوسف فيما حدث سابقا من المراودة.

تكرر الفعل راود في قوله تعالى: (راودته عن نفْسِهِ) كعامل اتساق معجمي، وأشارت امرأة العزيز إلى يوسف بقولها فذلكن، "ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به، وربأ بحاله، واستبعادا لمحله. ويجوز أن تكون الإشارة إلى المعنى بقولهن: عشقت عبدها الكنعاني. تقول: هو ذاك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن، ثم لمتنني فيه. تعني: أنكن لم تصورنه بحق صورته، ولو صورتُنه، بما عاينتن لعذرتنّي في الافتتان به "[1].

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص464.

عمل الوصل على الاتساق الداخلي بالواو العاطفة والاستئنافية وحرف العطف الفاء في قوله تعالى: (ولَقَد راودته عن نفْسِهِ فَاستَعصم ولَئِن لم يفْعلْ ما آمره لَيسجنَن ولَيكُونًا) وفي هذا الجزء من الآية وصل سببي، يقوم على القسم والشرط.

بالعودة إلى الوصل بالفاء في الفعل (فَاستَعصم) نجد الفعل (فَاستَعصم) مقابل الفعل (راودته) كقطبي مغناطيس متنافرين ففيهما تضاد وتنافر قاد إلى التضام والتماسك فالمراودة قابلها استعصام، ومن التضام نجد إثباتا آخر على أن يوسف عليه السلام لم يفكر بالفحشاء مع امرأة العزيز، وأن همه بها ليس إرادة الفحش، فالمستعصم بالله لا تراوده نفسه بالفحشاء، ولو كان في نفسه شيء من الضعف لها، لأغضى وقتها عما يذكره بالله ولما استعصم.

وفي الآية حذف نصي، فتقدير (فَذَلِكُن الذِي لُمتُنِني فِيهِ)؛ أي في حبه لأن اللوم لا يتعلق بالذوات ودليل ذلك قوله تعالى: (قَد شَغَفَها حبا)[1]. فلم تستطع دفع حبها له وعليه فالضمير المتصل بحرف الجر في (لُمتُنِني فِيهِ) أحال نصيا على معنى فهم من السياق ولم يرد له عنصر إشاري ملفوظ، بخلاف الضمير المتصل في (آمره) فالضمير هنا أحال نصيا على معنى فهم من السياق وورد ما يدل عليه من ملفوظ النص، فهو يحيل على الأمر الذي طلبته امرأة العزيز (المراودة)، وقد دلت عليه ألفاظ كثيرة سبق شرحها ودارت في نطاق المراودة.

وأحيل على يوسف بالضمير المستتر والمنفصل نحو قوله تعالى: (الذِي لُمتُنِني فِيهِ ولَقَد راودته عن نفْسِهِ فَاستَعصم ولَئِن لم يفْعلْ ما أمره لَيسجنَن ولَيكُونًا من الصاغِرِين) وكذلك أحيل إلى امرأة العزيز في قوله تعالى: (قَالَتْ فَذَلِكُن الذِي لُمتُنِني فِيهِ ولَقَد راودته)، ونرى أكثر العناصر الإحالية في هذه الآية يعود على المرجع الإشاري سيدنا يوسف، فعاد عليه أحد عشر عنصرا إحاليا منها ثلاثة فيها توجيه، مقابل أربع إحالات على امرأة العزيز، ذلك لأن الآية من مواضع البراءة له عليه السلام، والاعتراف من امرأة العزيز لا يزال مقصورا أمام النسوة.

---

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ص،488.

الآية الثالثة والثلاثون: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾

بدأت الآية الكريمة بالفعل قال كتكرار معجمي يفيد الاستمرارية في الحدث ويتضمن الإحالة على المرجع الإشاري يوسف، والجملة مستأنفة بيانيا، وهو ما كان جوابا لمقدر فقد قالت النسوة: ألا تطع مولاتك فرد عليهن في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) فالدعوة من النسوة، والضمير نون النسوة يحيل على النسوة في الآية السابقة، وذكر سبحانه وتعالى الكيد على لسان يوسف لإثبات المعنى له، كدليل آخر على طهارة النفس والجسد ليوسف، فما حدث له فهو من ناحية الكيد. وفي النداء إحالة مقامية عليه سبحانه وتعالى.

الوصل الإضافي والسببي ربط بين تركيبين، بالشرط والعطف في قوله تعالى: (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) كسبب و(أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) كنتيجة وبين ذلك الربط بالعطف، وذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء؛ لأن قوله وإلا تصرف عنّي فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف[1]. خوفا من أن يصبو إليهن وهو دليل على أن سيدنا يوسف لم يصب بعد، وأنه يدرك طبيعة نفسه البشرية.

اشترك الاسم الموصول في (مِمَّا) والضمير المتصل في (إليه) في الإحالة على مطلوب النسوة من يوسف، وهذا الاشتراك ورد في الآية السابقة وفيه التفات مشترك بين الاسم الموصول والضمير، وأحالت الآية على يوسف نصيا بالضمير المستتر والمتصل نحو: (قَالَ رَبِّ، إِلَيَّ، يَدْعُونَنِي، عني، أَصْبُ، وَأَكُن)، وأحالت مقاميا إلى منتج النص سبحانه وتعالى في (وَإِلَّا تَصْرِفْ).

وهناك اتساق إحالي بالمقارنة بين السجن وما تطلب منه النسوة، إذ فضل السجن نحو (السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ) من خلال اسم التفضيل أحب.

الآية الرابعة والثلاثون: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

---

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2،ص465.

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل الفاء في (فاستَجاب) لتربط هذه النتيجة مع أسبابها فيما سبق، فدعا ربه في الآية السابقة أن يصرف عنه كيدهن، فجاءت الاستجابة له هنا، وحوت الآية في البداية إحالات نصية داخلية في (لَه، ربه، عنْه، كيدهن)، وفي نهايتها اشتملت على إحالات مقامية في (فَصرفَ، إِنه، هو) لربط النص مقاميا بمنتجه سبحانه وتعالى، وخاصة أن الآية نهاية لأحداث كيد امرأة العزيز بيوسف، وضمير الشأن في (إنه) تفسره جملة هو السميع العليم، إلّا أن المعنى الدلالي يجيز تفسير الضمير بالعودة على خارج اللغة مقاميا وفيه توكيد للمحال عليه، وينتهي هذا الحدث الفرعي (المقطع)، ليبدأ حدث آخر ضمن أحداث قصة يوسف.

الآية الخامسة والثلاثون: ﴿ثُم بدأ لهم من بعدِ ما رأواْ الآيات ليَسجنُنه حتى حِينٍ﴾

تبدأ الآية الكريمة بأداة الوصل الإضافي (ثم) وهي تربط الآية مع سابقتها مع الإشارة إلى وجود أحداث استغرقت وقتا قبل سجنه؛ فحرف العطف (ثم) يفيد التراخي في الحدوث، وهو يعطف نصيا على محذوف مقدر من السياق.

الآية بداية لمقطع فرعي جديد فترة السجن، وهذا المقطع مرتبط بالتناص المنطقي مع الحدث السابق، فامرأة العزيز اشترطت إن لم يستجب ليسجنن فعذاب أليم، فجاء الجواب في هذه الآية، فسجن وقرر ذلك العزيز ومن حوله بدليل الإحالة بضمير الجماعة الواو (الظاهر والمحذوف) في قوله تعالى: (رأواْ الآيات ليَسجنُنه)، وهي ضمائر تحيل على عناصر إشارية في الحدث لم تظهر بلفظها بل قدرت من السياق ، كما يحتوي قوله تعالى: (ليَسجنُنه) على عنصر إحالي يعود على المرجع الإشاري للقصة يوسف عليه السلام، إذ شكل رابطا لهذا الجزء من القصة بعمومها، وفي ظرف الزمان (حين) إحالة على زمن مستقبل غير محدود.

الآية السادسة والثلاثون: ﴿ودخَلَ معه السجن فتَيان قالَ أَحدهما إِني أَراني أَعصِر خَمرا وقالَ الآخَر إِني أَراني أَحمِلُ فَوقَ رأْسِي خُبزا تأْكُلُ الطير مِنْه نَبئْنَا بِتَأويِلهِ إِنا نَراك مِن الْمحسِنين﴾

بدأت الآية الكريمة بالوصل الإضافي بأداة العطف الواو وهي من أدوات الربط "عطفت على محذوف"[1]، وذلك من الوصل النصي.

وفي الآية إحالات نصية داخل الجملة تعود على أحد الفتيين في قوله تعالى: (قَالَ أَحدهما إِني أَرانِي أَعصِر خَمرا) بضمير الغيبة (هما) والحضور (الياء)، وضمائر تحيل على الفتى الآخر في قوله تعالى: (وقَالَ الآخَر إِني أَرانِي أَحمِلُ فَوقَ رأْسِي خُبزا) بضمير الغيبة المستتر في (أَحمِلُ)، وبضمير الحضور الياء، في (إني، أَرانِي، رأْسِي)، ثم عادت الإحالة إليهما معا في (نَبِّئْنَا، إِنا) وكلها إحالات جملة في هذا الموضع من القصة، أي أن العناصر الإحالية تحيل على عناصر إشارية داخل الجملة الواحدة دون وجود للعنصر الإشاري في النص سابقا وإن أتى لاحقا، فالجملة تبدو منفصلة عن باقي القصة، إلّا أن وجود عناصر إحالية عادت على المرجع الإشاري يوسف نحو الضمائر في (ودخَلَ معه، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ، نَراك مِن الْمحسِنِين) عملت على ربط الجملة مع ما سبق، وهناك عناصر إشارية غير عاملة ذكرت ولم يحل عليها وهي الطير، وأخرى ذكرت وأحيل عليها مرة واحدة، وهو الخبز في قوله تعالى: (خُبزا تَأْكُلُ الطير مِنْه)، والضمير في (مِنْه) ربط جملة الصفة (تَأْكُلُ الطير مِنْه) بالموصوف الخبز.

وفي التفصيل تضام، فتوضيح العنصر الإشاري (فتيان)، بقوله (أحدهما والآخر) تفصيل، وهذا التفصيل لأهمية دور أحدهما في أحداث لاحقة.

وفي الفعل (قال) استمرار للتكرير لموافقة التساوق القصصي، ويرتبط به تراكيب مقول القول للعلاقة السببية نحو قوله تعالى: (إني أَرانِي أَعصِر خَمرا)، فهي مقول للفعل قال، وقال الثانية تكرير ومرتبطة بالعطف، وتكرر العنصر الإشاري الرؤيا بخلاف رؤيا يوسف، إلا أن العامل المشترك بينهما معجمي وهو الرؤيا بحد ذاتها، والتكرير تأكيد على أهمية الرؤيا في الأحداث النصية. وأول الرؤيا من سيدنا يوسف، وثانيها من الفتية، وثالثها من الملك، وكل واحدة منها شكلت مفصلا في حياة يوسف عليه السلام، وفي القصة وعبرها، فالأولى تبعتها محنته مع إخوته، والثانية أدت إلى خروجه من السجن، والثالثة مكنته عند الملك وكل بأمر الله.

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج، ص493.

الآية السابعة والثلاثون:﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾

تبدأ الآية الكريمة بتكرير الفعل قال، وفي الآية عناصر إحالية نصية تعود على عناصر إشارية في الآية السابقة، فالضمير المتصل في (يَأْتِيكُمَا) و(نَبَّأْتُكُمَا) يحيل على الفتيين في الآية السابقة، وكذلك الضمير في (تُرْزَقَانِهِ) فالألف تعود على الفتيين، أما ضمير الغائب الهاء فيحيل على الطعام، ويحمل إحالة داخل الجملة ومثله في قوله تعالى: (بِتَأْوِيلِهِ)، واسم الإشارة (ذَلِكُمَا) يحيل على معنى التأويل؛ أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات[1]. مع الإشارة إلى الفتيين، والاسم الموصول في شبه جملة (مِمَّا) يحيل على العِلم، ويستمر حضور المرجع الإشاري في الآية من خلال العناصر الإحالية في (قَالَ، نَبَّأْتُكُمَا، عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ).

في العنصر الإشاري الطعام المذكور في الآية والخبز الوارد في الآية السابقة اتساق معجمي بالتضام؛ فالخبز بعض الطعام، ويعمل التكرير المعجمي للضمير المنفصل (هم) في قوله تعالى: (هم كَافِرُونَ) على الإحالة على العنصر الإشاري قوم مع التأكيد على ما لهؤلاء القوم من صفات الكفر، فالضمير تكرير للضمير المنفصل السابق وإحالة على الاسم الظاهر (قوم) المفسر له، وفي ذلك تشترك الإحالة مع التكرير، وأحيل على العنصر الإشاري قوم بضمير الجماعة الواو في قوله تعالى: (مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) وفيها ترابط داخلي بالوصل الإضافي، وأبرزت عناصر الاتساق أهمية قضية الكفر من خلال الإحالات والتكرير.

الآية الثامنة والثلاثون: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾

1- الزمخشري، الكشاف، ج2 ص467.

تكاد الآية تنقطع عن القصة إلا من الربط بأداة الوصل الإضافي الواو والضمير المحيل على المرجع الإشاري يوسف في (واتبعتُ)، وجاء الوصل بالعطف على تركت في الآية السابقة، وظهر الربط بالواو بشكل فعال حيث ارتبط نصف معنى الآية مع الآية السابقة، والوصل جمع بين نقيضين بين (تركت واتبعت) في الآيتين وهو تضام يدخل في باب الاتساق المعجمي.

خصص الملة (مِلةَ آبآئِـي إِبراهِيم وإِسحاقَ ويعقُوب) بالتفصيل، تمييزا لها عن ملة القوم الكافرين الواردة في الآية السابقة، فعمل الاتساق المعجمي ربطا بين الآيتين بالتضام، وظهر الوصل داخل الآية بالواو في قوله تعالى: (إِبراهِيم وإِسحاقَ ويعقُوب) وفي قوله تعالى: (علَينَا وعلَى الناسِ ولَـكِن أَكْثَر الناسِ لاَ يشكُرون)، وفي حرف الاستدراك (لكن) في قوله تعالى: (ولَـكِن أَكْثَر الناسِ لاَ يشكُرون) وصل عكسي فيه استثناء لملّة يوسف من عدم الشكر.

وفي الإحالة النصية بالضمير المتصل في (آبآئِـي) الذي يجمع يوسف وآبائه: إبراهيم وإسحاق ويعقوب في قوله تعالى: (مِلةَ آبآئِـي إِبراهِيم وإِسحاقَ ويعقُوب) وضمير المتكلم المستتر والمتصل في (أَن نشرِك بِاللّهِ، واتبعتُ مِلةَ آبآئِـي) خصوصية الإيمان لسيدنا يوسف عليه السلام وملّته. وأحال اسم الإشارة (ذَلِك) على الإيمان من ناحية يوسف وآبائه، وأنه فضل من الله على الناس أجمعين، واستدرك وخصص الشكر لله من بعض الناس في قوله تعالى: (ولَـكِن أَكْثَر الناسِ لاَ يشكُرون) وفي الوصل بالواو ربط داخل الجملة.

الآية التاسعة والثلاثون: ﴿ يا صاحِبيِ السجنِ أَأَرباب متفَرقُون خير أَمِ اللّه الْواحِد الْقَهار﴾

تعود الآية للارتباط مع الآية السادسة والثلاثين بالنداء الموجه إلى الفتية، وعملت إضافة السجن إلى لفظ (صاحِبي) على تحديد العنصر الإشاري المقصود، وفيه إحالة إشارية نحو: (يا صاحِبي السجن) فالنداء هنا عنصر إحالي، أحال على العنصر الإشاري الفتية، كما عملت أداة الوصل (أم) على الربط داخل الجملة مشعرة مع معطوفها الإحالي لفظ الجلالة بالاتصال من ناحية المعنى مع مضمون

الآية الثامنة والثلاثين فوحدة الألوهية، وصفة القهار من الإيمان بالله وعدم الشرك. وفي لفظة خير إحالة بالمقارنة.

الآية الأربعون: ﴿ما تَعبدون مِن دونِهِ إلا أَسماء سميتُموها أَنتُم وآبآؤُكُم ما أَنزلَ اللّه بِها مِن سلطَانٍ إِنِ الْحكْم إِلا لِلّهِ أَمر أَلا تَعبدواْ إِلا إِياه ذَلِك الدين الْقَيم ولَـكِن أَكْثَر الناسِ لا يعلَمون﴾

يستمر سيدنا يوسف -على نهج الأنبياء- بتوجيه النصح والإرشاد لمن معه في السجن، ونجد الضمائر الدالة على الجماعة عِوض التثنية الدالة على الفتيين نحو الواو في (تَعبدون، يعلَمون)، والضميرين في (سميتُموها)، والضمير المنفصل والمتصل في (أَنتُم وآبآؤُكُم)، فهذه الضمائر تحيل على جميع من في السجن مع يوسف، والضمير المتصل (الهاء) في (سميتُموها، بِها) يحيل على ما يعبدون من دون الله، وهناك إحالة مقامية بالضمير في (أمر) و(إياه) التي تحيل إلى الله سبحانه وتعالى صاحب النص أو الخطاب العام، واسم الإشارة (ذَلِك) عنصر إحالي نصي عام، إذ يحيل على عنصر إشاري نصي؛ الدين المذكور لاحقا في قوله تعالى: (ذَلِك الدين الْقَيم) والواو في (ولَـكِن) أداة وصل، و(لكن) وصل يفيد الاستدراك على العنصر الإشاري العام (الناس).

نلحظ ابتداء من الآية الثامنة والثلاثين إلى هذه الآية أن الدلالة أصبحت عامة، والعناصر الإحالية النصية قلتْ لصالح المقامية، ويبرز دور المرجع الإشاري يوسف بالضمائر المحيلة عليه إفرادا وجمعا كعامل إحالي جامع في القصة.

الآية الحادية والأربعون: ﴿يا صاحِبيِ السجنِ أَما أَحدكُما فَيسقِي ربه خَمرا وأَما الآخَر فَيصلَب فَتَأْكُلُ الطير مِن رأْسِهِ قُضِي الأَمر الَذِي فِيهِ تَستَفْتِيان﴾

يبرز دور النداء كعنصر إحالي في (يا صاحِبيِ السجنِ)، وأحال الضمير المتصل في (أَحدكُما) على الفتيين، والضمير المتصل في (ربه) أحال إحالة نصية على الملك الذي سيعمل عنده أحد الفتيين، والضمائر في (فَيسقِي، فَيصلَب، رأْسِهِ) إحالة نصية على العنصرين الإشاريين (الفتيين) دون تحديد المصلوب منهما، فقد أحيل عليهما معا في البداية ثم بالتفصيل ثم عادت الإحالة للإجمال في (تَستَفْتِيان).

أما ما ورد من الشرط فوصل سببي وأما الربط بالفاء فوصل إضافي، وهي روابط جملة نصية، نحو ما ورد في قوله تعالى: (أَما أَحدكُما فَيسقِي) و(وأَما الآخَر فَيصلَب فَتَأْكُلُ الطير مِن رأْسِهِ)، وفي الاسم الموصول والضمير المتصل في (الذِي فِيهِ) إحالة نصية؛ لأنهما يشيران إلى الأمر المستفتى عنه وقد ذكر في جمل النص السابقة، وتكرر العنصر الإشاري الطير.

وهذه الآية تعود بالمتلقين أصحاب السجن من عالم الفكر الواسع في قضية الإيمان والكفر إلى قضية الفتيين خصوصا.

الآية الثانية والأربعون: ﴿وقَالَ لِلذِي ظَن أَنه نَاجٍ منْهما اذكُرنِي عِند ربك فَأَنساه الشيطَان ذِكْر ربهِ فَلَبِثَ فِي السجن بِضع سِنِين﴾

استمر الربط بالوصل مع التكرير في (وقال)، وفي الاسم الموصول (لِلذِي) مع الضمائر المتصلة والمستترة في قوله تعالى: (ظَن أَنه نَاجٍ منْهما) وقوله تعالى: (عِند ربك فَأَنساه الشيطَان ذِكْر ربهِ) إحالة نصية على الفتى الذي ظن أنه ناج، وهي إشارة إلى عنصر إشاري محدد بعد إبهامه في الآية السابقة، وجاءت الإحالات النصية بالضمائر المستترة والمتصلة في: (وقَالَ، اذكُرنِي، فَلَبِثَ فِي السجن) إحالات نصية على يوسف عليه السلام، وبين لفظ (اذكُرنِي، فَأَنساه) تضاد أفضى إلى التضام، ومن الوصل السببي ما بين الفعل قال والفعل اذكرني مقول القول.

الآية الثالثة والأربعون: ﴿وقَالَ الْملِك إِني أَرى سبع بقَراتٍ سِمانٍ يأْكُلُهن سبع عِجافٌ وسبع سنبلاتٍ خُضرٍ وأُخَر يابِساتٍ يا أيها الْملأُ أَفْتُونِي فِي رؤْياي إِن كُنتُم لِلرؤْيا تَعبرون﴾

الآية تمهد لبداية مقطع جديد، وفيها تكررت الرؤيا بالمفهوم المعجمي لتكون سبب الخروج من السجن والخلاص ليوسف، وهي ثالث رؤيا: الأولى رؤيا يوسف عليه السلام، والثانية: رؤيا الفتيين، والثالثة: رؤيا الملك، وكلها لصالح يوسف عليه السلام.

تبدأ الآية بأداة الوصل الواو وتكرير الفعل قال، وظهر العنصر الإشاري المحال إليه في الآية السابقة وهو الملك في قوله تعالى: (وقَالَ الْملِك إِني أَرى سبع بقَراتٍ)، وتحيل الآية على الملك إحالة نصية بالضمير المتصل والمستتر في (إني

أرى، أَفْتُونِي فِي رؤْيأي) وربط الملك نفسه بالحضور ومنهم الفتى الناجي في (أَفْتُونِي)، وبهذه الإحالة ارتبطت الآية مع القصة، فضمير الجماعة الواو يحيل على المتلقين ومنهم الفتى الناجي أحد العناصر الإشارية في النص، وفي (يأْكُلُهن) إحالة بالضمير داخل الجملة النصية على العنصر الإشاري البقرات، والوصل بأداة العطف الواو عامل اتساق داخلي.

في الجزء الثاني من الآية (يا أيها الْملأُ أَفْتُونِي فِي رؤْيأي إِن كُنتُم لِلرؤْيا تَعبرون) تتم الإحالة بالنداء والضمائر على الملأ، ليتسع المشهد وتعظم الرؤيا، فتكون سببا في خروج سيدنا يوسف من السجن، كما كانت سببا في كيد إخوته له الذي ألقى به إلى كيد النسوة، وتكررت الرؤيا في هذا الجزء مرتين لتأكيد حرص الملك على حلها، وهذا التأكيد طرق مسمع الفتى فذكّره بيوسف بعد فترة من نسيان طلبِهِ أن يذكره عند سيده، الآية تشكل جملة نصية توليدية ثانوية لما يترتب عليها من أحداث نصية لاحقة، وفيها عدة إحالات غنية عن التوضيح لما سبق ذكره، ومنها النداء، وبين الفعل قال ومقوله جملة إنّي أرى، وصل سببي.

الآية الرابعة والأربعون:﴿قَالُواْ أَضغَاثُ أَحلاَمٍ وما نَحن بِتَأْوِيلِ الأَحلاَمِ بِعالِمِين﴾

بدأت الآية الكريمة بتكرير الفعل قال مع الإحالة النصية على الملأ من خلال ضمير الجماعة الواو في (قَالُواْ) وفي الآية حذف للمبتدأ، وتقديره (هذه)، وخبره أضغاث، وفي الضمير المنفصل (نحن) إحالة نصية على الملأ، ونرى التركيز على الملأ من خلال إحالات الضمائر، وذلك لأهمية العنصر الإشاري الموجود بينها ودوره في التذكير بيوسف وخروجه من السجن، وجملة أضغاث أحلام مقول القول فيها ترابط سببي.

الآية الخامسة والأربعون: ﴿وقَالَ الَّذِي نَجا مِنْهما وادكَر بعد أُمةٍ أَنَاْ أُنَبئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرسِلُون﴾

جاءت أداة الوصل الإضافي أول الروابط ثم تكرير الفعل قال، فالعنصر الإحالي (الَّذِي) المحيل نصيا على الفتى الذي نجا من السجن، والضمائر المستترة والمتصلة في (نَجا، مِنْهما، وادكَر، أَنَاْ أُنَبئُكُم) هي إحالات نصية تربط هذه الآية

بالسابقات، إذ أحالت على الفتيين المذكورين سابقا، وفي الوصل بين نجا وادكر تماسك داخلي.

ركزت الإحالات على العنصر الإشاري الفتى الناجي الذي كان بين الملأ من خلال الإحالة عليه بالضمائر والاسم الموصول؛ لأنه عنصر إشاري مهم في حدث لاحق، فهو من سينبه الملك على يوسف بمشيئة الله، وأحالت الآية إلى الفتى بضمير المتكلم المنفصل أنا في (أَنَاْ أُنَبِّئُكُم) وبهذه الإحالة ينبه الفتى على نفسه علّه يحظى بمكانة عند الملك، ويذكر الملك بيوسف بعد أن نسي طلبه.

الآية السادسة والأربعون:﴿ يوسفُ أيها الصديقُ أَفْتِنَا فِي سبعِ بقَراتٍ سِمانٍ يأْكُلُهن سبع عِجافٌ وسبعِ سنبلاَتٍ خُضرٍ وأُخَر يابِساتٍ لعلي أَرجِع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾

بدأت الآية الكريمة بالإحالة والتكرير للمرجع الإشاري في القصة، وأحيل إليه بالنداء وكرر بلفظه، ووصفه الفتى بالصديق لما عرف عنه وهو معه في السجن، وجاء جزء من الآية تكريرا لجزء من الآية الثالثة والأربعين، وتكرير الرؤيا في القصة إبراز لأهميتها في بناء الحدث النصي، ويحيل الفتى على الجميع بضمير الحضور نصيا في (أَفْتِنَا) لأهمية الرؤيا عند الملأ، ويحيل على نفسه بالياء في (لعلي) خاصا نفسه، ويحيل على الناس نصيا بضمير الغيبة؛ هم والواو نحو (لَعلهم يعلَمون)، وربط الوصل بين أجزاء الجملة النصية بالواو ولام التعليل.

العنصر الإشاري سنبلات لم يحل عليه، فهو عنصر إشاري غير عامل.

الآية السابعة والأربعون: ﴿قالَ تَزرعون سبع سِنِين دأَبا فَما حصدتم فَذَروه فِي سنبلِهِ إلا قَلِيلاً مما تَأْكُلُون﴾

يتكرر الفعل قال كأداة اتساق مع الضمير المستتر فيه المحيل على المرجع الإشاري الرئيسي في القصة، بالإضافة إلى أدوات الإحالة النصية بالضمائر في (تَزرعون، َفَما حصدتم فَذَروه فِي سنبلِهِ، تَأْكُلُون)، والاسم الموصول نحو: (فَما حصدتم، مما تَأْكُلُون) وفي الوصل الإضافي والسببي في أسلوب الشرط وبأداته اتساق داخل الجملة النصية في قوله تعالى: (فَما حصدتم فَذَروه فِي سنبلِهِ).

الآية الثامنة والأربعون: ﴿ثُم يأْتِي مِن بعدِ ذَلِك سبع شِداد يأْكُلْن ما قَدمتُم لَهن إِلا قَلِيلاً مما تُحصِنُون﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل الإضافي (ثم) على قلة من الاستعمال لتفيد العطف مع التراخي -على الآية السابقة، للفوارق الزمنية بين السنين، بالإضافة إلى أدوات الاتساق الإحالية الأخرى، ويمكن الاهتداء إليها اعتمادا على سابقاتها وأحال اسم الإشارة (ذَلِك) إلى مضمون الآية السابقة سني الخير كعنصر إشاري نصي رابطا بين الآيتين.

الآية التاسعة والأربعون:﴿ ثُم يأْتِي مِن بعدِ ذَلِك عام فِيهِ يغَاثُ الناس وفِيهِ يعصِرون﴾

قامت أداة الوصل ثم بالربط مع الآية السابقة على نحو من سابقتها، وفيها روابط نصية داخل الجملة مع عنصر إشاري جديد غير عامل وهو (عام) في قوله تعالى: (عام فِيهِ يغَاثُ الناس وفِيهِ يعصِرون)، وفي الآية إحالة مقامية على عموم أهل مصر يومها في (يعصِرون)، بدليل العنصر الإشاري (عام) فهو عام أهل البلد، واسم الإشارة (ذَلِك) عنصر اتساق نصي؛ إذ ربط الآية مع الآية السابقة فقد أحال على مضمون الآية السابقة، والسابقة أحالت به على سابقتها.

الآية الخمسون:﴿وقَالَ الْملِك ائْتُونِي بِهِ فَلَما جاءه الرسولُ قَالَ ارجِع إِلَى ربك فَاسأَلْه ما بالُ النسوةِ اللاتِي قَطَّعن أَيدِيهن إِن ربي بِكَيدِهِن علِيم﴾

بدأت الآية الكريمة بقال وهذا تكرير لفظي تام مستمر في القصة، يمثل اتساقا معجميا نصيا، والوصل بالواو عطف على محذوف؛ أي لما جاءه الرسول واخبره بتأويله فقال الملك[1]. وهو حذف نصي، وتكرر العنصر الإشاري (الْملِك)، وتكرر لفظ الكيد.

وفي (ائْتُونِي) إحالة نصية على الملك وعلى يوسف في (بِهِ)، وفي لفظ (فَلَما) وصل إضافي وسببي؛ الفاء وصل إضافي، ولما ظرفية أو رابطة[2]. وهي على الوجهين عنصر اتساق نصي، والهاء في قوله تعالى: (جاءه) تحيل على يوسف عليه

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج5، ص6.

2 - المرجع نفسه، مج5، ص6.

السلام، والضميران المستتران في (قَالَ ارجِع) يحيل أولهما على المرجع الإشاري يوسف، والثاني على العنصر الإشاري الفتى الناجي، والضمير المتصل في (ربك) يحيل على الفتى الناجي، أما الضمير المتصل في (فَاسأَلْه) فإنه يحيل على الملك، والضمير المستتر يحيل على الفتى، ومن هنا نجد تناوب الضمائر الإحالية ما بين يوسف والملك فمن الملك لحاجته يوسف، ومن يوسف "صبره وعلو قدره"[1]. وتعود الإحالات النصية على العنصر الإشاري النسوة من خلال الضمائر المحيلة إليهن مع الاسم الموصول في قوله تعالى: (ما بالُ النسوةِ اللاتِي قَطعن أيدِيهن ۚ إن ربي بِكَيدِهِن عَلِيم) لإحياء دورهن في القصة فهن من أدلة براءة يوسف علية السلام، وفي التركيب السابق إحالة نصية على يوسف عليه السلام.

الآية الحادية والخمسون:﴿ قَالَ ما خَطْبكُن إذ راودتن يوسفَ عن نفْسِهِ ۚ قُلن حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمنَا عليهِ مِن سوءٍ ۚ قَالَتِ امرأة الْعزِيزِ الآن حصحص الْحق أَنَا راودته عن نفْسِهِ وإِنه لَمِن الصادِقِين﴾

تكرر الفعل قال وتضمن الضمير المحيل على الملك بسؤاله النسوة متهما، وذلك بإحالة الفعل (راودتن) على النسوة، واستعمل تعبير خطب بما يحمل من عظم الأمر مع أحالته على النسوة بضمير الخطاب (كن) وذلك في قوله تعالى: (ما خَطْبكُن إذ راودتن يوسفَ)، وتكرر الفعل قال في قوله تعالى: (قَالَتِ امرأة الْعزِيزِ الآن حصحص الْحق أَنَا راودته عن نفْسِهِ وإِنه لَمِن الصادِقِين)، وجاء تكرير الفعل قالت في سياق شهادة امرأة العزيز ببراءة يوسف عليه السلام.

في الفعل راود، إشارة إلى مراودة النسوة لسيدنا يوسف عندما قطعن أيديهن. وهذه الدلالة جعلت من الفعل راود عنصرا إحاليا؛ لأنه يفتقر إلى مفسر يبين المقصود منه، وتضمن تكريرا للعنصر الإشاري النصي، وهو المراودة، وهذا النوع من الإحالة قليل، وفيها ربط مقطعي كما فعلت الضمائر والأسماء الإحالية، ويظهر أهمية التكرير كعنصر اتساقي في إبراز الدلالة. ذُكرت المراودة إلى الآن في خمس آيات في المقطع الخاص بقصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز.

---

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص632.

وفي قوله تعالى: (قُلْن حاشَ لِلّهِ) تكرير جزئي لجملة، فقد ورد ذلك في معنى التنزيه والتعظيم ليوسف، بينما جاءت نفس الجملة في الآية الواحدة والثلاثين في موطن الدهشة والانبهار فقال تعالى: (وقَطعن أيدِيهن وقُلْن حاشَ لِلّهِ ما هـذَا بشَرا). وأُكدت المراودة عن النفس مرتين في قوله تعالى: (إذ راودتن يوسفَ عن نفْسِهِ) و(أَنَاْ راودته عن نفْسِهِ) إثباتا لبراءة يوسف عليه السلام.

الآية استعرضت العناصر الإشارية الرئيسية لحدث المراودة مرة ثانية لينتهي هذا الفصل من القصة، من خلال عنصر الاتساق المعجمي، فتكرر المرجع الإشاري يوسف عليه السلام، والعنصر الإشاري امرأة العزيز، وأحيل بالضمائر على الملك والنسوة. أما حدث القصة وهو المراودة، فبرز من خلال التكرار مرتين: مرة نسب إلى النسوة، وأخرى إلى امرأة العزيز.

الآية نهاية لإحداث قصة المراودة ببراءة يوسف عليه السلام من ادعاء امرأة العزيز، وكان ذلك باعترافها المسبق للنسوة شهود الحاضر بالبراءة، ثم أمام الملك بشكل مفاجئ بعد سؤاله النسوة، استجابة لطلب يوسف، وطلبا لتفسير الرؤيا.

ومن الإحالات الإشارة بالظرف (إذ)، في قوله تعالى: (قَالَ ما خَطْبكُن إذ راودتن يوسفَ عن نفْسِهِ) الذي يشير إلى وقت مراودة النسوة، والمتكلم هو الملك، ومقابل الإشارة إلى الزمن الماضي تأتي الإشارة إلى الحاضر بالظرف (الآن) في قوله تعالى: (الآن حصحص الْحق) وبين الظرفين تضام.

قام ظرفا الزمان: إذ، الآن، بنوعين من عمل عناصر الاتساق، الأول الإحالة، والثاني اتساق معجمي بالتضام.

الآية تزخر بالروابط النصية، وذلك لأنها تجمع عناصر القصة، ففيها الإحالات النصية المحيلة على يوسف عليه السلام في (عن نفْسِهِ، حاشَ لِلّهِ، ما عِلمنَا علَيهِ راودته عن نفْسِهِ، وإنه لَمِن الصادِقِين)، وأما الإحالة على امرأة العزيز ففي (أَنَاْ راودته)، وإلى الملك في (قَالَ)، وأما النسوة ففي (ما خَطْبكُن إذ راودتن، قُلْن، ما عِلمنَا)، وعند تتبع عدد العناصر الإحالية إلى العنصر المحال إليه في الآية، نجد المرجع الإشاري يوسف قد حظي بأعلى نسبة؛ لأنه موضع حكم البراءة، ثم النسوة شهود البراءة، ثم أمراءه العزيز الشاهدة على نفسها بدليل الإحالات منها على

يوسف بالبراءة وعلى نفسها بالاتهام، ثم الملك الذي ما أن أطلق السؤال حتى تحول إلى مستمع للنتيجة.

وفيها الاتساق المعجمي بتكرير أهم عناصر هذا الفصل من القصة: حدث المراودة، والمرجع الإشاري يوسف، والعنصر الإشاري امراءه العزيز، ثم الملك فالنسوة، وهناك تكرار جملة، فالآية تمثل جملة جامعة لعناصر الحدث من خلال العناصر الاتساقية اللغوية.

الآية الثانية والخمسون: ﴿ ذَلِكَ لِيعلَمَ أَني لَم أَخُنْه بِالْغَيبِ وأَن اللَّه لا يهدِي كَيد الْخَائِنِين﴾

يقوم اسم الإشارة (ذَلِك) بربط الآية بسابقتها ضمن الإحالة النصية، فقد أحال على العنصر الإشاري النصي غير الملفوظ (مضمون) وهو الاعتراف، ولم يحل على عنصر إشاري معجمي ملفوظ، وتحمل الآية إحالات نصية أخرى مثل إحالات الضمائر في قوله تعالى: (لِيعلَمَ أَني لَم أَخُنْه) على اختلاف التفسير فيمن تعود عليه، أهي على كلام سيدنا يوسف أم على كلام امرأة العزيز أم لعموم الأحوال، "والأرجح أن الكلام لامرأة العزيز فيوسف لم يكن حاضرا"[1]. والضمير المتصل في (أَخُنْه) يحيل على عزيز مصر، وهناك وصل إضافي بالواو في (لَم أَخُنْه بِالْغَيبِ وأَن اللَّه) وسببي بالتعليل في (لِيعلَم) وهو ربط داخل الجملة النصية، وتكرر الكيد في قوله تعالى (لا يهدِي كَيد الْخَائِنِين).

الآية الثالثة والخمسون:﴿وما أُبرئُ نَفْسِي إِن النفْس لَأَمارةٌ بِالسوءِ إِلا ما رحِم ربي إِن ربي غَفُور رحِيم ﴾

ترتبط بالآية السابقة بالوصل الإضافي واو العطف، وبالعناصر الإحالية في قوله تعالى (وما أُبرئُ نَفْسِي) فالضميران المستتر والمتصل يحيلان على عنصر إشاري سابق مع الاختلاف في التفسير فيمن يعودان عليه، وفي قوله تعالى: (إِلا ما رحِم ربي إِن ربي) إحالة نصية بالضمير المتصل الياء.

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص633. وانظر الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مج4، ص8.

الآية الرابعة والخمسون: ﴿وقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

الآية تمثل مقطعا فرعيا جديدا وفصلا من فصول حياة يوسف عليه السلام مع ملك مصر.

تبدأ الآية الكريمة بالتكرير للفعل قال مع أداة الوصل الواو، وتكرير آخر يمثل تكرير جملة تام في قوله تعالى: (وقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ) الوارد في الآية الخمسين، ولكنه تكرير بصيغة تخاطب غير الصيغة الأولى، فقد أتبع الملك الأمر الطلبي بالإفصاح عن سبب الاستدعاء لسيدنا يوسف عليه السلام؛ وهو الاستخلاص ، وذلك قبل أن يذهب من يأتي به، بينما الطلب الأول لم يحمل وعدا، وفي المرتين يعمل الحذف على الاختصار والتماسك النصي، فالحذف هنا نصي، فبين الإرسال والعودة جملة حدث، وقد عطف على المحذوف بأداة الوصل الإضافي حرف الفاء وربط الوصل الإضافي والسببي أجزاء التركيب من خلال (فَلَمَّا)، وهناك عنصر إحالي ظرف الزمان (الْيَوْمَ)، ويشير إلى حال يوسف بعد أمسه، فقد أصبح مكينا أمينا ، وفي مكين إشارة لما تقدم من الحديث عن التمكين ليوسف، نحو قوله تعالى (وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ)[1].

جاءت الإحالة على سيدنا يوسف بأربعة عناصر إحالية، وعلى الملك بستة عناصر إحالية وكلها بالضمير في قوله تعالى: (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)، وهنا نرى دور الضمائر في إبراز العنصر الإشاري من خلال العناصر الإحالية، فقد تناوبت الضمائر التي تعود على سيدنا يوسف وعلى الملك بزيادة لصالح الملك وذلك لأن الأمر للملك في تقريب يوسف عليه السلام، فالملك محور دلالي.

إن عناصر الاتساق اللغوية وخاصة العناصر الإحالية والاتساق المعجمي تتناسب تناسبا طرديا مع العنصر الإشاري محور الدلالة. ونضرب لذلك مثلا قوله تعالى: (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ولَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ولَئِن لَّمْ يَفْعَلْ

---

1 - سورة يوسف، آية، 21.

ما أمره ليسجنَن وليكُونًا من الصاغِرين)[1]. فهذه الجملة (الآية) يدور مضمونها حول سيدنا يوسف عليه السلام وهو غائب وأحالات الآية عليه تسع مرات باسم الإشارة والاسم الموصول والضمائر المستترة والمتصلة، مع أن المتكلم امرأة العزيز لكن لم يحلْ عليها سوى أربع إحالات وبالضمائر فقط، لأن الآية تحمل معنى البراءة لسيدنا يوسف لذلك تركزت الإحالات عليه.

وفي مقابل ذلك قوله تعالى: (يوسفُ أعرض عن هـذَا واستَغْفِري لِذَنبِكِ إنكِ كُنتِ مِن الْخَاطِئين)[2]. فالعنصر الإشاري محور الدلالة امرأة العزيز وقد أحيل عليها ست إحالات، أما المرجع الإشاري سيدنا يوسف فأحيل عليه مرة وكرر أخرى؛ لأن الآية تحمل معنى الإدانة لامرأة العزيز، فكانت موضعا لتركيز الإحالات.

الآية الخامسة والخمسون: ﴿قالَ اجعلْني على خزآئِن الأرض إني حفِيظٌ عِليم﴾

بدأت الآية الكريمة بتكرير الفعل قال وحملت إحالات نصية على يوسف عليه السلام، ولم تحمل سوى إحالة واحدة على الملك بالضمير المستتر (أنت) في الفعل (اجعلْني)، ونلحظ تحول العناصر الإحالية لصالح يوسف عليه السلام، وهي دليل لغوي أو بيان لدور اللغة في تقديم الدلالة، فالأحداث اللاحقة تضع يوسف في صدارة المواقف عن الملك.

الآية السادسة والخمسون: ﴿وكَذَلِك مكنا لِيوسفَ فِي الأرض يتَبوأُ مِنْها حيثُ يشَاء نُصِيب بِرحمتِنَا من نشَاء ولا نُضِيع أَجر الْمحسِنين ﴾

وفيها يتم التمكين ليوسف عليه السلام بعد طول عناء، وفيها تكرير لجملة فرعية من الآية الحادية والعشرين في قوله تعالى: (وكَذَلِك مكنا لِيوسفَ فِي الأرض)، نظرا لأهمية التمكين في الحدث، فهي نتيجة لمقدمات، وتكرر المرجع الإشاري سيدنا يوسف.

الآية منتصف آيات السورة وتبدأ بأداة الوصل الإضافي الواو، وجاء اسم الإشارة (كذلك) إحالة نصية على كل ما حدث مع يوسف عليه السلام إلى أن وصل

1 - سورة يوسف، آية، 32.

2 - سورة يوسف، آية، 29.

إلى التمكين، وهذا معنى جامع؛ أي أن الإحالة إحالة نصية موسعة، وتكرر يوسف المرجع الإشاري، وأحيل عليه من دون العناصر الإشارية الأخرى التي وردت في حادثة المراودة لانتهاء أدوارها، وبقي الدور مستمر له، فهو عامل إحالة أساسي في القصة فوفر لها الاتساق، وفي الآية إحالات مقامية على عامل الإحالة الرئيسي الله سبحانه وتعالى في (مكنا، نُصِيب بِرحمتِنَا، نشاء، ولاَ نُضِيع) وفيها خمس إحالات مقامية، وفي الاسم الموصول (من) إحالة مقامية لا يعود على محدد في النص؛ عنصر إشاري غير مقيد (حر) ويشير إلى كل من شملته وتشمله رحمة ربنا تعالى، وفي: (يتَبوأُ، يشَاء) إحالات نصية على المرجع الإشاري سيدنا يوسف، وأحال الضمير المتصل بحرف الجر (مِنْها) على العنصر الإشاري الأرض، والإحالات النصية في الآية أقل من الإحالات المقامية إليه سبحانه وتعالى عامل الإحالة الرئيسي، وفي الآية وصل إضافي في (ولاَ نُضِيع).

في الآية تركيز وتكثيف على منتج النص سبحانه وتعالى من خلال الإحالات المقامية، إذ إن الله عز وجل صاحب الفضل في التمكين ليوسف عليه السلام، فعادت أكثر الإحالات إليه سبحانه وتعالى، فمنتج النص هو العامل الأول في وحدة النص من خلال فكرته التي بني عليها الموضوع النصي، وهي فكرة التمكين لأحد أنبيائه من خلال سرد قصصي جاءت أحداثه متناصة منطقيا، فالفكرة أو الحدث الجزئي في كل مقطع يخدم ويطلب الآخر، وتؤدى الفكرة بجمل نصية لا خلاف في متانتها وعظمة صياغتها.

الخطاب في الآية بدأ منطلقا مما حصل عليه يوسف عليه السلام، نتيجة لإيمانه حتى صار من المحسنين ثم عمم على من يشاء الله له ذلك، فالخطاب ليس موجها في الأصل إلى يوسف إنما إلى محمد عليه السلام وأهل مكة وللعالمين من بعده أجمعين.

الآية السابعة والخمسون: ﴿ولَأجر الآخِرةِ خَير للذِين آمنُواْ وكَانُواْ يتقُون﴾

تكرر العنصر الإشاري أجر (ولَأجر) الوارد في الآية السابقة، وعمل الاسم الموصول (لِلذِين) عنصر إحالة مقامية مع صلته (آمنُواْ) التي تتصل بالضمير العنصر الإحالي المقامي، إذ يحيل على عموم المؤمنين، والمرجع الإشاري للقصة

أحد المؤمنين، ثم جاء الوصل الإضافي بالواو عاطفا المتقين على المؤمنين في (آمَنُواْ وكَانُواْ يتقُون). فكان الوصل على مستوى اللفظ اتساقا داخل الجملة وعلى المستوى الدلالي خارج النص لأنها اتصلت بالضمائر المحيلة مقاميا.

الآية الثامنة والخمسون: ﴿وجاء إِخْوَةُ يوسفَ فَدخَلُواْ عليهِ فَعرفَهم وهم له منكِرون﴾

تمثل الآية مقطعا فرعيا جديدا في أحداث قصة يوسف عليه السلام، مع إخوته بعدما صار على خزائن مصر.

يتكرر الفعل (جاء) تكريرا جزئيا بعد أداة الوصل الإضافي الواو العاطفة على محذوف نصي يقدر من سياق القصة؛ أي أصابت يعقوب وأولاده ضائقة فبلغهم أن بمصر ملكا صالحا فخرجوا حتى قدموا إلى مصر... إلى آخر القصة[1]. وفي التكرار تذكير بأنواع المجيء السابق، عندما جاء إخوة يوسف أباهم عشاء يبكون، وجاءت السيارة إلى الجب، ولكن المجيء هنا يحمل حدثا آخر فيه تبدل دلالي للمجيء، فهو مجيء إخوة يوسف إليه سائلين، ويبقى الفعل (جاء) عنصر اتساق نصي بين مقاطع القصة، كما يتكرر ذكر العنصر الإشاري إخوة يوسف، فعمل التكرار كعنصر اتساق معجمي على ربط أجزاء القصة، ثم يأتي عنصر وصل آخر وهو الفاء (فَدخَلُواْ)، وكأن المدة الفاصلة بين المجيء والدخول لم تكن طويلة بدليل استخدام أداة الوصل الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، كما أفادت الفاء معرفة يوسف لإخوته بعد فترة قصيرة من رؤيتهم (فَعرفَهم) بينما هم لم يعرفوه، وظهر دور أدوات الوصل في الآية بشكل واضح من حيث تحديد المسافات الزمنية لحدوث الأفعال، وترتيبها، واختصارا للتوضيحات اللفظية الطويلة.

جاءت الإحالات النصية المحيلة على إخوة يوسف بالضمائر المتصلة والمنفصلة في قوله تعالى: (فَدخَلُواْ عليهِ فَعرفَهم وهم له منكِرون) أكثر من المحيلة على يوسف نحو (عليهِ، له)؛ لأنهم محور حدث في الآية، والآية تمثل جملة نصية ساكنة، لم تحمل دلالة توليدية تفيد في تطور الحدث.

---

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج5، ص14.

الآية التاسعة الخمسون: ﴿ولما جهزهم بِجهازِهِم قَالَ ٱئتُونِي بِأَخٍ لكُم من أَبِيكُم أَلا تَرون أَني أوفِي الْكيلَ وَأَنَا خَير الْمنزِلين﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل واو العطف، وتعطف على محذوف نصي مقدر من السياق، فهناك مجريات حدثت قبل تجهيزهم، كان منها أن سأل عن أخيه من أمه وأبيه وطلب منهم إحضاره[1]. ولما ظرفية رابطة، وهي أداة وصل سببي ونتيجتها (قَالَ).

في الآية إحالات نصية منها ما عاد على يوسف ومنها ما عاد على إخوته، أما ما عاد على إخوة يوسف ما جاء في قوله تعالى: (ولما جهزهم بِجهازِهِم) ضمير الغيبة (هم) وقوله تعالى: (ٱئتُونِي بِأَخٍ لكُم من أَبِيكُم أَلاَ تَرون) وهي ضمائر جمع، فخطاب يوسف لهم جميعا وليس لأحدهم دون الآخر، وما عاد على يوسف عليه السلام ففي الضمير المستتر والمتصل في قوله تعالى: (قَالَ ٱئتُونِي) وقوله تعالى: (أَني أوفِي الْكيلَ وَأَنَاْ خَير الْمنزِلين)، وفي الأخيرة ترغيب لهم بالعودة، أما جزاء الطلب (ٱئتُونِي) في حال عدم التنفيذ فيأتي في الآية اللاحقة حتى يستمر ترابط الآيات وتماسكها.

وبدا نوع آخر من أدوات الاتساق يتمثل في التضام بعلاقة الفرع بالأصل نحو قوله تعالى: (ٱئتُونِي بِأَخٍ لكُم من أَبِيكُم) فعلاقة الأخ بالأب علاقة الفرع بالأصل.

الآية الستون: {فَإِن لم تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيلَ لكُم عِندِي ولا تَقْربون}

الاتساق الداخلي على مستوى الآية تمثل في أسلوب الشرط بطرفيه (فَإِن لم تَأْتُونِي بِهِ) جوابه (فَلاَ كَيلَ لكُم عِندِي) والوصل بأداة العطف الواو في (ولا تقربون).

أما الارتباط نصيا مع الآية السابقة فقد جاء من خلال الوصل الإضافي بحرف العطف الفاء في قوله تعالى: (فَإِن لم تَأْتُونِي) ففي الآية السابقة لم يبن يوسف لإخوته نتيجة الإخلال بطلبه؛ أي عدم إحضار أخيهم معهم، وجاء هنا في قوله تعالى: (فَلاَ

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص480.

كَيلَ لَكُم عِندِي ولاَ تَقْربون) وفي ذلك ارتباط من ناحية السبب والنتيجة المدعم بالأداة.

الآية الحادية الستون:﴿قَالُواْ سنُراود عنْه أَباه وإنا لَفَاعِلُون﴾

قام الارتباط النصي على التكرير في (قالوا) والإحالة النصية بالضمائر المتصلة والمستترة في قوله تعالى: (قَالُواْ سنُراود عنْه أَباه وإنا لَفَاعِلُون) فكل لفظة تحيل بالضمائر نصيا، وعلى مستوى الارتباط الداخلي فقد جاء بأداة الوصل الإضافي واو العطف في (وإنا)، والعناصر الإحالية تعود على العنصرين الإشاريين إخوة يوسف وأخيهم الذي بقي عند أبيهم، كما ظهر الأب بتكرار المرادفة بالكنية (أَباه) وإضافته إلى الضمير المحيل على الأخ الغائب.

الآية الثانية والستون: ﴿وقَالَ لِفِتْيانِهِ اجعلُواْ بِضاعتَهم فِي رِحالِهم لَعلهم يعرِفُونَها إذا انقَلَبواْ إلى أَهلِهِم لَعلهم يرجِعون﴾

تكرر الفعل قال مع الاستئناف، وعملت الإحالات بالضمائر على الاتساق النصي كما يلي: الضمير المستتر في (وقَالَ) يحيل على المرجع الإشاري، وكذلك الضمير المتصل الهاء في (لِفِتْيانِهِ) وضمير المخاطبين الواو في (اجعلُواْ) يحيل على عنصر إشاري جديد وهم فتيان يوسف، وضمائر الجمع في (يعرِفُونَها، انقَلَبواْ، يرجِعون) تحيل على العنصر الإشاري إخوة يوسف، وكذلك الضمير المتصل (هم) في (بِضاعتَهم، رِحالِهم، لَعلهم، أَهلِهِم، لَعلهم) والضمير المتصل الهاء في (يعرِفُونَها) يحيل على العنصر الإشاري البضاعة.

الآية الثالثة والستون: ﴿ فَلَما رجِعوا إلى أَبِيهِم قَالُواْ يا أَبانَا مِنع مِنا الْكَيلُ فَأَرسِلْ معنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وإنا له لَحافِظُون﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل الإضافي النصي، والسببي في الجملة معا وهي: (فَلَما) كروابط نصية مع الآية السابقة وفي ذاتها، وقامت الضمائر بالإحالات النصية والمقامية بالضمير المتصل في (رجِعوا، قَالُواْ، لَحافِظُون) فأحال على إخوة يوسف إحالة نصية، إن الإحالة بواو الجماعة وواو الجمع تعود على عنصر إشاري واحد في النص وهم إخوة يوسف، وبالعودة إلى الإحالات النصية نجد الضمائر(هم) للغائب في (أبيهم) والضمير (نا) للمتكلمين في (أَبانَا، منّا، معنَا، أَخَانَا، وإنا)

والضمير المستتر في (نَكْتَلْ) تحيل على إخوة يوسف وضمير الغائب المفرد الهاء في (لَه) يحيل على أخيهم المتبقي لدى أبيهم، والضمير المستتر في (فَأَرسِلْ) يحيل على الأب يعقوب عليه السلام، فحضور الإخوة بارز بدلالة الإحالات.

الآية الرابعة والستون: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُم عَلَيهِ إِلا كَما أَمِنتُكُم عَلَى أَخِيهِ مِن قَبلُ فَاللّهُ خَير حافِظًا وهو أَرحم الراحِمِين ﴾

بدأت الآية الكريمة بتكرير الفعل قال، إلا أنه خلا من أداة الوصل (الواو) المتصلة به على الأغلب، لأن المقام النفسي الذي استدعى من الأب الرد عليهم بالتشكيك قد أدى إلى الاختصار، وأما الإحالات فتمثلت نصيا في الضمير المستتر في (قال، آمنُكُم، حافِظًا) والضمير المتصل في (آمنُكُم علَيهِ، أَمِنتُكُم علَى أَخِيهِ) ومقاميا في الضمير المنفصل (هو)، والإحالة على زمن حادثتهم مع يوسف وقصة الذئب باستخدام عنصر الإحالة ظرف الزمان قبل في (مِن قَبلُ).

جاءت المقارنة القائمة على أداة التشبيه في (هلْ آمنُكُم علَيهِ إِلا كَما أَمِنتُكُم علَى أَخِيهِ مِن قَبلُ)؛ أي تأمينهم على أخيهم مثل تأمينهم على يوسف، واستخدم الوصل الإضافي في (وهو).

الآية الخامسة والستون: ﴿ولَما فَتَحواْ متَاعهم وجدواْ بِضاعتَهم ردتْ إليهم قَالُواْ يا أَبانَا ما نَبغِي هـذِهِ بِضاعتُنَا ردتْ إِلينَا ونَمِير أَهلَنَا ونَحفَظُ أَخَانَا ونَزداد كَيلَ بعِيرٍ ذَلِك كَيلٌ يسِير﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل النصي الإضافي، والسببي في الجملة كما في (ولَما)، الواو رابط نصي مع الآيات السابقة، ولما رابط داخل الجملة النصية فالفعل (فتحوا) والجواب (وجدوا) في قوله تعالى: (ولَما فَتَحواْ متَاعهم وجدواْ بِضاعتَهم ردتْ إليهم)، ومن الوصل الإضافي الواو في (ونَمِير أَهلَنَا ونَحفَظُ أَخَانَا ونَزداد كَيلَ بعِيرٍ)، وهي روابط على مستوى الجملة النصية، وأتى الاتساق المعجمي بتكرير الفعل قال نحو (قَالُواْ)، والاسم: كيل وبضاعة.

أما الإحالات النصية فالضمائر المتصلة والمستترة سواء ما كان منها للغيبة أو الحضور فهي غالبة في أداء المعاني داخل الآية، وضمائر الغيبة أكثر، ونوع آخر من الإحالة داخل الجملة النصية أتى بالإحالة باسم الإشارة (هذه، وذلك) في قوله

تعالى: (هـذِهِ بِضاعتُنَا ردتْ) و (كَيلَ بعِيرٍ ذَلِك كَيلٌ يسِير) ومثّل اسم الإشارة (هـذِهِ) إحالة بعدية، فقد عاد على عنصر إشاري لاحق وهو (بِضاعتُنَا)، وهي عنصر إشاري لغوي، والإحالة فيه نصية جرت داخل الجملة النصية، بينما نجد اسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى: (يوسفُ أعرض عن هـذَا) في الآية التاسعة والعشرين يعود على غير ملفوظ؛ مضمون سابق، وفي نهاية هذه الآية نجد اسم الإشارة (ذَلِك) يعود على كيل السابقة (ونَزداد كَيلَ بعِيرٍ ذَلِك)، وفيه إحالة نصية قبلية قريبة.

الآية السادسة والستون: ﴿ قَالَ لَن أُرسِلَه معكُم حتى تُؤْتُونِ موثِقًا من اللّهِ لَتَأْتُنَنِي بِهِ إِلا أَن يحاطَ بِكُم فَلَما آتَوه موثِقَهم قَالَ اللّه على ما نَقُولُ وكِيلٌ﴾

استمر الحديث بين الأب وأبنائه فرد عليهم لن أرسله، وقد تكرر الفعل قال من دون أداة وصل تمشيا مع نفسية الأب في ذلك الموقف؛ إذ أدى الحوار إلى تذكر يوسف وإن لم يغِب عن باله.

وعملت الإحالات النصية على الترابط مع نص القصة، فالضمائر المتصلة والمستترة أحالت على يعقوب نحو: (قَالَ، لَن أُرسِلَه، لَتَأْتُنَنِي، آتَوه، قَالَ اللّه) والضمير المحذوف في (تُؤْتُون). وأخرى أحالت على إخوة يوسف في (معكُم، حتى تُؤْتُون، آتَوه، موثِقَهم) والضمير المحذوف في (لَتَأْتُنَنِي)، وإحالة ثالثة على أخيهم شقيق يوسف بنيامين في (أُرسِلَه، بِه) ورابعة أحالت عليهم جميعا: الأب وأبناؤه، غير يوسف وبنيامين في (نَقُولُ)، ولعل إشراك الأب معهم في الإحالة نوع من الاطمئنان إليهم.

الآية السابعة والستون: ﴿ وقَالَ يا بنِي لاَ تَدخُلُواْ مِن بابٍ واحِدٍ وادخُلُواْ مِن أَبوابٍ متَفَرقَةٍ وما أُغْنِي عنكُم من اللّهِ مِن شَيءٍ إِنِ الْحكْم إِلا لِلّهِ علَيهِ تَوكَلْتُ وعلَيهِ فَلْيتَوكَّلِ الْمتَوكِّلُون﴾

بعد أن هدأت نفس يعقوب بموثِق من أبنائه، نجد الآية تبدأ بالفعل قال وأداة الوصل كما في آيات سبقت وفي ذلك تكرير لهذين المتلازمين في كثير من آيات القصة في السورة، والفعل (قال) يحمل إحالة نصية في الضمير المستتر الذي يحيل على يعقوب، وتستمر العناصر الإحالية النصية في ربط النص كالضمائر المتصلة

والمستترة في (يا بني لاَ تَدخُلُواْ، وادخُلُواْ مِن، وما أُغْنِي، تَوكلْتُ)، أما الإحالات المقامية خارج النص فنحو: (علَيهِ، وعلَيهِ)، والعنصر المعجمي لفظ الجلالة، وجاء الوصل الداخلي بالواو نحو: (وادخُلُواْ، وما، وعلَيهِ).

أما الاتساق المعجمي فقد حدث بالتضام من التقابل بين الجملتين (لاَ تَدخُلُواْ مِن بابٍ واحِدٍ) و(وادخُلُواْ مِن أَبوابٍ متَفَرقَةٍ) وهذا التقابل من تضاد الفعلين بطباق السلب القائم على النفي.

الآية الثامنة والستون: ﴿ ولَما دخَلُواْ مِن حيثُ أمرهم أَبوهم ما كَان يغْنِي عنْهم من اللّهِ مِن شَيءٍ إِلا حاجةً فِي نَفْس يعقُوب قَضاها وإِنه لَذُو عِلْمٍ لما علمنَاه ولَـكِن أَكْثَر الناس لاَ يعلَمون﴾

وهذه الآية تمثل مرحلة جديدة في أحداث القصة، وقد عاد الأبناء ومعهم أخوهم بنيامين شقيق يوسف، ودخلوا كما أمرهم أبوهم من عدة أبواب.

بدأت الآية الكريمة بالارتباط مع ما سبق بعنصر الاتساق؛ الوصل النصي الإضافي، والسببي في الجملة (ولَما)، ولما رابطة[1]. وجملة (دخَلُواْ) في محل جر مضاف إليه للظرف (لما) الرابط للحدث مع ما سبق، ويستمر الربط حيث جاء قوله تعالى: (ما كَان يغْنِي عنْهم) جواب لما[2]. والضمائر المتصلة في (دخلوا، أمرهم أَبوهم، عنْهم) تحيل نصيا على إخوة يوسف عليه السلام، واسم كان المحذوف (هو) الذي يعود على الدخول رابط متعلق بالحدث (ما كَان يغْنِي)، وكذلك الضمير المستتر في الفعل يغني.

تكرر العنصر الإشاري يعقوب مع الإحالة عليه في قوله تعالى: (إِلا حاجةً فِي نَفْس يعقُوب قَضاها وإِنه لَذُو عِلْمٍ لما علمنَاه)، وحرف الاستئناف الواو رابط داخل الجملة النصية، أما الإحالة المقامية فعنصر اتساق لعموم النص في الضمير(نا) في قوله تعالى: (علمنَاه) وفي ضمير الجماعة الواو في (لاَ يعلَمون) إحالة مقامية لعودته على ما هو خارج النص وداخله.

---

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج5، ص 24.

2 - المرجع نفسه، ص، 24.

عمل الوصل الإضافي والعكسي (ولَـٰكِن) على الاتساق في قوله تعالى: (ولَـٰكِن أَكْثَر الناس لاَ يعلَمون).

الآية التاسعة والستون: ﴿ ولما دخَلُواْ علَى يوسفَ آوى إليه أَخَاه قَالَ إِني أَنَاْ أَخُوك فَلاَ تَبتَئِس بِما كَانُواْ يعملُون﴾

أيضا تبدأ الآية الكريمة بالوصل النصي الإضافي، والسببي في (ولَما) وفيها ربط لفعل الشرط مع جملة الجواب (آوى)، أما الإحالات النصية ففي الضمائر المتصلة والمستترة في (دخَلُواْ ، كَانُواْ يعملُون) التي تحيل على إخوة يوسف، وأحالت الآية على يوسف في قوله تعالى: (آوى إليه أَخَاه قَالَ إِني أَنَاْ)، وجاءت إحالات متتابعة إليه، وعددها أكثر من الضمائر التي أحالت على العناصر الإشارية الأخرى؛ لعودة يوسف إلى صدارة الحدث، وتظهر اللين والرحمة في استقباله لأخيه بنيامين. وأحالت على بنيامين في (أَخُوك فَلاَ تَبتَئِس). والاسم الموصول في (بِما) أحال إحالة نصية موسعة على أفعال إخوة يوسف التي سببت المتاعب ليوسف، أما الوصل بالفاء العاطفة كما في (فلا)، فاتساق داخل الجملة النصية.

تكرر الفعل (دخلوا) ولكنه دخول له ظلاله عن السابق، ففي الآية الثامنة والخمسين دخلوا منكرين له، ولم يعرفوه، أما دخولهم الثاني فكانوا فيه متفرقين استجابة لأمر أبيهم فيما سبق، أما هذا الدخول فكانوا فيه مجتمعين، فعامل التكرير كان رابطا لإحداث الدخول وإن اختلفت الكيفية، وهذا الاختلاف بدا بأثر السياق؛ لأن المفردة تأخذ معناها من سياقها، وإن كان لها معنى يجمعها وهي الدلالة المعجمية المستقلة، والآية مثال للجملة النصية الساكنة.

الآية السبعون: ﴿ فَلَما جهزهم بِجهازِهِم جعلَ السقَاية فِي رحل أَخِيهِ ثُم أذن مؤَذن أَيتُها الْعِير إِنكُم لَسارِقُون﴾

بدأت الآية الكريمة بالوصل النصي الإضافي، والسببي داخل الجملة كما في (فَلَما)، الفاء تعطف على ما سبق و(لما) تربط الجملة التالية قوله تعالى: (جهزهم بِجهازِهِم جعلَ السقَاية فِي رحل) في إطار السبب والنتيجة.

وتتابع الحدث بتريث ويبدو ذلك من خلال أداة الوصل الإضافي (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي، وفي الآية عناصر إحالية تتمثل في الضمائر المتصلة والمستترة

المحيلة على يوسف عليه السلام وإخوته في قوله تعالى: (فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ)، ولم يباشرهم الإحالة بل أحال على العير بالنداء، وهي من لوازمهم تورية وتلطفا في تهمة السرقة في قوله تعالى: (أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ).

الآية الحادية والسبعون: ﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾

تكرر الفعل (قال) ولم يقترن بالوصل، لما في المشهد من إرباك ودهشة وسرعة في ردة الفعل واختصار للكلام طلبا للاستيضاح من قبل الإخوة ومن معهم، والدلالة هنا مختلفة عن أي فعل سابق ولاحق لصيغة قال؛ فتعبير قالوا هنا يحمل معنى انكفائهم على أنفسهم بالقول يتساءلون بدهشة واستغراب من تهمة السرقة وما يتبعها من عواقب، بدليل المصاحب المعجمي فعل أقبلوا، فهو يقابلها في الموقف، ففعل القول بين المجموعة يتطلب وقفة للتساؤل مهما قصرت، قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارةً عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول قال بيده أي أخذ، وقال برجله أي مشى[1]. ويحمل الفعل (أقبل) دلالة انفتاح المشهد على المنادي بعد اجتماع بدهشة واستغراب، فالفعل قال وأقبل، يحملان دلالة متضادة؛ فقالوا تحمل الوقوف والاجتماع السريع والكلام بدهشة وانفعال وتعجب نتيجة التهمة بالسرقة وهم على غير ذلك، وأما أقبلوا، فتحمل التوجه إلى المنادي بدهشة وانفعال وتعجب، كرد فعل من متهم بريء، فالفعلان متضادان في الدلالة، وأدى ذلك إلى التضام، أحدِ عناصر الاتساق المعجمي، والوصل بالعطف بين (قالوا) و(اقبلوا) أعطى بعدا دلاليا للحدث، فكل فعل مستقل عن الآخر، وجاء العطف ليجمع بينهما مقربا بين الفعلين حدثا وزمنا، وأشرك العناصر الإشارية نفسها في الحدث، فالمتلقي يرى سرعة الحركة في الموقف، فهم لم يقولوا وحالهم الإقبال، بل اقبلوا بعد وقفة سريعة مشحونة بالموقف.

1 - ابن منظور، لسان العرب، ط3، ص577.

جاءت الإحالات النصية بالضمائر المتصلة في (قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ) تحيل على إخوة يوسف أو من مع العير، وضمائر محيلة على المنادين أحد العناصر الإشارية في النص في قوله تعالى: (علَيهم ماذا تَفْقِدون).

الآية الثانية والسبعون: ﴿ قَالُواْ نَفْقِد صواع الْمِلِكِ ولِمن جاء بِهِ حِملُ بعِيرٍ وأَنَاْ بِهِ زعِيم﴾

تبدأ الآية الكريمة بتكرير الفعل (قالوا) بصيغته المتعارف عليها، وهو يحيل على المنادين على غير دلالة ما سبق من صيغته في الآية السابقة، بدلالة إحالة الضمير فيه على جماعة المنادين، وخلا من العطف؛ أي الوصل على خلاف أغلب ما ورد عليه الفعل قال من بداية القصة؛ وذلك بأثر الموقف.

جاءت الإحالات النصية على نحو: الضمير المستتر في (نَفْقِد) المحيل على المنادين، أما الضمير المستتر في (جاء) فيحيل على عنصر إشاري حر، أما الضمائر المتصلة المحيلة نصيا على جماعة المنادين ففي (قَالُواْ، بِهِ، وَأَنَاْ بِهِ)، أما الإحالة بالإفراد في (أَنَاْ) فتعود على المنادي الضامن، "من باب الضمان والكفالة"[1].

جاء الاتساق في هذه الآية بعودة الضمائر على من سألوا عن الصواع الوارد ذكرهم في الآية السبعين، وأضمر عنهم في الآية الحادية والسبعين في (علَيهم). كما عمل التكرير على الاتساق، فقد كرر لفظ الملك كعنصر إشاري معجمي.

الآية الثالثة والسبعون: ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَد عِلِمتُم ما جِئْنَا لِنُفْسِد فِي الأَرضِ وما كُنا سارِقِين ﴾

بدأت الآية الكريمة بتكرير الفعل قال وهو تكرير خلا من أداة الوصل الإضافي الواو، فالموقف وتسارع الأحداث جعل الكلام مناولة، وهذا ما نلحظه فيما يلي من أحداث، وجاء الارتباط مع الآية السابقة بالإحالات النصية بضمائر الجماعة في (قَالُواْ، عِلِمتُم، جِئْنَا، كُنا سارِقِين)، كما جاء الضمير المستتر نحن في (لِنُفْسِد) إحالة نصية على إخوة يوسف، وقد كرر حرف النفي (وما) مقترنا بالوصل الإضافي، ولام القسم من روابط الجملة.

---

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص637.

الآية الرابعة والسبعون: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾

تكرر الفعل قال المتصل بالضمير المحيل على المنادين إحالة نصية، ثم أداة الوصل الفاء الرابطة، ثم الضمير المتصل (الهاء) في (جزاؤه) العائد على الصواع؛ أي فما جزاء سرقته[1]. وفي تفسير ابن كثير الضمير يعود على السارق[2]. وفيه إحالة نصية على مذكور سابق، وأحال الضمير على إخوة يوسف في (إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ).

الآية الخامسة والسبعون: ﴿ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾

تكرر الفعل (قالوا) مع ارتباطه بضمير الجماعة المحيل نصيا على المنادين المذكورين سابقا، وجاء التكرير في الفعل (قالوا) ارتباطا مع الأفعال السابقة من جهة الحدث مع اختلاف العنصر الإشاري المحال عليه، فالإحالة هنا على المنادين الذين بعثهم يوسف عليه السلام، وتكرر الفعل قال في القصة محيلا على العناصر الإشارية: يوسف، وإخوته، وأبيهم، وامرأة العزيز، والملك وغيرهم من العناصر الإشارية الأخرى، والتكرير فيه ارتباط من جهة الحدث وزمنه، فيحمل التكرير نفس الحدث مع اختلاف العنصر الإشاري المرتبط به، فقد ورد الفعل قال في قصة يوسف عليه السلام كثيرا يحمل القول على إطلاقه، لمناسبة الحدث القصصي، فشكل أداة ارتباط نصي في جميع مقاطع القصة، مع اختلاف في العنصر الإشاري المحال إليه، والآية مثال للجملة النصية الساكنة.

وفي الضمير المتصل الوارد في (جزاؤه) إحالة نصية على السارق، والإحالة في قوله تعالى: (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) نصية، فالضمير المنفصل (هو) يعود على الجزاء العنصر الإشاري السابق، والضمير المتصل أحال على السارق، فالإحالة نصية.

وفي قوله تعالى (قَالُواْ جَزَآؤُهُ) وصل سببي مع الآية السابقة، فالإجابة عن سؤالهم في الآية السابقة بخصوص جزاء السارق في (فَمَا جَزَآؤُهُ)، جاءت هنا في قوله تعالى (جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ)، وأما تكرير الاسم جزاؤه في قوله تعالى:

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص485.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص638.

(فَهو جزاؤُه) فتأكيد على الجزاء، وفُسر الجزاء؛ بأنه أَخْذ السارق نفسه، هو جزاء لا غير، وكان ذلك في آل يعقوب[1].

جاءت الضمائر المستترة روابط نصية كالضمير في الفعل المبني للمجهول (وجِد) وأما الضمير المستتر في (نَجزِي) إحالة مقامية، أما اسم الإشارة (كذَلِك) فقد أحال نصيا على ما آلت إليه أحوال إخوة يوسف بظلمهم لأخيهم، وفي الكاف مقارنة بالمشابهة، والفاء في قوله تعالى (فَهو جزاؤُه) أداة وصل سببي، والفعل نجزي مركز أفعال الآية فمدار الآية الجزاء.

جاء التكرير للفعل قالوا في قوله تعالى: (قَالُواْ جزآؤُه) ارتباطا مع الأفعال السابقة من جهة الحدث، مع اختلاف العنصر الإشاري المحال إليه، فالإحالة هنا على المنادين الذين بعثهم يوسف عليه السلام.

الآية السادسة والسبعون: ﴿ فَبدأ بِأوعِيتِهم قَبلَ وعاء أَخِيهِ ثُم استَخْرجها مِن وعاء أَخِيهِ كَذَلِك كِدنَا لِيوسفَ ما كَان لِيأْخُذَ أَخَاه فِي دِين الْمِلِكِ إِلا أَن يشَاء اللّه نَرفَع درجاتٍ من نشَاء وفَوقَ كُل ذِي عِلْمٍ علِيم﴾

عملت الضمائر روابط نصية كالضمائر المستترة في (فبدأ، استَخْرجها، لِيأْخُذَ) التي تحيل على يوسف عليه السلام، والضمائر المتصلة المحيلة على يوسف في (أَخِيهِ، أَخِيهِ، أَخَاه)، ونلحظ هنا كما في آيات سابقة تركيز الإحالات بالضمائر على يوسف عليه السلام؛ لأنه صاحب الأمر هنا، والضمير المستتر نحن في (نَرفَع، نشَاء) إحالة مقامية إليه سبحانه وتعالى، والإحالة الإشارية في (كذلك) إحالة نصية على مجمل معنى سابق وضحه الفعل اللاحق (كدنا)؛ والكيد هنا وضع الصواع في رحل أخيه، وجاء الكيد على غير ما ورد عن امرأة العزيز فالكيد هنا للخير، وفي الكيد تكرير معجمي. والكاف في كذلك مقارنة بالمشابهة.

أما أدوات الوصل فنحو الفاء وهي أداة وصل نصي إذ وصلت هذه الآية مع السابقة، و(ثم) وتفيد التراخي؛ أي تأخر في تفتيش أوعية أخيه أو حاول أن لا يفتشه،

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص485.

"فقال ما أظن هذا أخذ شيئا"[1]. والواو في (وفَوقَ) وصل إضافي، وفوق إحالة إلى العلو.

الآية السابعة والسبعون: ﴿ قَالُواْ إِن يسرقْ فَقَد سرقَ أَخٌ له مِن قَبلُ فَأَسرها يوسفُ فِي نَفْسِهِ ولَم يبدِها لَهم قَالَ أَنتُم شَر مكَانًا واللّه أَعلَم بِما تَصِفُون﴾

عاد الفعل (قال) للتكرير مع الضمير المحيل على العنصر الإشاري إخوة يوسف في (قَالُواْ) ولم يقترن بأداة الوصل بعد، فالموقف فيه لا يسمح بالزيادة اللفظية، ويدخل الوصل السببي، والوصل الإضافي في جملة الشرط ليسهم في الاتساق على مستوى الجملة النصية نحو قوله تعالى: (إِن يسرقْ) فعل الشرط، وجوابه (فَقَد سرقَ أَخٌ له) بالإضافة إلى عوامل الاتساق الأخرى كالإحالة بالضمير المستتر في (إِن يسرقْ، قَالَ) والضمير المتصل في (له) المحيلات على يوسف عليه السلام، ثم يأتي عنصر اتساق إشاري إحالي متمثل بالظرف (قبل)، والظرف هنا يشير كما أورد المفسرون إلى وقت اتهام يوسف عليه السلام من قبل إخوته؛ بأنه قد سرق صنما لجده أبي أمه فكسره، وألقاه بين الجيف، وقال المفسرون أيضا أن عمته أخذت مِنطَقَة لإسحاق ولفتها تحت ثياب يوسف وهذه المنطقة متوارثة بالكِبر، فكان لمن اختبأها سلّما لا ينازع فيه، فخصته عمته بها لحبها إياه[2]. فقد أحال الظرف على عنصر إشاري غير لغوي خارج النص.

ويستمر الربط بأداة الوصل الإضافي الفاء في (فَأَسرها) مع الاقتران بالضمير المتصل المحيل على قوله تعالى: (أَنتُم شَر مكَانًا)، وكذلك يحيل عليها الضمير المتصل في (يبدِها)، فإنه يحيل على العبارة نفسها أو الجملة الفرعية، والإحالة هنا بعدية إذ أحالت على عنصر إشاري لاحق فليس شرطا في نحو النص الّا يعود الضمير على متأخر مكانة ورتبة، فوضوح العلاقة الدلالية بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري تسمح بعودة العناصر الإحالية على العناصر الإشارية المتقدمة والمتأخرة، فقد أحال الضمير المتصل في (فَأَسرها) و (يبدِها) على العنصر الإشاري

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص485.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص633. وانظر الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مج4، ص639. وانظر الزمخشري، الكشاف، ج2، ص487.

المتأخر قوله تعالى: (أَنتُم شَر مكانًا)، وأحال الاسم الموصل في قوله تعالى: (أَعلَم بِما تَصِفُون) نصيا داخل الجملة على عنصر إشاري متقدم وهو مضمون قوله تعالى: (فَقَد سرقَ أَخٌ له مِن قَبلُ)؛ أي الاتهام بالسرقة، وتقديره السرقة؛ أي أعلم بالسرقة التي تصفون، والضمير المتصل في (تصفون) يحيل على إخوة يوسف.

يحيل العنصر الإحالي على العنصر الإشاري الاسمي المفرد، أما الإحالة على غير المفرد كإحالة الضمير المتصل في (فَأسرها) و (يبدِها) على العنصر الإشاري الجملة الفرعية قوله تعالى: (أَنتُم شَر مكانًا)، فالإحالة هنا نصية على مؤولها الاسمي، "وهي على تقدير فأسر قولا أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة"[1]. أو كمعاملة الاسم الاسنادي مثل: جاد الحق، أو تأبط شرا. ونجد الضمير في (أسرها، ويبدها) المحيل على جملة، أنتم شر مكانا. مفردا مؤنثا؛ أي أن العنصر الإحالي عامل الجملة على أنها كلمة مفردة مؤنثة.

وأحال الضمير المتصل والمستتر في (نَفْسِهِ، يبدِها، قَالَ) على يوسف نصيا، وتكرر المرجع الإشاري يوسف، وأحالت الضمائر المتصلة والمنفصلة نصيا على إخوة يوسف في (لَهم، أَنتُم)، ويحيل الاسم الموصل والضمير المتصل في قوله تعالى: (أَعلَم بِما تَصِفُون) نصيا داخل الجملة على عنصر إشاري متقدم وهو قوله تعالى: (فَقَد سرقَ أَخٌ له مِن قَبلُ) أي تهمة السرقة، فعناصر الإحالة تحيل على الأسماء، وما عاد منها على جملة فعلية أو اسمية فهو على التأويل بالاسمية؛ أي إلى الاسم المفرد أو التركيب الاسمي، وأداة الوصل الواو رابط بين التعقيب في نهاية الآية ومضمونها السابق.

الآية الثامنة والسبعون: ﴿ قَالُواْ يا أيها الْعزِيز إِن له أَبا شَيخًا كَبِيرا فَخُذْ أَحدنَا مكَانَه إِنا نَراك مِن الْمحسِنِين﴾

بدأت بتكرير الفعل قال مع الضمير المتصل المحيل على إخوة يوسف، ثم جاء تكرير المرجع الإشاري يوسف بلقبه الجديد العزيز، وتكرر العنصر الإشاري يعقوب بلفظ الأب، وهو تكرير بالترادف، وتابعت الآية بعنصر الإحالة النصية

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص487.

الضمير المتصل في (لَه، نَراك)، والمستتر في فعل الأمر (فَخُذْ)؛ إذ أحالت على يوسف واستمر الربط بالفاء (فَخُذْ أحدنَا)، وكذلك الضمائر المحيلة على إخوة يوسف في(أحدنَا، إِنا)، وفي النداء إحالة بعدية.

الآية التاسعة والسبعون: ﴿ قَالَ معاذَ اللّهِ أَن نأْخُذَ إِلا من وجدنَا متَاعنَا عِنده إِنـا إذا لظَالِمونَ ﴾

تبدأ الآية الكريمة بتكرير الفعل قال، وفيه ضمير مستتر يحيل على يوسف عليه السلام، وكذلك الضمير المستتر والمتصل في (أَن نأْخُذَ، وجدنَا متَاعنَا، إِنـا إذا لظَالِمون)، ويعود السياق إلى بنيامين بالضمير المتصل في (عِنده)، وتنتهي الآية باستحالة استبدال بنيامين بأحد إخوته خوفا من الوقوع في زمرة الظالمين، والآية مثال للجملة النصية الساكنة.

الآية الثمانون:﴿فَلَما استَيأَسوا مِنْه خَلَصوا نَجِيا قَالَ كَبِيرهم أَلَم تَعلَموا أَن أَباكُم قَد أَخَذَ علَيكُم موثِقًا من اللّهِ ومِن قَبلُ ما فَرطتُم فِي يوسفَ فَلَن أَبرح الأَرض حتَى يأْذَن لِي أَبِي أَو يحكُم اللّه لِي وهو خَير الْحاكِمِين ﴾

بدأت الآية الكريمة بالوصل النصي الإضافي مع ما سبق، والوصل السببي مع ما يلحق- جملة الشرط- بالرابط اللفظي (لَما)، وأحالت الضمائر بأنواعها نصيا على يوسف وإخوته وأبيهم، ولأن الإخوة موضع الحدث الآني فقد تركزت العناصر الإحالية عليهم بضمير الجماعة، وأحيل على الأخ الأكبر بضمير المفرد، إشارة لتميز موقفه، وجاء الضمير المنفصل (هو) إحالة مقامية ليربط النص بالمنتج جل وعلا، ومن الإحالات (ما) على ما في تأويلاتها النحوية من صلة أو موصولة أو مصدرية [1]. وتحيل مع العنصر الإحالي (قبلُ) على حادثة التفريط بيوسف، وعمل الوصل الإضافي بأدواته حروف العطف: الواو، والفاء، و أو، على ترابط الجملة النصية، وفي الآية تكرير للمرجع الإشاري يوسف.

الآية الحادية والثمانون:﴿ ارجِعوا إِلَى أَبِيكُم فَقُولُواْ يا أَبانَا إِن ابنَك سرقَ وما شَهِدنَا إِلا بِما علِمنَا وما كُنا لِلْغَيبِ حافِظِين﴾

---

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص489. وانظر الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج5، ص 32.

ترتبط الآية بما سبق بالضمائر المتصلة المحيلة على إخوة يوسف في قوله تعالى: (ارجِعواْ إلى أَبِيكُم فَقُولُواْ يا أَبانَا) وقوله تعالى: (وما شَهِدنَا إلا بِما عَلِمنَا وما كُنا)، وبضمير المتكلم (نا) في (شهدنا، علمنا، كنّا لِلْغَيبِ حافِظِين). والمتصلة والمستترة المحيلة على بنيامين في قوله تعالى: (إن ابنَك سرقَ)، وجاء الاسم الموصول عنصرا إحاليا على ما حدث مع أخيهم بنيامين لدى العزيز (يوسف)، أما الواو في (وما) فهي أداة وصل، وتكرر لفظ الأب (أبانَا)، وارتبط الطلب بجوابه بالفاء نحو: (فَقُولُواْ)، وفي النداء إحالة على لاحق.

الآية الثانية والثمانون: ﴿ واسأَل الْقَريةَ الِتي كُنا فِيها والْعِير الِتي أَقْبلْنَا فِيها وإِنا لَصادِقُون﴾

(واسأَل) الواو للوصل النصي الإضافي، والضمير المستتر أنت يحيل على يعقوب، والاسم الموصول (التي) في قوله تعالى: (واسأَل الْقَريةَ الِتي كُنا فِيها) يحيل على البلد التي فيها يوسف وهي مصر، وتُذكر بلفظها في الآية التاسعة والتسعين قال تعالى: (وقَالَ ادخُلُواْ مِصر إِن شَاء اللّه آمِنِين)، أما الاسم الموصول (التي) في قوله تعالى: (والْعِير الِتي أَقْبلْنَا فِيها) فيحيل على قوم من جيران يعقوب عليه السلام كانوا مع إخوة يوسف[1]. أما الضمير المتصل بحرف الجر نحو (فِيها)، فأحال على بلد يوسف مصر في قوله تعالى: (واسأَل الْقَريةَ الِتي كُنا فِيها) وعلى العير في قوله تعالى: (والْعِير الِتي أَقْبلْنَا فِيها)، وأحالت الضمائر على إخوة يوسف في (كُنا، أَقْبلْنَا، وإِنا لَصادِقُون)، وجاء الوصل بين أجزاء الآية بالواو في (والْعِير، وإِنا).

في الآية مجاز لغوي، فالسؤال موجه إلى أهل القرية ومن مع العير، وليس المقصود بالسؤال المكان أو المتاع، ولو حاكم المتلقي هذه التعابير على منطقية الدلالة ما استقامت، ولكن الفهم البلاغي أدى إلى المنطقية.

الآية الثالثة والثمانون: ﴿ قَالَ بلْ سولَتْ لَكُم أَنفُسكُم أَمرا فَصبر جمِيلٌ عسى اللّه أَن يأْتِينِي بِهِم جمِيعا إِنه هو الْعلِيم الْحكِيم ﴾

---

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص489.

عاد الفعل قال ليتكرر في بداية رد أبيهم مع الإحالة على الأب، وجاءت أداة الوصل العكسي (بل) للإضراب الإبطالي، فهو يبطل حديثهم عن السبب المانع من عودة بنيامين معهم، وفيه تذكير أو تلميح إلى يوسف عندما أخذوه بحجة اللعب والتسلية معهم، وإحضار القميص عليه دم، وهذا الإضراب جعل الأحداث تحيا من جديد وتتواصل، فمضمون الإضراب من خلال أداته بل ربط الآية مع الآيتين السابقتين، فهي إبطال لما جاء فيهما من حجة الإخوة عن سبب عدم عودة أخيهم بنيامين معهم.

وجاءت الضمائر المحيلة نصيا على الأب في (قَالَ، يأْتِيني)، وعلى إخوة يوسف في (لَكُم َأنفُسكُم)، وعلى الإخوة الثلاثة الغائبين: يوسف وبنيامين والأخ الأكبر في (بِهِم)، أما الضميران المتصل والمنفصل في قوله تعالى: (إنه هو الْعلِيم الْحكِيم) فإحالة مقامية إلى الله تعالى، وهناك حذف في قوله تعالى: (فَصبر جمِيلٌ) والتقدير صبري صبر جميل، وهو حذف ذو أثر على مستوى الجملة النصية فقط.

الآية الرابعة والثمانون: ﴿ وتَولى عنْهم وقَالَ يا َأسفَى علَى يوسفَ وابيضتْ عينَاه من الْحزنِ فَهو كَظِيم﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل الإضافي، فربطت الفعل تولى مع الفعل (قال) في الآية السابقة، أما قال الواردة هنا فترتبط أو تتعلق بتولى، ولا تتعلق بالفعل قال الوارد في الآية السابقة، إذ جاء القول هنا على إثر حدث التولي، بينما الفعل تولى في هذه الآية جاء إثر حدوث القول في الآية السابقة، وهذا التعالق بين أجزاء الجمل والجمل مع الأخرى ثم المقاطع مع الأخرى ثم الموضوع النصي مع الآخر لا يكون إلا للنصوص ذات الدلالة الجامعة، وتكرر المرجع الإشاري يوسف من فرط حزن يعقوب عليه، ومن الملاحظ أن يعقوب ذكر يوسف ولم يذكر بنيامين مدار الحدث.

أحالت الآية على يعقوب بالضمير المستتر في قوله (وتَولى، وقَالَ) والضمير المتصل في (َأسفَى، عينَاه)، والضمير المنفصل (فَهو)، وارتبطت الجملة داخليا بالوصل الإضافي بالواو في (وتَولى، وقَالَ، وابيضتْ)، والفاء في (فَهو) رابط بين الحال وصاحبها.

الآية الخامسة والثمانون:﴿قَالُواْ تَاالله تَفْتَأُ تَذْكُر يوسفَ حتى تَكُون حرضا أو تَكُون مِن الْهالِكِين﴾

تكرر الفعل قال مع الضمير المحيل على إخوة يوسف، وكثرت الإحالة على يعقوب بالضمير المستتر في قوله تعالى: (تَاالله تَفْتَأُ تَذْكُر يوسفَ حتى تَكُون حرضا أو تَكُون مِن الْهالِكِين) فمجموعة العناصر الإحالية المضمرة عادت على العنصر الإشاري يعقوب، بينما صرح بالمرجع الإشاري يوسف تكريرا، وربطت الجملة الفرعية في نهاية الآية بأداة الوصل أو.

الآية تحمل ضيق الإخوة بأبيهم من ذكره يوسف والوجد عليه وهم يعلمون سوء ما فعلوا، وبذلك جاء تكرير يوسف من الإخوة.

الآية السادسة والثمانون:﴿ قَالَ إِنما أَشْكُو بثي وحزنِي إلى اللّهِ وأَعلَم مِن اللّهِ ما لا تَعلَمون ﴾

تكرر الفعل قال مع الإحالة على يعقوب بالضمير المستتر فيه، والمستتر في (أَشْكُو، وأَعلَم) وضمير المتكلم المتصل في (بثي وحزنِي)، وضمير المخاطبين الواو يحيل على أبناء يعقوب في (ما لا تَعلَمون)، وقامت أدوات الوصل المتمثلة بواو العطف بالربط النصي داخل الجملة، والآية جملة نصية توليدية، فالعلم الذي عند يعقوب أنتج الآية التالية، فلم ييأس من العثور على يوسف وأخيه، وطلب منهم التحسس عنه، وكله بأمر الله، وما الرؤيا في بداية القصة ونصح يعقوب يوسف بعدم إخبار إخوته بها إلّا مؤشر على حياة يوسف بعد.

الآية السابعة والثمانون: ﴿يا بنِي اذهبواْ فَتَحسسواْ مِن يوسفَ وأَخِيهِ ولاَ تَيأَسواْ مِن روحِ اللّهِ إِنه لاَ ييأَس مِن روحِ اللّهِ إِلا الْقَوم الْكَافِرون﴾

أحال النداء على إخوة يوسف، وأحال الضمير المتصل بالنداء على يعقوب كعنصر إشاري في النص (يا بنِي)، وأحال ضمير المخاطبين في (اذهبوا، فتحسسوا، ولا تيأسوا) على أبناء يعقوب، وتكرر يوسف، وتمت الإحالة على بنيامين بضمير الغائب في (وأَخِيهِ)، وأحالت الآية مقاميا على عنصر إشاري حر بضمير الغيبة في (إِنه)، وتم الوصل بحرف العطف الفاء والواو في قوله تعالى: (فَتَحسسواْ مِن يوسفَ وأَخِيهِ ولاَ تَيأَسواْ)، فالإحالات على هذه العناصر تبقي القصة متماسكة.

الآية الثامنة والثمانون: ﴿ فَلَما دخَلُواْ علَيهِ قَالُواْ يا أَيها الْعزِيز مسنَا وأَهلَنَا الضر وجِئْنَا بِبِضاعةٍ مزجاةٍ فَأَوفِ لَنَا الْكَيلَ وتَصدقْ علَينَا إِن اللّه يجزِي الْمتَصدقِين ﴾

تكرر أسلوب الربط بين الجمل النصية بالوصل الإضافي والسببي في (فَلَما)، والفاء عطفت على محذوف تقديره "فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما ...الخ"[1]. ولما رابطة مع (قَالُواْ) المكررة بعدها، والحذف هنا حذف نصي، وتكرر الفعل دخل، وأحالت الضمائر على إخوة يوسف في (دخَلُواْ، قَالُواْ، مسنَا وأَهلَنَا، وجِئْنَا، لَنَا، علَينَا) فمعظم العناصر الإحالية أحالت على إخوة يوسف في شكوى الحال، وأحالت الضمائر على يوسف في (علَيهِ، فَأَوفِ، وتَصدقْ) وأحال الضمير المستتر مقاميا عليه سبحانه وتعالى في (يجزِي)، وتكرر المرجع الإشاري يوسف بالترادف من خلال لقبه (الْعزِيز) بعد موت عزيز مصر، وتكرر العنصر الإشاري البضاعة في قوله تعالى: (وجِئْنَا بِبِضاعةٍ مزجاةٍ)، وعملت أدوات الوصل روابط داخل الجملة النصية (الآية) بحرفي الوصل الإضافي الواو والفاء كما في قوله تعالى: (مسنَا وأَهلَنَا الضر وجِئْنَا بِبِضاعةٍ مزجاةٍ فَأَوفِ لَنَا الْكَيلَ وتَصدقْ علَينَا).

الآية التاسعة والثمانون:﴿ قَالَ هلْ علِمتُم ما فَعلْتُم بِيوسفَ وأَخِيهِ إِذْ أَنتُم جاهِلُون﴾

تكرر الفعل قال بضمير مستتر يحيل على يوسف عليه السلام، ثم يحيل على إخوته بضمير المخاطبين، ولم يأتِ مع الوصل واو العطف كما في أغلب الاستعمال لصيغة قال في القصة، وهذا بأثر الموقف، ويسألهم يوسف عليه السلام سؤال العارف المتجاهل في قوله تعالى: (هلْ علِمتُم ما فَعلْتُم بِيوسفَ وأَخِيهِ)، ويتكرر المرجع الإشاري يوسف على لسان يوسف هنا، لما في نفس يوسف من الأسى لا تعاليا، وأحيل على بنيامين بضمير الغائب نحو: (وأَخِيهِ).

وجاء الاسم الموصول ما في (ما فَعلْتُم) محيلا على فعلتهم به وبأخيه، وتم الربط بين يوسف وأخيه بالوصل الإضافي، واستخدم العنصر الإحالي الظرفي (إذ) ليحيل نصيا على زمن سابق أحدثوا فيه مع أخيهم ما يكره وهم جاهلون، وأحال عليهم صفة الجهل، بالضمير المنفصل (أَنتُم) في علاقته الإسنادية مع خبره

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج5، ص47.

(جاهلون)، وبالضمير المتصل علامة الجمع في (جاهِلُون)، وبذلك يكون قد أعذر لهم.

الآية التسعون: ﴿ قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

بدأت الآية الكريمة بتكرير الفعل قالوا مع الإحالة على إخوة يوسف، وجاء تركيز العناصر الإحالية على يوسف من خلال الضمائر المتصلة والمنفصلة والمستترة في (أَإِنَّكَ لأَنتَ، قَالَ أَنَاْ، أَخِي، عَلَيْنَا)، والتكرير للمرجع الإشاري يوسف مرتين للتأكيد، والتأكيد في الأولى على سبيل الدهشة من قبل الإخوة، وفي الثانية على سبيل الإقرار من يوسف، والتأكيد جاء أيضا من عناصر إحالية: وهي الضمير المتصل والمنفصل في (أَإِنَّكَ لأَنتَ) وشكلا مع الاستفهام كشفا عن حقيقة نفسية عميقة في طبيعة الإنسان تحمل اليقين والتشكك مع الانبهار، وهذا الانبهار كثفته الإحالة بالضمير مع الاستفهام، وجمعت الضمائر بين يوسف وأخيه بنيامين في قوله تعالى: (قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا) لغرض دلالي، تمييزا لهما. قال الطبري في تفسيرها: "بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا"[1] وقال ابن كثير: أي بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة.[2] وأجاز آخرون أن يكون المقصود هو وأخاه أو الجمع بينهم جميعا، وأحال اسم الإشارة في قوله تعالى: (وَهَـذَا أَخِي) على بنيامين، وبعد الإحالات النصية المكثفة على يوسف تأتي الإحالات المشتركة على عموم المتقين والصابرين والمحسنين ومنهم يوسف في قوله تعالى: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)، ثم المقامية إليه عز وجل في (لاَ يُضِيعُ)، ويأتي الوصل السببي والإضافي ليربط بين فعل الشرط وجوابه في قوله تعالى: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

العناصر الإشارية داخل الجملة النصية هي: سيدنا يوسف عليه السلام، وأخوه، وعملت الإحالة على مستويين:

1- الطبري، تفسير الطبري ج1، ص244.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص643.

المستوى الأول: إحالة خارجية (مقامية) فأحالت إليه سبحانه وتعالى بالضمير المستتر في (يضِيع) والعنصر المعجمي لفظ الجلالة (الله) جل وعلا.

المستوى الثاني: إحالة نصية على يوسف بالضمائر في (أَإِنكَ لأنتَ، قَالَ أَنَاْ، أَخِي، علَينَا)، فأحالت الآية عليه ست إحالات كلها ضمائر، أحدها مشترك بين يوسف وأخيه بنيامين. وأحالت على يوسف إحالة غير مباشرة ثلاث مرات، إذ شكل يوسف مع غيره من المتقين والصابرين والمحسنين المقصودين من قوله تعالى: (إِنه من يتقِ ويصبِر فَإِن اللّه لاَ يضِيع أَجر الْمحسِنِين) عنصرا إشاريا أحالت عليهم الجملة النصية إحالة مشتركة بضمير المفرد الغائب، فشكلت هذه المجموعة من الإحالات وحدة إحالية تعود على عناصر إشارية لغوية وغير لغوية، ومجموع العناصر الإحالية العائدة على العناصر الإشارية في الجملة النصية شكلت المجموعة الإحالية، وباعتبار العنصر الإشاري، تكون الإحالة مشتركة، وأحالت الآية على بنيامين باسم الإشارة هذا، وبالضمير على يوسف وأخيه بنيامين، فجمعت الإحالة بينهما بالضمير المتصل في (علَينَا)، تمييزا لهما عن بقية الإخوة.

وفي الآية استبدال قولي فقد استبدل قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: (قَالُواْ أَإِنكَ لأَنتَ يوسفُ) بقوله تعالى على لسان يوسف: (قَالَ أَنَاْ يوسفُ).

الآية الحادية والتسعون: ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَد آثَرك اللّه علَينَا وإِن كُنا لَخَاطِئِين﴾

تكرير الفعل قال مع الضمير المتصل المحيل على إخوة يوسف، وأحيل عليهم بالضمائر في (علَينَا، كُنا لَخَاطِئِين)، وأحيل على يوسف في (آثَرك)، وفي الآية حذف لفعل تقديره نقسم، وجاءت اللام الواقعة في جواب القسم أداة ربط داخل الجملة، كما ربطت أجزاء الجملة بالوصل الإضافي في قوله تعالى: (وإِن كُنا لَخَاطِئِين).

الآية الثانية والتسعون: ﴿ قَالَ لاَ تَثْرِيب علَيكُم الْيوم يغْفِر اللّه لَكُم وهو أَرحم الراحِمِين ﴾

يتكرر الفعل قال ويحمل الإحالة النصية المحيلة على المرجع الإشاري يوسف عليه السلام، الذي لا يزال يشكل عامل الإحالة الأول في القصة من بين العناصر الإشارية التي تدور في فلك الحدث، فأكثر الإحالات عليه، وأحيل على إخوة يوسف

بالضمير المتصل في (علَيكُم، لَكُم)، وأحيل مقاميا بالضمير المنفصل (هو) مع ارتباطه بالوصل الإضافي، وفي الظرف (اليْوم) إحالة نصية، والآية جملة نصية ساكنة.

الآية الثالثة والتسعون:﴿اذهبواْ بِقَمِيصِي هـٰذَا فَأَلقُوه علَى وجهِ أَبِي يأْتِ بصِيرا وأْتُونِي بِأَهلِكُم أَجمعِين﴾

بدأت الآية بفعل الأمر (اذهبواْ) مع الضمير المتصل المحيل على المخاطبين إخوة يوسف، وأحيل على يوسف بضمير المتكلم الياء في (بِقَمِيصِي)، فربط القميص بيوسف إحاليا، وأشير إلى القميص باسم الإشارة (هـٰذَا) كإحالة نصية داخل الجملة؛ لأن القميص المقصود هنا ليس القميص الأول الذي جيء عليه بدم كذب، ولا القميص الذي قد من دبر، ثم أحيل على القميص بضمير الغائب الهاء في (فَأَلْقُوه) ومن الإحالات النصية على القميص في الآية نجد أنه عنصر إشاري مهم في الجملة.

في ذكر القميص تكرير معجمي وإن اختلفت الدلالة سياقيا، فهي لا تُخرج المداول من دلالته المعجمية الأولى، فالقميص يبقى قميصا، وشكّل رابطا بين ثلاثة مقاطع متباعدة في القصة، وأدى إلى اتساق النص وشكّل عنصر تشويق في القصة، لأهميته الدلالية، وإن لم يكن القميص الأول أو الثاني، إلا أن بينهما همزة وصل، وهو المرجع الإشاري يوسف، من خلال الإحالات النصية، ومن هنا فالقميص مثّل عنصر اتساق آخر في النص، وهو الاستبدال، فاستبدل بالقميص الأول القميصين الثاني والثالث مع وجود الأثر الجامع بينهم، وهو صاحب القميص، المرجع الإشاري يوسف عليه السلام من خلال الضمير المحيل عليه.

وأحيل أيضا على يوسف بالضمير في (أَبِي، وأْتُونِي)، وأحيل على الأب بالضمير المستتر في (وأْتُونِي)، والفعل (يأْتِ) جواب للطلب، وفي الفعلين اذهبوا، ويأتي تضام، فالذهاب والإتيان نقيضان يذكّر احدهما بالآخر، ثم أحيل على إخوة يوسف بالضمير في (بِأَهلِكُم) وعمل التوكيد على مجيء الأهل كنوع من التكرير في (أَجمعِين) وعمل الوصل الإضافي بأداتيه الواو والفاء على ترابط أجزاء الجملة في (فَأَلْقُوه، وأْتُونِي).

عناصر الاتساق النصي، تشترك في أداء وظائفها النحوية، إعمالا لمبدأ الاقتصاد بشرط وضوح الدلالة، فالعنصر الإشاري (قميص) تكرر ذكره في قوله تعالى: (اذهبواْ بِقَمِيصِي هـ ـذَا)، وفيه تكرير معجمي لقميص يوسف عليه السلام الذي جيء عليه بدم كذب، وقميصه الذي قد من دبر، وإن اختلفت الدلالة سياقيا، فشكل عامل اتساق معجمي بالتكرير، وربط بين ثلاثة مقاطع متباعدة في القصة، وفيه تنوع دلالي وحده الاستبدال أحد عناصر الاتساق، القميص بحد ذاته عنصر معجمي، إلا أنه مختلف الأنواع: الأول قميص معلّم بدم كذب. والقميص الثاني مقدود من دبر، والثالث فيه شفاء للبصر، وهو مع اختلافه إلا أنه لباس لسيدنا يوسف عليه السلام، واستبدل العنصر الإشاري (قميص) بدلالة العلامة التي يحملها كل قميص، فالمستبدل هو القميص، والأثر المتبقي الذي دل على العناصر المستبدلة وجمع بينها هو العنصر الإشاري يوسف، ونابت عنه الضمائر الإحالية نحو: قوله تعالى: (وجآؤُوا علَى قَمِيصِهِ بِدمٍ كَذِبٍ)[1]. وقوله تعالى: (وإِن كَان قَمِيصه قُد مِن دبرٍ فَكَذَبتْ وهو مِن الصادِقِين)[2]. وفي قوله تعالى: (اذهبواْ بِقَمِيصِي هـ ـذَا)[3]. فالإحالات بالضمير جمعت بين العناصر الإشارية، واختصرت بالتعويض عن ذكر العناصر الإشارية بلفظها، وعرفت العنصر الإشاري، فالنكرة المضاف إلى المضاف إلى معرفة يصبح معرفة، وما بين القميص والقميص من التعريف أقرب من ذلك ومن هنا فالقميص عنصر اتساق نصي آخر في القصة، إذ قام الاستبدال على اتساق النص، وربط بين ثلاثة مقاطع نصية مع بعضها، فعناصر الاتساق تشترك في أداء وظائفها النحوية النصية، فالقميص بحد ذاته تكرير معجمي وفيه استبدال.

الآية الرابعة والتسعون:﴿ ولَما فَصلَتِ الْعِير قَالَ أَبوهم إِني لَأَجِد رِيح يوسفَ لَولا أَن تُفَنِّدونِ﴾

تشكل الآية بداية مقطع فرعي على المقطع الذي يتحدث عن يوسف في مصر مكينا، وفيه عودة إخوة يوسف إلى أبيهم مع البشارة له من يوسف عليه السلام.

1 - سورة يوسف، آية، 18.

2 - سورة يوسف، آية، 27.

3 - سورة يوسف، آية، 93.

بدأت الآية بالوصل الإضافي والسببي نحو: (ولما) وهي بلفظها تمثل تكرارا لما سبق من هذا الأسلوب اللغوي، وتكرر الفعل (قال) مع الإحالة، وأحيل على إخوة يوسف بضمير الغائب (هم) في (قَالَ أَبوهم)، وعلى يعقوب بالضمير في (إِني لَأَجِد)، وتكرر المرجع الإشاري يوسف، والعنصر الإشاري العير، وأُحيل على الإخوة بالضمير في (أن تُفَنِّدون)، وخلت الآية من الإحالة المقامية، لاقتصار الأثر الدلالي في الآية على أحداث القصة، وهذا دليل على أثر المعنى على المبنى، وفي الآية حذف لخبر لولا، وأثره الترابطي داخل الجملة وتقديره لصدقتموني. وهذه الآية تمثل جملة (آية) توليدية، فيعقوب يتحدث لمن عنده في موضوع قديم مستمر الأثر وللمخاطبين فيه قول، فقالوا (تَاللّهِ إِنكَ لَفِي ضلاَلِكَ الْقَدِيمِ).

الآية الخامسة والتسعون: ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ إِنكَ لَفِي ضلاَلِكَ الْقَدِيمِ﴾

تبدأ الآية بتكرير الفعل قال مع الإحالة على العناصر الإشارية وهم محدثو يعقوب، يقول الزمخشري: إنهم ولد ولده ومن حوله من قومه[1]. وأما ابن كثير فيقول إنهم أبناؤه[2]. فكيف ينسب الأبناء لأبيهم صفة الضلالة وهم لما يصلوا بعد! وإن وصلوا فقد أخذوا العبر من أخيهم وما جرى لهم، ومعهم القميص بشارة بحياة يوسف، وكيف يطلبون من أبيهم فيما بعد أن يستغفر لهم كما في الآية السابعة والتسعين. وأحيل على يعقوب بضمير المخاطب في (إنك، ضلاَلِك).

الآية السادسة والتسعون: ﴿ فَلَما أَن جاء الْبشِير أَلْقَاه علَى وجهِهِ فَارتَد بصِيرا قَالَ أَلَم أَقُل لَّكُم إِني أَعلَم مِن اللّهِ ما لاَ تَعلَمون ﴾

بدأت الآية بالوصل الإضافي والسببي، والفاء عطفت على محذوف نصي مقدر من السياق، و(لما) تربط فعل الشرط (جاء)، وجواب الشرط (أَلْقَاه) والجواب يتصل بضمير الغائب العائد على قميص يوسف، أو على يعقوب[3] وأحيل بالضمير على من حوله في (لكُم، ما لاَ تَعلَمون)، وأحال الضمير المتصل في (وجهِهِ) على يعقوب موضوع الإلقاء، وأحالت الآية أيضا على يعقوب بالضمير المستتر والمتصل

1- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص496.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص644.

3- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص496.

في قوله تعالى: (فَارتَد بصِيرا قَالَ أَلم أَقُل لكُم، إني أَعلَم مِن اللَّهِ ما لاَ تَعلَمون)، وفي الآية وصل بالفاء (فَارتَد)، وأحال الاسم الموصول (ما) مشيرا إلى "علم يعقوب من الله بأن يوسف سيعود"[1].

الآية السابعة والتسعون: ﴿ قَالُواْ يا أَبانَا استَغْفِر لنَا ذُنُوبنَا إنا كُنا خَاطِئِين ﴾

تكرر الفعل قالوا مع الإحالة بالضمير على الأبناء، ثم أحال الضمير المتصل بالنداء على الأبناء (يا أَبانَا) وفي النداء إحالة بعدية على يعقوب، وأحال الضمير المستتر في (استَغْفِر) على يعقوب، وأحالت الآية على إخوة يوسف بالضمائر نحو(قَالُوا، أَبانَا، لنَا، ذُنُوبنَا، إنا كُنا خَاطِئِين).

العنصر الإشاري الأبرز في هذه الآية إخوة يوسف، وقد عادت الإحالات عليهم مكثفة، ولم يشاركهم فيها المرجع الإشاري يوسف، لأن مضمون الآية إقرار بالذنب وطلب للشفاعة من قبل الإخوة، والآية السابقة كهذه خلت من المرجع الإشاري وما يحيل عليه، واللاحقة كذلك لنفس السبب.

الآية الثامنة والتسعون: ﴿قَالَ سوفَ أَستَغْفِر لكُم ربي إنه هو الْغَفُور الرحِيم﴾

تكرر الفعل (قال) وأحال على يعقوب بالضمير المستتر فيه، وبالضمير المستتر في (أَستَغْفِر)، والمتصل في (ربي)، وأحالت الآية بالضمير المجرور على إخوة يوسف في (لَكُم) وأحالت مقاميا بالضمير المتصل والمنفصل إلى صاحب المغفرة في قوله تعالى: (إنه هو الْغَفُور الرحِيم).

الآية التاسعة والتسعون: ﴿ فَلَما دخَلُواْ علَى يوسفَ آوى إليه أَبويه وقَالَ ادخُلُواْ مصر إن شَاء اللّه آمنين ﴾

بدأت الآية الكريمة بتكرير الوصل الإضافي والسببي، وأداة الوصل الفاء عطفت على محذوف تقديره "ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف وحاشيته لاستقبالهم"[2]. وفي ذلك حذف نصي، وأداة الوصل السببي (لما) ربطت السابق مع اللاحق داخل الجملة النصية، فارتبط الجواب (آوى) مع الشرط (دخَلُواْ)، وأحال فعل

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص644.

2 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج5، ص55.

الشرط على إخوة يوسف بالضمير، وتكرر المرجع الإشاري يوسف وهو من متعلقات فعل الشرط، وأحالت الجملة الفرعية (آوى إليه أبويه) وهي جواب الشرط على المرجع الإشاري يوسف بالضمير المستتر والمتصل.

الجزء الأول من الجملة النصية (الآية) تكون من جملتين فرعيتين؛ فعل الشرط وجوابه، وتتابع الحدث في الجزء الثاني من الآية باستخدام أداة الوصل واو العطف وتكرير الفعل قال مع الإحالة على يوسف بالضمير المستتر فيه، وأحالت الآية على إخوة يوسف بالضمير المتصل في قوله تعالى: (ادخُلُواْ مِصر)، وهنا يكرر العنصر الإشاري مصر بالترادف، وقد ذكر سابقا بلفظ القرية، في الآية الثانية والثمانين في قوله تعالى: (واسأَل الْقَريةَ الِتي كُنا فِيها).

الآية المائة: ﴿ ورفَع أَبويهِ على الْعرشِ وخَرواْ له سجدا وقَالَ يا أَبتِ هـذَا تَأْوِيلُ رؤْياي مِن قَبلُ قَد جعلَها ربي حقا وقَد أَحسن بي إذ أَخْرجنِي مِن السجنِ وجاء بِكُم من الْبدوِ مِن بعدِ أَن نزغَ الشيطَان بينِي وبين إِخْوتِي إِن ربي لَطِيفٌ لما يشَاء إِنه هو الْعلِيم الْحكِيم ﴾.

الآية الكريمة جاءت تأويلا للرؤيا الواردة في الآية الرابعة، وهي الآية التي تمثل الجملة النصية التوليدية الرئيسية للقصة، وإذا كان الانسجام يحتاج بالضرورة للتأويل لفهم الدلالات وربطها ببعضها، فقد ذُكر التأويل في هذه الآية صراحة في قوله تعالى: (وقَالَ يا أَبتِ هـذَا تَأْوِيلُ رؤْياي مِن قَبلُ).

وتبدأ الآية بأكثر أدوات الوصل الإضافي استخداما في هذه القصة واو العطف في (ورفَع)، مع الإحالة على يوسف بالضمير المستتر والمتصل في قوله تعالى: (ورفَع أَبويهِ)، ثم أحيل على مجموعة عناصر إشارية بضمير الجماعة المتصل في (وخَرواْ)، وهم إخوة يوسف وأبواه، وعادت الإحالة على يوسف بالضمير المجرور (لَه) وكذلك بالضمير المستتر في (قال)، وجاء الوصل الإضافي للربط الداخلي في (وقَالَ).

أحيل على يوسف بالضمير المحذوف (الياء) في (أَبتِ) وبالضمائر المتصلة في (رؤْياي، ربي، بي، أَخْرجنِي، بينِي، إِخْوتِي، ربي)، وأحيل على الرؤيا بضمير الغيبة الهاء في (جعلَها) وهي الرؤيا المذكورة سابقا بدليل الإحالة عليها إشاريا

بظرف الزمان (قَبلُ)، ومقابل الإحالة على الرؤيا بالظرف قبل، أحال على ما حدث له من إخوته بكيدهم به بالظرف (بعد) في قوله تعالى: (مِن بعدِ أَن نزغَ الشيطَان بيني وبين)، وقد أخر ذكر الحادثة بعد ذكر السجن مع أنها سابقة على السجن، وجعل الشيطان نازغا بينه وبين إخوته، ولم يوجه اللوم لهم مباشرة، وفي ذلك لطف وصفح من سيدنا يوسف عن إخوته، وأحيل على أهله بالضمير المتصل في (بِكُم)، أما الإحالات المقامية فكانت في الضمائر المحيلة إلى المولى عز وجل في (أحسن، أَخْرجنِي، وجاء، يشَاء ,إنه هو)، وجاءت الإحالات الإشارية النصية باسم الإشارة في قوله تعالى: (هذا تأويل) إذ أحالت على عملية رفع يوسف لوالديه على العرش والسجود.

في الآية تضام ناتج عن التقابل بين رفع وخر، وبين البدو والحاضرة (القرى) المحذوفة دل عليها السياق في الآية الثانية والثمانين (واسأَل الْقَريةَ التِي كُنا فِيها)، وهنا عمل الحذف والاتساق المعجمي على التماسك النصي.

يتكرر ذكر العنصر الإشاري الرؤيا في الآية تأكيدا لأهميتها في مجريات القصة، وتكرر الأب، والسجن، والإخوة، وهي من أهم العناصر الإشارية في القصة بعد يوسف علية السلام، الذي يعتبر المرجع الإشاري في هذه الجملة (الآية) ومحور القصة، فكانت أكثر العناصر الإحالية تعود عليه.

العرش عنصر إشاري غير عامل، وكذلك الشيطان، لعدم وجود عناصر إحالية تحيل عليهما.

الآية الأولى بعد المائة: ﴿رب قَد آتَيتَنِي مِن الْملْكِ وعلمتَنِي مِن تَأْويلِ الأَحادِيثِ فَاطِر السماواتِ والأَرض أَنتَ ولِيي فِي الدنُيا والآخِرةِ تَوفنِي مسلِما وأَلْحِقْنِي بِالصالِحِين ﴾

بدأت الآية الكريمة بالإحالة بنداء صاحب الفضل سبحانه وتعالى فمقام الشكر واجب وقد أتم النعمة على المنادي يوسف عليه السلام، وأحيل على سيدنا يوسف بالضمير المحذوف (الياء) في (رب) وبالضمير المتصل ياء المتكلم في (آتَيتَنِي، َعلمتَنِي، ولِيي، تَوفنِي، أَلْحِقْنِي)، وأحالت الآية مقاميا بالضمير المتصل (التاء) في (آتَيتَنِي، وعلمتَنِي) ثم بالضمير المنفصل في (أنت) ثم أحالت مقاميا بالضمير

المستتر في (تَوفِني، أَلْحِقْني)، وهذا التنوع في ضمائر الإحالة جمعه الوصل بأداة العطف الواو نحو (وعلمتَني، السماواتِ والأرض، الدنُيا والآخِرةِ، وَأَلْحِقْني). والنداء في قوله تعالى: (رب قَد آتَيتَني) و(فَاطِر السماواتِ والأرض) إحالة مقامية إليه سبحانه وتعالى. وفي الآية اتساق معجمي بالتضام في (السماواتِ والأرض) و(الدنُيا والآخِرةِ).

وردت العناصر الإحالية بنوعيها المقامية والنصية في الآية من خلال الضمائر، كما برز التضام بشكل قوي معتمدا على الوصل الإضافي بين طرفيه، وقد ختمت القصة بالدعاء والمناجاة بين المرجع الإشاري يوسف وربه عز وجل، فإليه ترجع الأمور لتنتهي أحداث القصة.

وتجدر الإشارة إلى أن الجمل النصية منها ما هو تمهيدي كالآيات في بداية سورة يوسف، فهي تمهيد لربط نص سورة يوسف مع بقية نص القرآن من خلال ما تم توضيحه سابقا، وتقوم الإحالة المقامية بهذا التمهيد. وهذه الآية جملة نصية ختامية غير توليدية (ساكنة).

الآية الثانية بعد المائة: ﴿ ذَلِك مِن أَنباء الْغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيك وما كُنتَ لَديهِم إِذ أَجمعواْ أَمرهم وهم يمكُرون ﴾

هذه الآية بداية مسار دلالي جديد (مقطع) في سورة يوسف، فهي انتقال من مشهد الحدث أو السرد القصصي لقصة يوسف عليه السلام، إلى المتلقي محمد صلى الله علية وسلم، وجاء الانتقال بتمهيد من خلال العنصر الإحالي اسم الإشارة (ذَلِك) المحيل إحالة نصية موسعة، فقد أعاد الصورة كاملة إلى الذهن، فجميع أحداث قصة يوسف بتفاصيلها وعبرها، فمثُلَت من جديد أمام سيدنا محمد صلوات الله عليه ومن معه وتبعه، علها تؤثر فيمن حوله ومن بعده مكانا وزمانا، فالإحالة بالعنصر الإشاري (ذلك) خص كل حدث وعبرة في القصة، وجعل البعيد قريبا حاضرا، خلاف الإحالة بالضمير، فالضمير أكثر خصوصية، وأقل تفصيلا، من اسم الإشارة هنا، فلو جاءت الإحالة بالضمير(هي) بدلا من اسم الإشارة ذلك، لكان المحال إليه عموم القصة دون تفصيلات، ولم يشِر سبحانه وتعالى باسم الإشارة تلك، لأن الإحالة باسم الإشارة ذلك إلى الحدث والحدث مذكر فوجبت المطابقة بالجنس. والضمير في

(نُوحِيهِ) إحالة نصية على أنباء الغيب، أي قصة يوسف، وقد تكون إحالة نصية على اسم الإشارة (ذَلِكَ)؛ أي إحالة عنصر إحالي على عنصر إحالي آخر متقدم اكتسب صفة العنصر الإشاري مما أشار إليه فأصبح مكتفيا بذاته، والاكتفاء جاء مما أحال إليه؛ فالارتباط بين اسم الإشارة والضمير مثل ارتباط الضمير المتصل والمنفصل دلاليا في قوله تعالى: (إنه هو الْعلِيم الْحكِيم)[1].

جاءت الإحالة النصية البعيدة بضمير الخطاب (الكاف) في (إِلَيْكَ) لربط ما أشارت إليه العناصر الإحالية النصية السابقة في الآية؛ اسم الإشارة (ذَلِكَ)، والضمير المتصل الهاء في (نُوحِيهِ)، بعنصر إشاري محال عليه نصيا خارج موضوع سورة يوسف، ومذكور في مواضع أخرى من نص القرآن الكريم، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالقصة جاءت له لما قص تعالى عليه " أنباء إخوة يوسف، وكيف رفعه الله عليهم"[2]. وهذه العملية الإحالية تجعل عنصر الإحالة من أهم العناصر الاتساقية في ترابط النص، فقد نقلت أحداث قصة سيدنا يوسف عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالربط الإحالي، وهذا النقل يعطي العمق لجذور الإسلام فهو أصل الديانات واستمرار لما صح منها، وأحيل إليه صلى الله عليه وسلم إحالة نصية أخرى من خلال ضمير المخاطب (التاء) في (كُنتَ)، ثم تعود الإحالة النصية بالمشهد إلى إخوة يوسف في الضمير(هم) في (لَديهم)، ويتم استحضار المشهد بشكل أكثر بالإحالة الإشارية الظرفية في (إذ)، وحضور إخوة يوسف بالإحالة عليهم بضمير المخاطبين (الواو) في (اجمعوا) والضمير المتصل (هم) في (أمرهم) والتكرير بالضمير المنفصل (هم) والإحالة بضمير المخاطبين (الواو) في (يمكرون).

وهذه الجملة (الآية) تتكون من خمس جمل فرعية أولها: (ذَلِكَ مِنْ أَنباء الْغَيْبِ) وعادت الإحالات فيها على ما سبق من نبأ يوسف عليه السلام. والثانية: (نُوحِيهِ إِلَيْكَ). وربطت القصة إحاليا بالمتلقي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك

1 - سورة يوسف الآية، 100.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص، 648. وانظر الزمخشري، الكشاف، ج2، ص499.

الثالثة: (وما كُنتَ لَديهم) أما الرابعة: (إذ أَجمعواْ أمرهم) فقد أعادت المشهد إلى إخوة يوسف، وهم يجمعون على يوسف، والخامسة: (وهم يمكُرون)، فحدد الأمر الذي أجمعوا عليه؛ أي أن الآية بدأت بعموم القصة من خلال العنصر الإحالي الإشاري (ذلك) والضمير المتصل في (نُوحِيهِ) بالتفصيل والعموم، ثم نُقل الحدث بالإحالات من خلال الضمير إلى المتلقي محمد صلى الله عليه وسلم وبالزمن من خلال العنصر الإحالي (إذ)، ثم انتهت الآية بالتركيز على جانب المكر من طرف إخوة يوسف عليه السلام لارتباط المكر بحال قريش مع محمد صلى الله علية وسلم، فقامت الإحالات بالاختصار والربط بين ما كان وما هو كائن، فتآزرت العناصر الإحالية في نقل الحدث كلّه وجزئه.

وتأتي أدوات الوصل لربط الجمل الفرعية داخل الجملة النصية، فعملت واو الحال على ربط الحال بصاحبها، ونلحظ عدم تكرير الفعل قال؛ فقد انتهى الحدث القصصي، فالفعل قال لازم الحدث القصصي وبانتهائه لم يعد يتكرر إلا ما كان في سياق آخر.

وفي الآية حسن تخلص من سرد الحدث القصصي في زمن يوسف عليه السلام بعبره والانتقال إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الانتقال من السلاسة بمكان حيث أن القارئ لا يشعر بالانقطاع المفاجئ عما سبق من أحداث القصة وعبرها، وجاءت هذه السلاسة نتيجة استخدام العناصر الإحالية التي مهدت لهذا الانتقال واختصرت المشاهد عند بعضها، فاسم الإشارة (ذَلِك) استحضار للحدث بعموم التفاصيل، ثم يدخل الرسول عليه السلام إلى المشهد من خلال الإحالات، وحتى لا ينقطع الحدث مرة واحدة يعود للظهور مرة ثانية بخصوصية المكر من إخوة يوسف، لارتباطه بحال من يدعوهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهم أهل مكة، فبقيت مقاطع السورة مترابطة، وذلك من خلال عناصر الاتساق اللفظية وخاصة الإحالية.

الآية الثالثة بعد المائة: ﴿ وما أَكْثَر الناس ولو حرصتَ بِمؤْمِنين ﴾

بعد انتهاء أحداث القصة والإحالة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جاءت هذه الآية، ولا تحمل من عناصر الاتساق إلا رابطا إحاليا واحدا يربطها مع

الآية السابقة وهو ضمير المخاطب (التاء) في (حرصتَ) المحيل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام متلقي النص، ومن الوصل جاءت الواو للعطف في قوله تعالى: (وما أكثر الناس)، وفي الآية عنصر إشاري عام وهو لفظ الناس وفيها اتساق معجمي بالتكرير لما ورد في الآية الواحدة والعشرين، ويرد في عموم نص القرآن، قال تعالى: (ولَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ).

في الآية ارتباط دلالي مع القصة، فمضمونها يقول على الرغم من عبر هذه القصة، إلا أن أكثر الناس ممن تدعوهم ولو حرصت لا يؤمنون. والعنصر الإشاري (الناس) عنصر عام يمثل جميع الناس، ومعاني القرآن لا تنحصر في زمان ومكان. والعنصر الإشاري العام موضع إحالة مشتركة على الأغلب.

الآية الرابعة بعد المائة: ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل الإضافي الواو، وجاءت الإحالة المشتركة؛ أي نصية ومقامية في (تَسأَلُهم) المحيلة على العنصر الإشاري الناس في الآية السابقة، فهي تحيل داخل نص القرآن وخارجه، لأن لفظ الناس يشمل مشركي قريش وجميع المشركين في كل زمان ومكان، وحمل الفعل تسألهم إحالة نصية من خلال الضمير المستتر فيه المحيل على محمد عليه السلام. ثم أحيل على القرآن الكريم بضمير الغائب الهاء في (عَلَيْهِ)[1]. أو على النصح والإرشاد والدعاء لهؤلاء الناس[2]. وإن كان النصح والإرشاد فالقرآن كله كذلك، والإحالة نصية عامة، وأُتبعت أيضا بإحالة نصية عامة من خلال الضمير المنفصل (هو).

الآية الخامسة بعد المائة: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

واو الاستئناف في (وكأين) أفادت الاستمرارية في آيات الله الكثيرة، وجاء التضام في (السماواتِ والأرضِ)، ثم الإحالة المشتركة بضمير الجماعة الواو على العنصر الإشاري الناس الوارد سابقا في (يمرون، معرضون) وضمير الغيبة

1 - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج5، ص61.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص649. وانظر الزمخشري، الكشاف، ج2، ص500.

المنفصل (هم)، فالعنصر الإشاري المحال عليه داخل وخارج النص، وهو المقصود بالدلالة في كل زمان ومكان، وخلال ذلك تدخل الضمائر المحيلة على العنصر الإشاري (آية) في (علَيها، عنْها) إحالات نصية داخل الجملة من حيث اللفظ ومقامية من حيث الدلالة، ومن أدوات الربط واو الاستئناف والعطف، والحال في (وكأين، السماواتِ والأرضِ، وهم عنْها معرِضون).

أخذ الترابط يتجه إلى الموضوعات النصية داخل القرآن الكريم من خلال الإحالات بالضمائر، فالقرآن يمثل نصا واحدا، فالوحدة الإحالية في الآية، لا تحيل على عنصر إشاري داخلها إنما على عنصر إشاري في عموم نص القرآن وخارجه فالإحالة مشتركة، لأن الضمير المتصل والمنفصل في (يمرون علَيها وهم عنْها معرِضون) يحيل على الخارجين عن طاعة الله، وهذا العنصر الإشاري مذكور في سور كثيرة من القرآن، والذوات التي يقوم بها العنصر الإحالي؛ يعوض عنها، حاضرة في كل زمان ومكان، وهم: الكافرون، والمشركون، والمنافقون ...الخ.

الآية السادسة بعد المائة: ﴿ وما يؤْمِن أَكْثَرهم بِاللّهِ إِلا وهم مشْرِكُون ﴾

بدأت الآية الكريمة بأداة الوصل الإضافي واو العطف، وعطفت على السابق، ثم الإحالة المشتركة بالضمير المتصل في (أَكْثَرهم) على العنصر الإشاري الناس؛ مشركي قريش، وهم من الناس الوارد ذكرهم في الآية الثالثة بعد المائة، والإحالة بالضمير المنفصل (هم) إحالة مشتركة، ليتم ربط الناس بحالهم وصفاتهم من الشرك بالله في عموم القرآن نصيا، وخارجه مقاميا، وعملت واو الحال على الربط في الآية، وتكرر ضمير (هم) متصلا في (أَكْثَرهم) ومنفصلا في (وهم مشْرِكُون).

الآية السابعة بعد المائة: ﴿ أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيهم غَاشِيةٌ من عذَابِ اللّهِ أَو تَأْتِيهم الساعةُ بغْتَةً وهم لاَ يشْعرون ﴾

يستمر الحديث عن المشركين والإحالة عليهم إحالة مشتركة بضمير المخاطبين الواو في (أفأمنوا) وضمير الغائبين هم في (تَأْتِيهم غَاشِيةٌ) و(تَأْتِيهم الساعةُ)، وقد تكرر الفعل (تأتيهم) للتأكيد والتذكير وتستمر الإحالة من خلال الضمير المنفصل (هو) وضمير المخاطبين الواو في (يشعرون).

جاء الترابط على مستوى الجملة (الآية) من خلال أدوات الاتساق اللفظية المتمثلة بالوصل الإضافي بالفاء في (أَفَأَمِنُواْ) و أو في (أو تَأْتِيهم)، ثم واو الحال في (وهم) لتربط الحال بصاحبها.

في هذه الآية كسابقتها الترابط يتجه داخل نص القرآن من خلال الإحالات بالضمائر، فالقرآن نص واحد، فالوحدة الإحالية في الآية لا تحيل على عنصر إشاري معين داخلها إنما على عنصر إشاري في عموم القرآن وخارجه، على سبيل الإحالة المشتركة، فالضمير المتصل والمنفصل في (أَفَأَمِنُواْ، تَأْتِيهم، وهم لاَ يشْعرون)، يحيل على من خرج عن طاعة الله وأشرك به. وفيهم فصل القرآن الحديث.

الآية الثامنة بعد المائة: ﴿ قُلْ هـَذِهِ سبِيلِي أَدعو إلى اللّهِ علَى بصِيرةٍ أَنَاْ ومنِ اتبعنِي وسبحان اللّهِ وما أَنَاْ مِن الْمشْرِكِين ﴾

أحالت الآية على عنصر إشاري نصي عام؛ سبيل، من خلال اسم الإشارة (هذه)، وفُسرت السبيل بالدعوة إلى الله [1]. وهي إحالة نصية عامة لأن القرآن كله دعوة لله، وقد أشارت الآية الرابعة بعد المائة إلى ذلك بالإحالة النصية العامة بضمير الغائب الهاء في قوله تعالى: (وما تَسأَلُهم علَيهِ مِن أَجرٍ)، فالضمير المتصل في (علَيهِ) يحيل على معنى السبيل إحالة نصية.

نلحظ في الآية أن الإحالات النصية تركزت على المرجع الإشاري محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اعتبر مرجعا إشاريا؛ لأنه عليه السلام هو المقصود بهذه السورة وغيرها فقد تليت سورة يوسف لسيدنا محمد عليه السلام، وجاءت هذه الإحالات بضمير المتكلم في (سبِيلِي، اتبعنِي) وفي الضمير المستتر (أنا) في (أَدعو) وفي ضمير المتكلم المنفصل (أَنَاْ) في قوله تعالى: (أَنَاْ ومنِ اتبعنِي) و قوله تعالى: (وما أَنَاْ مِن الْمشْرِكِين). وجاء الوصل بواو العطف ليربط الجمل الفرعية في الآية نحو قوله تعالى: (أَنَاْ ومنِ اتبعنِي) و (وسبحان اللّهِ) و (وما أَنَاْ مِن الْمشْرِكِين).

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج2، ص653. وانظر الدرويش، إعراب القرآن الكريم، مج5، ص 68.

وأحال الاسم الموصول (من) في قوله تعالى: (ومن اتبعني) على عناصر إشارية داخل نص القرآن الكريم، فالذين اتبعوا الرسول عليه السلام هم المؤمنون الذين ترد صفاتهم في عموم نص القرآن، فالعناصر الإحالية كوحدة إحالية تحيل نصيا داخل سورة يوسف، والسور الأخرى في القرآن الكريم.

الآية التاسعة بعد المائة:﴿ وما أرسلنَا مِن قبلِك إلا رجالاً نوحِي إليهم من أهل القُرى أفلَم يسِيروا فِي الأرض فَينظُروا كيفَ كان عاقِبةُ الذِين مِن قَبلِهم ولَدار الآخِرةِ خَير للذِين اتقَوا أفَلا تَعقِلُون ﴾

منذ أن بدأ الخطاب يعود إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أخذت الإحالات المشتركة تغلب على إحالة الجملة النصية، والمقطع النصي، وهي دليل على عالمية هذا الدين فالمخاطبون به ليسوا فئة بعينها بل البشرية جمعاء.

سارت الإحالات في الآية على النحو التالي: الإحالة إلى منتج النص سبحانه وتعالى بضمير المتكلم في (أرسلنَا)، ثم الإحالة على متلقي النص رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام بضمير المخاطب في (قبلِك) وتجدر الإشارة إلى أن الإحالة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لم تكن ابتداء من هذه الآية الأولى بعد المائة، بل أحالت الضمائر على سيدنا محمد عليه السلام في بداية السورة في الآية الثالثة بقوله تعالى: (نَحن نَقُص علَيك أحسن الْقَصصِ بِما أوحينَا إِلَيك هـذَا القرآن وإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِن الْغَافِلِين) ومن هنا نرى أن السورة ليست موضوعا مستقلا عن موضوعات القرآن الأخرى، فالجزء الأول منها ارتبط بعموم القرآن من خلال الإحالات النصية العامة، والجزء الثاني وهي قصة يوسف ترابط داخليا، وأرسلت إحالات على عناصر عامة مشتركة موجودة بين مكونات نص القرآن. والجزء الثالث ارتبط بالجزء الثاني والأول كما ارتبط بعموم نص القرآن.

بدأت الآية بالإحالة إليه سبحانه وتعالى، كما أحالت أولى آيات السورة إليه سبحانه وتعالى بالضمير المتصل (نا) في قوله تعالى: (إِنا أنزلْنَاه قُرآنًا عربِيا لعلكُم تَعقِلُون)، وتتابعت الإحالات المقامية إليه تعالى في (نوحِي) بالضمير المستتر، وتنتقل الإحالة المقامية إلى أنبيائه السابقين من خلال ضمير الغيبة في (إليهم) وتحيل

الضمائر على من كذب سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالضمير المتصل في (يسيروا، فينظروا، قبلهم تعقلون).

ويحيل ضمير المخاطبين في (اتقوا) واسم الإشارة (الذين) على أهل الكفر، وأما اسم الإشارة (للذين) فيحيل على المتقين، وعملت الظروف محيلات مقامية في مثل: (قبلك، قبلهم) فالأولى أحالت على أنبياء الله تعالى واقترنت بالضمير المحيل على محمد عليه الصلاة والسلام، وبذلك يستمر ارتباط الآية مع الآيات السابقة لارتباط العناصر الإحالية بعنصر إشاري واحد في هذه الآيات محمد عليه السلام. والثانية أحالت على أهل الكفر واقترنت بالضمير المحيل على أهل الكفر.

توسعت الإحالة في الآية بالإحالة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وعلى الرسل الآخرين، فهناك تسلسل إحالي، فمن الإحالة النصية العامة العائدة على الكتاب وآياته، وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى الإحالة النصية المقطعية على سيدنا يوسف، وبعد الانتهاء من القصة عادت الإحالات إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ثم إلى المرسلين لتحقق الإحالات التماسك داخل نص القرآن، وفي خلال ذلك كله ترد الإحالات المقامية إلى الله سبحانه وتعالى عامل النصية الأول (عامل الإحالة الرئيسي)، فهو منتج نص القرآن، كما أن القرآن معنى ومبنى هو النص، وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام المتلقي، والوحدات الإحالية في الآية تحيل على عناصر إشارية داخل وخارج النص، فارتباطها مشترك.

عملت أدوات الوصل على ترابط الآية مع ما سبق فالواو حرف عطف، كما عمل الاستئناف من خلال الواو الاستئنافية على الترابط داخل الجملة، وكذلك حرف العطف الفاء في (أفلم، أفلا).

الآية العاشرة بعد المائة: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾

بعد أن توجه الخطاب إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام جاء الخطاب هنا ذاكرا الرسل الآخرين على سبيل الاعتبار منهم أيضا، والبشرى بالتمكين لدين الله من خلال الإحالات على الرسل مقاميا بعدة ضمائر في قوله تعالى: (وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم)، ومن هؤلاء الرسل سيدنا يوسف، ونجد الإحالة المقامية إليه تعالى

بالضمير المتصل والمستتر في (نَصرنَا، نشَاء، بأْسنَا)، ومن الإحالة المقامية الاسم الموصول (من) في قوله تعالى (من نشاء)، وعملت أدوات الوصل على الربط الداخلي في الآية نحو واو العطف في (وظَنوا) وفاء العطف في (فَنُجي) وواو الاستئناف في (ولاَ يرد) .

الآية الحادية عشرة بعد المائة:﴿ لقَد كَان فِي قَصصِهِم عِبرةٌ لأولي الأَلْبابِ ما كَان حدِيثًا يفْتَرى ولَـكِن تَصدِيقَ الَّذِي بين يديهِ وتَفْصِيلَ كُلَّ شَيءٍ وهدى ورحمةً لقَومٍ يؤْمِنُون ﴾

وتختم السورة بذكر الهدف من القصص وهي العبر، ويعمل عنصران من عناصر الاتساق في هذه الخاتمة بشكل مشترك على تماسك النص في الموضوع النصي لسورة يوسف وبقية الموضوعات النصية في إطار نص القرآن الكريم وهما: الإحالة بالضمير والتكرير المعجمي، إذ وردا معا في (قَصصِهِم) فجاءت لفظة قصص تكريرا معجميا تأكيدا للقصصية الواردة في قوله تعالى (نَحن نَقُص علَيك أَحسن الْقَصصِ بِما أوحينَا)، وجاءت عنصرا معجميا إحاليا على القصص المذكور وغير المذكور في القرآن، وأضيف إلى العنصر الإحالي الضمير المتصل (هم) فأحالا معا مقاميا ونصيا (إحالة مشتركة)؛ أما مقاميا فقد أحالا على عناصر إشارية غير لغوية خارج نص القرآن وهم أنبياء لهم قصص وخبر مع أقوامهم، أنجى الله تعالى المؤمنين منهم وأهلك الكافرين، ورسل لم تذكر لهم قصص في القرآن، كما أخبر سبحانه وتعالى فقال: (ورسلاً قَد قَصصنَاهم علَيك مِن قَبلُ ورسلاً لم نَقْصصهم علَيك وكَلم اللّه موسى تَكْلِيما)[1]. أما الإحالة النصية؛ لأن سيدنا يوسف عليه السلام أحد هؤلاء الأنبياء الذين ذُكرت قصصهم في القرآن، وقام الضمير (هم) أيضا بوظيفة نحوية دلالية إذ عرف وعدى العنصر المعجمي (قصص) من التكرير إلى الإحالة ليشير إلى قصص أنبياء آخرين.

في الآية كما في آيات أخرى تبادل إحالي دلالي بين العناصر الإحالية، وهذا التبادل فيه التفات، لأن "الالتفات متصل بالدلالة التي يحملها النص وعندئذ تتآزر

1 - سورة النساء آية، 164.

البنية اللسانية للنص والبنية الدلالية المحمولة على كاهل تلك البنية اللسانية ويصبح أي تغيير في المستوى اللساني مؤشرا على تغيير في المستوى الدلالي"[1]. ومنه ما كان بين العنصر المعجمي (قصص) والضمير المتصل به، ومن التآزر الإحالي، ما يجري مجرى الالتفات ، ما كان بين الضمير واسم الإشارة في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)[2]. فتم الانتقال من اسم الإشارة إلى الضمير بخصوص العنصر الإشاري قصة يوسف.

العنصر الاتساقي قصص مثل نوعين من عناصر الاتساق: الأول: عنصر معجمي إحالي على نوعين من الإحالة: نصية ومقامية (مشتركة). أما الثاني: فقد جاء يمثل التكرير؛ لأن (قصص) هنا تحمل نفس الدلالة للفظة قصص الواردة في الآية الثالثة، وهي في ذلك تشترك دلاليا مع العنصر الإحالي ضمير الغيبة هم، وفي ذلك اشتراك لعنصرين اتساقيين في الوظيفة النحوية الدلالية، وأدى اتصال العنصر المعجمي بالعنصر الإحالي إلى:

أولا: الاتساق داخل سورة يوسف أحد موضوعات نص القرآن الكريم بالتكرير المعجمي من ناحية، وربط السورة إحاليا مع الموضوعات النصية الأخرى في القرآن الكريم، التي ذكرت فيها قصص أخرى.

ثانيا: أدت إضافة العنصر المعجمي قصص إلى العنصر الإحالي ضمير الغيبة المتصل (هم) إلى تعريف العنصر المعجمي، فدل لفظ قصص على قصص الأنبياء وليس أي قصة، وعداه معجميته؛ فالتعريف بالضمير أكسب العنصر المعجمي (قصص) مطابقة دلالية مع العنصر الإحالي ضمير الغيبة هم، فدل لفظ قصص على ما دل عليه الضمير، فأبعد مدى الإحالة وخصصها، فأحال العنصر المعجمي مقاميا ونصيا (إحالة مشتركة).

وأحالت الآية على القرآن الكريم بالضمير المستتر (هو) في الفعلين: كان ويفترى، في قوله تعالى: (ما كان حديثًا يفْتَرى)، ويعود الضمير على القرآن

1 - الرواشدة، في الأفق الأدونيسي، ص 105.

2 - سورة يوسف، آية102.

الكريم[1]. وقصة يوسف من أحاديث القرآن الكريم في سورة يوسف، وسورة يوسف جزء من القرآن الكريم بدليل الإحالات من السورة من مختلف مقاطعها على عناصر إشارية مختلفة في القرآن الكريم، وفي ذلك دليل على أن القرآن الكريم نص واحد.

قام الوصل الإضافي بالواو بالربط بين الفعلين: يفترى، وتصديق، بعد نفي الافتراء عن القرآن واثبات الصدق بأداة الوصل العكسي (لكن) في قوله تعالى: (ما كان حدِيثًا يفْتَرى ولَـكِن تَصدِيقَ الذِي بين يديهِ)، وتم ربط ما جاء في القرآن مع ما صح في الكتب السماوية الأخرى، فالاسم الموصول (الذي) يحيل على ما صح في الكتب السماوية السابقة إحالة مقامية، وعمل الوصل الإضافي على الربط الداخلي للجملة باستخدام واو العطف في (ولَـكِن، وتَفْصِيلَ، وهدى، ورحمةً) ففي القرآن الكريم تفصيل يرد في ثناياه، وهدى ورحمة.

وعند مراجعة الإحالات في هذه الآية نجدها تربط آخر السورة بأولها، عدا الربط مع بقية نص القرآن؛ فالإحالة على القرآن بالضمير المستتر في قوله تعالى: (ما كان حدِيثًا يفْتَرى) إحالة على الكتاب وآياته، وهو القرآن، الوارد ذكره في الآية الأولى والثانية والثالثة قال تعالى: (الر تِلْك آيات الْكِتَابِ* الْمبِين إِنا أَنزلْنَاه قُرآنًا عربِيا لعلكُم تَعقِلُون* نَحن نَقُص علَيك أَحسن الْقَصصِ بِما أوحينَا إِلَيك هـذَا القرآن وإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِن الْغَافِلِين)، وفي لفظة قصص ارتباط لآخر السورة بأولها وفيها إحالة وتكرير.

عملت الإحالات بصفة رئيسية على ربط سور القرآن عن طريق التبادل الإحالي، ولا يعني ذلك أن كل آية أو مقطع في القرآن يحيل على الآخر إحالات جزئية، إنه تبادل إحالي شبكي؛ أي أن بعضه يحيل على كله، وسورة ما تحمل إحالة تعود على عنصر أو أكثر في سورة أخرى والأخيرة بدورها تحيل على غيرها وتعود الإحالة من الأخيرة أو غيرها على الأولى وهكذا، فنص القرآن بناء واحد كل سارية فيه تزيد من قوة الأخرى، وفي عودة العناصر الإحالية على العنصر

---

1 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص502.

الإشاري المقامي منتج النص الله سبحانه وتعالى؛ عامل الإحالة الرئيسي – وحدة لنص القرآن عدا العوامل الأخرى الدلالية واللفظية.

وأخيرا فان سورة يوسف جزء من نص القرآن الكريم، تماسكت معه بعناصر الاتساق في إطار نحو النص، وهذه العناصر موجودة في الأصل تحت مسمى الروابط في نحو الجملة، والفرق بين المسميين طبيعة الدرس اللغوي الذي كان يعتمد نحو الجملة حتى وقت قريب، وتطور حديثا ليشمل النص، وتغيرت المفاهيم التقليدية من حيث المضمون لا الشكل.

الفصل الرابع

نتائج الدراسة

من خلال تحليل أثر عناصر الاتساق اللفظية في تماسك النص في سورة يوسف تبينت النتائج التالية:

1.4 الجانب النصي

أولا: أكدت الدراسة أن القرآن الكريم نص واحد متسق لغة، بدلالة تبادل الإحالات الشبكي بين موضوعاته النصية، إذ يحيل عنصر إحالي أو عناصر على عنصر إشاري أو عدة عناصر إشارية في سورة أو عدة سور أخرى، والسورة أو السور الأخرى تحمل عنصرا إحاليا واحداً أو أكثر يعود على عناصر إشارية في سور أخرى، ويحيل عنصر إحالي على عنصر إشاري نصي أو معجمي عدا عن وجود عناصر الاتساق الأخرى، والعامل الأول في وحدة نص القرآن الكريم منتجه سبحانه وتعالى عامل الإحالة الرئيسي، ووحدة النص واتساقه لغويا نتيجة منطقية لوحدته دلاليا، فالدال يدل على المدلول، (انظر الأشكال "و" "ز" "ح" "ط" "ف" ص227، 228، 229، 230، 238).

ثانيا: النص هو اكتمال الدلالة الجامعة باستخدام الشكل اللغوي المناسب، ابتداء من الجملة النصية على تخير من الألفاظ إلى المقطع النصي إلى الموضوع أو الموضوعات ثم النص بتمام الفكرة. قال تعالى: (الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُم الإِسلاَم دِينًا)[1]. فقد اكتملت فكرة الإسلام بلسان عربي مبين.

ثالثا: **النص نوعان**:

نص موجود: وهو الموجود وجودا دلاليا ولفظيا. ومثَلُه الأول القرآن الكريم.

نص منْوي: وهو ما وجدت بعض جمله النصية لفظا، ونويت كل دلالته. فيدرك كله من بعضه، كما تَطْلب الطبيب لإسعاف المريض، فأنت تطلبه بجملة أو بعض الجمل

1- سورة المائدة، آية 3 .

النصية، وتستغني عن شرح بقية الدلالة المقصودة، لأن الطبيب يفهم بقية النص، فإذا جاءك الممرض أوضحت عن حالة المريض باللفظ أكثر؛ لأن الممرض أقل معرفة من الطبيب، وإذا أتاك من يجهل المعرفة الطبية أَقَضتَ عليه من الجمل النصية حتى تتضح الفكرة، فالنص المنْوي يتطلب ثلاثة عناصر لنصيته:

1. المتلقي بما لديه من استعداد إدراكي لفهم النص من بعض جمله.
2. منتج النص.
3. الوسط الناقل: مكتوب أو ملفوظ، والملفوظ في هذا النوع أكثر من المكتوب.

رابعا: النص بأثر الإحالات نظريا أربعة أنواع:

1. نص مصمت: وهو نص لا يستقبل ولا يرسل الإحالات، وهو افتراضي لم يختبر في هذا البحث (انظر الشكل "م"، ص234).
2. نص مرسِل: وهو النص الذي يرسل الإحالات على النصوص الأخرى ولا يستقبل من غيره (انظر الشكل "ن"، ص235).
3. نص مستقبِل: وهو النص الذي يستقبل الإحالات ولا يرسلها، وعلامة ذلك عدم التواصل اللغوي مع غيره من النصوص الأخرى، فهو يغلق على نفسه ويستقبل فقط، وأكثر العلامات اللغوية التي تحكم العلاقات التواصلية الدلالية بين النصوص هي الإحالات (انظر الشكل "س"، ص236).
4. نص مفتوح: وهو النص الذي يرسل الإحالات على النصوص الأخرى ويستقبل منها (انظر الشكل "ع"، ص237).

خامسا: الموجهات في نحو النص عمد وفي نحو الجملة فضلات، فعلاقة الإسناد في نحو النص من غير الموجهات هياكل لغوية لا دلالة لها.

سادسا: المعنى (الدلالة) والمبنى، روح وجسد. فالدلالة لا تدرك من غير مبنى أيا كان المبنى؛ والمباني المقصودة في البحث والمتعارف عليها هي اللغة المكتوبة. والمبنى النصي لا يقوم له وجود من غير الدلالة، قد يعمد المنتج إلى جمل غير نصية، لكن لا وجود لنصوص مكتوبة من دون دلالة مقصودة.

سابعا: حد الجملة النصية تمام معناها نصيا؛ فمعنى الجملة في النص مرتبط بالدلالة الجامعة، فالجمل النصية جزء من النص، تؤدي معنى جزئيا من معاني النص، والجملة النصية على ذلك قد تتكون من تركيب نحوي دلالي واحد (جملة بسيطة)، أو تتكون من أكثر من تركيب، وهي الجمل الفرعية (جملة مركبة).

ثامنا: إذا كانت المفردة لبنة الجملة، وسياق الجملة يحدد معناها، ويخرجها عن معجميتها الأولية، فالجملة النصية لبنة النص، والنص يحدد معناها، ووجهتها الدلالية، وقد تستعار الجملة من نص إلى آخر ولكن تبقى تحتفظ بسمة من الدلالة الأصلية، وقد تدخل في تكوين نصي جديد بدلالة جديد (فكرة) وبذلك تنتفي عنها نصيتها الأولى، لأن السياق الدلالي هو من يعطي للتركيب معناه.

تاسعا: الجملة بناء على الدلالة الجامعة نوعان: نصية، وغير نصية: (انظر الشكل "ب"، ص223).

الجملة النصية: هي الجملة المرتبطة بالنص؛ أي الدلالة الجامعة، وهي نوعان:

1. جملة نصية توليدية: وهي الجملة التي تحمل دلالة عامة أو فرعية (مقطعية) في النص، يتولد عنها جمل نصية قد تشكل مقطعا أو عدة مقاطع نصية نحو قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يوسفُ لِأَبِيهِ يا أَبتِ إِني رأَيتُ أَحد عشَر كَوكبا والشمس والْقَمر رأَيتُهم لِي ساجِدِين)[1]. فهي تحمل طاقة دلالية توليدية كبيرة، فتحقيق الرؤيا استوجب معظم أحداث القصة، والتعبير عنها تطلب توليد جمل نصية كثيرة.
2. جملة نصية ساكنة: وهي الجملة التي تحمل معنى نصيا أوليا، ليس فيه دلالة توليدية. نحو قوله تعالى: (وجاء إِخْوةُ يوسفَ فَدخَلُواْ علَيهِ فَعرفَهم وهم لَه منكِرون)[2]. والجملة النصية الساكنة قابلة لمفارقة نصها أكثر من الجملة النصية التوليدية. ويظهر ذلك في النصوص الوضعية جليا.

1- سورة يوسف، آية 4.

2- سورة يوسف، آية 58.

الجملة غير النصية نوعان:

1. جملة نظام مستقلة: وهي الجملة التي تمثل التركيب النحوي مقطوع الدلالة، أو تحمل معنى ذاتها فقط؛ لا ترتبط بفكرة نص، كالجمل التي تستخدم في التعليم نحو: (قام زيد) و (زيد قائم).
2. جملة تركيب (شكلية): وهي جملة تمثل التركيب النحوي عديم الدلالة والاستعمال، بعيدا عن الاستعمال البلاغي، ولا ترتبط بنحو النص، نحو: (قعد الماء مهرولا في نفسه).

عاشرا: الجملة تختلف عن النص في الخصائص والعلاقات التركيبية، فعلاقات النص تقوم على روابط تركيبية أبعد مدى من روابط الجملة بنوعيها، وهي عناصر الاتساق، وأهمها الإحالات، وإن كانت الروابط في نحو النص هي نفسها في نحو الجملة، وتكون بين الجمل النصية، وبين المقاطع والموضوعات النصية؛ أي تعمل في جميع أجزاء النص (انظر شكل "ز" "ح" "ط" "ف" ص 228، 229، 230، 238).

الحادية عشرة: الدور البلاغي يعمل على دمج الجمل غير المنطقية في النص من ناحية الصدق الفني، فسجود الكواكب والشمس والقمر في قصة يوسف عليه السلام، يحتاج للفهم البلاغي حتى تستقيم دلالته منطقيا.

الثانية عشرة: الدلالة الجامعة (الفكرة) تولد في الذهن البشري دون قيد، والجمل توليد مقيد للألفاظ من قبل المنتج. فالفكرة تولّد ذهني عميق، ومن الفكرة تتولد أفكار فرعية أو توضيحية للفكرة الرئيسية وإذا ما أراد صاحب الفكرة إبراز فكرته إلى حيز الوجود، استعان باللغة يختار منها ما يصلح لتوضيح أفكاره، متوسعا أو يقدم فكرته الأساس بمختصر العبارة، كما في بعض الجمل الجوامع في القرآن والسنة، أو الحكم والأمثال شعرا ونثرا، والمنتج في تعامله مع الألفاظ يتخير بما يخدم الدلالة.

الثالثة عشرة: العلاقة بين الدلالة واللفظ في تشكل النص علاقة عكسية؛ فالنص يتشكل من فكرة جامعة ثم تتولد لها الأفكار الفرعية، فالتشكل الدلالي يبدأ من الكل وينتهي إلى الجزء. أما التشكل اللفظي للنص فيبدأ من الجزء وينتهي إلى الكل؛ إذ

يبدأ من الجملة على تخير من الألفاظ وظيفيا ثم تتعالق الجمل بروابطها إلى أن توفي للنص فكرته (انظر الشكل "ي" و "ك"، ص231، 232).

الرابعة عشرة: يبنى النص بعنصرين اساسيين هما:

أ- المنتج بفكرته: فالمنتج هو من يضع النص ويصنع تماسكه النصي، ويقيم له العلاقات الدلالية واللغوية، والنص بالنسبة لمنتجه خطاب تام غني عن التأويل. ولا يحتاج للمتلقي حتى يتحصل على صفة النصية أو الخطاب، وإن بقي بين دفتي كتاب لم يطّلع عليه متلق.

ب- الوسط الناقل (اللغة): وهي وعاء الدلالة، بها تنقل الأفكار من جيل لآخر.

أما المتلقي فله أن يأخذ بالنص كما هو لوضوحه وعدم الحاجة إلى التأويل، وإما أن يتلقى النص تأويلا؛ لغرض في نفسه أو نفس المنتج، أو لضعف في الأداء اللغوي في النص (عناصر الاتساق)، فيعيد المتلقي تشكيل الخطاب بوحي من النص، أو بغير ذلك، وقد يعمد المتلقي إلى التأويل بغير وعي فيحبط النص، فالمتلقي إما متلقٍ إيجابي وإما سلبي.

الخامسة عشرة: من منظور عام وبعيدا عن التفصيلات تعد اللغة عنصرا إحاليا والدلالة عنصرا إشاريا، فاللغة وقفا واصطلاحا من دون الدلالة لا معنى فيها يفسرها.

2.4 الجانب التطبيقي لعناصر الاتساق اللفظية

أولا: الروابط اللغوية في الجملة على نوعين: بيانية ولفظية، واللفظية منها ما يعمل داخل الجملة فقط ومنها ما يعمل داخل الجملة والموضوع النصي، وهذه مدار البحث، وفيها تفصيل سبق في التحليل. وتعرف بعناصر الاتساق النصي.

ثانيا: توفر الجامع الدلالي (الفكرة) للنص يعني منطقيا اتساق النص. فالدلالة أقوى الروابط، والوجود الدلالي سابق للوجود اللفظي؛ ووجود العنصرين الإحالي والإشاري مرهون بالوجود الدلالي ووجود العنصر الإحالي مرهون بوجود العنصر الإشاري.

ثالثا: توفر عناصر الاتساق النصية تضعف التأويل في النص وتقلل من دور المتلقي في تشكيل النص أو الخطاب مرة ثانية، وهي في سورة يوسف كافية أدت إلى التماسك النصي بشكل جلي.

رابعا: العناصر الإحالية لا تحيل إلا على عنصر إشاري اسمي، والعنصر الإشاري موضع الإحالة إما يكون اسما مفردا أو مؤولا اسميا، فاسم الإشارة هذا في قوله تعالى (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا)[1]. قام بالإحالة النصية الموسعة على مضمون مقطعه؛ وهو المراودة أو حدوث المراودة أو مراودة امرأة العزيز ليوسف، ولا نقول في المسمى؛ العنصر الإشاري أحال على: قامت امرأة العزيز تراود يوسف عن نفسه. ونحو قوله تعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)[2].

خامسا: العناصر الإحالية تتآزر فيعود أكثر من عنصر إحالي على عنصر إشاري. وفي ذلك اختصار وتكثيف للدلالة. كما في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)[3]. (انظر تحليل الآية 102، ص185-187، والآية 111، ص193-196).

سادسا: الإحالات ثلاث: المقامية، والنصية، والمشتركة، وكلها يحكمها العنصر الإشاري، فإذا كان داخل النص فالإحالة نصية، وإذا كان خارج النص فمقامية، وإذا كان العنصر الإشاري داخل النص ودل على ما هو خارج النص فالإحالة مشتركة (انظر تحليل الآيتين 103، 104، ص187-188). والإحالة النصية من حيث موقع العنصر الإشاري ثلاثة أنواع:

1. إحالة داخل الجملة النصية: إذا كان العنصر الإشاري داخل الجملة النصية وأحيل عليه من داخلها، كالإحالة على العنصر الإشاري الخبز في قوله تعالى: (وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ)[4].

---

1 - سورة يوسف، آية 29.

2 - سورة يوسف، آية 102.

3 - سورة يوسف، آية 102.

4- سورة يوسف، آية36.

2. إحالة داخل المقطع أو مقاطع الموضوع النصي: وهي عودة العنصر الإحالي على العنصر الإشاري المعجمي أو النصي (مضمون مقطع أو مقاطع) في مقطعه أو مقاطع أخرى في الموضوع النصي. (انظر الشكل "د" و "هـ" و "و"، ص225، 226، 227)

3. إحالة نص عامة: وفيها يعود العنصر الإحالي على عنصر إشاري يمثل عموم النص، أو عموم أجزائه، كاسم الإشارة في الآية الأولى من سورة يوسف، أو الإحالة باسم الإشارة ذلك، في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)[1]. (انظر الشكل "ط"، ص230).

سابعا: أهم عناصر الاتساق في ترابط النص الإحالات، فأثرها الدلالي واسع وبعيد المدى، يشمل جميع النص، ويخرج إلى المقام الخارجي، وهي أقدر عناصر الاتساق على الاختصار والإيضاح، ويليها التكرير عنصر الاتساق المعجمي، ومداه الدلالي لا يتجاوز حد النص، ثم التضام وهو أضيق مدى، ولكن أثره الدلالي أكثر من التكرير.

أما الوصل فعامل اتساق داخل الجملة النصية في الأغلب وبين الجملة والأخرى، وهو كثير الاستعمال. وأكثر أنواعه استخداما الوصل الإضافي، وأكثر أدواته دورانا في النص حرف العطف الواو ثم الفاء. والنوع الثاني: الربط السببي من خلال الشرط وأدواته. (انظر تحليل الآية 31، ص139-141).

أما الاستبدال فعامل اتساق نصي قليل الاستخدام. وأما الحذف آلية المنتج في النص به يختصر ويوجز ويعطي المتلقي دورا في إنتاج النص من جديد، لكن أثر الحذف على الاتساق يكاد ينحصر في حدود الجملة، إلا ما كان من تقدير المتلقي للمحذوف اعتمادا على فهمه للسياق، ويكثر الحذف النصي في النصوص المنوية، والحذف بناء على مفهوم النص نوعان: حذف على مستوى الجملة وآخر على مستوى النص.

---

1 - سورة يوسف، آية 102.

ثامنا: عناصر الاتساق في النص تكشف عن نصيته وخاصة العناصر الإحالية، وهذا ما تثبته الدراسة من خلال سورة يوسف، وقد بدا ذلك من الآية الأولى. (انظر الشكل "ط"، ص230)

تاسعا: النصوص ذات الموضوعات النصية المتعددة إن خلت من الروابط اللغوية النصية يصعب إدراك ترابطها. وتفقد الدلالة الجامعة بينها، فالعلاقة بين المبنى والمعنى علاقة جدلية تلازمية، فلا نتيجة بلا سبب ولا سبب بلا نتيجة.(انظر الشكل "هـ" و "ط"، ص226، 230).

عاشرا: العناصر الإحالية ترتبط بالعناصر الإشارية بعلاقة طردية بأثر الدلالة، فالعنصر الإشاري محور الدلالة في الجملة النصية يزداد عدد العناصر المحيلة عليه أكثر من العناصر الإشارية الأخرى، فيوسف عليه السلام عادت عليه أكثر الإحالات، وإذا كان العنصر الإشاري مساويا لغيره من العناصر الإشارية في الدلالة تساوى معها أو تقارب في عدد العناصر المحيلة عليه في الجملة النصية والنص. (انظر تحليل الآية 54،ص 156 وغيرها).

الحادية عشرة: من ميزات استخدام العناصر الإحالية، وعناصر الاتساق الأخـرى الاختصار والاقتصاد في:

1. اختصار الحيز النصي، كاختصار حجم الكتاب أو الصفحات الالكترونية على شبكة الاتصال العالمية (الأنترنت)، وهذا الاختصار يدخل ضمن اهتمام الناشرين.
2. اختصار مكونات التركيب اللغوي للجملة واقتصاد في الجهد المبذول لإيصال الفكرة للمتلقي عوضا عن الإطالة المشتتة للمتلقي. واقتصاد في الوقت على القارئ خصوصا في زمن السرعة، وكثرة واتساع المعارف بأنواعها، ولعلها من ميزات اللغة العربية التي تجعلها تواكب التطورات العصرية، وهنا يبرز دور الضمائر وما تقوم به من إحالات داخل النص وخارجه لتوفر على المرسل والمتلقي الوقت والجهد.
3. كلها تؤدي إلى الإيجاز هدف البلاغة العربية، والإحالات أكثرها تحقيقا لذلك؛ وأقدرها على ربط الدلالة بالمدلول، فسورة الإخلاص حملت دلالة التوحيد لله

تعالى، وإذا تم استعراض عناصر الاتساق في بيان التوحيد في سورة الإخلاص نجد أن الإحالة بالضمائر هي العنصر الإحالي الأول الذي استخدم في تقديم دلالة التوحيد، ثم العنصر الإحالي المعجمي لفظ الجلالة الله الذي يشير إلى مقام الألوهية. يقول تعالى: (قُلْ هو الله أَحد* الله الصمد * لَم يلِد ولَم يولَد * ولَم يكُن له كُفُوا أَحد).

4. منع اللبس الدلالي في التركيب النحوي في الجملة النصية. فمثلا جملة: جاء أبو عبد الله ومحمد. لا يمكن حذف الرابط اللغوي (الواو) فيها إذا كانت ضمن نص جملته النصية تتطلب معنى المجيء من العنصرين الإشاريين أبو عبد الله ومحمد، لأن المعنى يختل في حال رفعها من الجملة، والاكتفاء بالرابط البياني على نحو: جاء أبو عبد الله محمد. فهذا تركيب نحوي يؤدي إلى علاقة ومعنى جديدين؛ علاقة البدل، ووحدة المدلول، ومن هنا يتبين لنا أهمية الروابط اللغوية اللفظية في نحو النص، وأثرها في تماسك النص.
5. تقوم أدوات الوصل الإضافي بتوضيح الخط الزمني في التركيب اللغوي واختصار التركيب اللغوي، فهناك فرق بين الزمن المترتب على استخدام حرف العطف الواو، أو الفاء، أو ثم، في العطف، مثلاً: جاء زيد وعمرو، أو جاء زيد فعمرو، أو جاء زيد ثم عمرو. فزمن الجملة الأولى يفيد التزامن في الوقت والتشارك في الحدث، وفي الجملة الثانية يفيد الترتيب مع التعقيب، وفي الجملة الثالثة يفيد التراخي في وقوع الحدث بعد فترة أطول من الفترة فيما لو استخدم حرف الفاء. وهي كذلك تصب في الإيجاز اللغوي؛ فلو أردنا أن نوضح الزمن في جملة: جاء زيد ثم عمرو، دون استخدام أداة الربط (ثم) لطالت الجملة، على نحو: جاء زيد وبعد أن دخل ومكث وقتا جاء عمرو لاحقا.

الثانية عشرة: الوصل الاتساقي في النص: ما ربط بين الجمل النصية. أما الوصل غير الاتساقي ما قام في الجمل غير النصية، إلّا أنه شكلا يربط بين الجمل الفرعية داخل الجملة النصية وغير النصية. (انظر تحليل الآية 31، ص139-141 والشكل "ج"، ص224).

الثالثة عشرة: يقترح البحث إضافة النداء إلى عناصر الإحالة، لأن النداء يحتاج إلى عنصر إشاري بعينه يرتبط به ويفسره حاله حال الضمير والأسماء الإشارية في افتقارها إلى الذات المفسرة لها. ومن أسباب الافتقار في النداء العامل الصوتي، فالنبر في النداء يدفع باتجاه المنادى وهو العنصر الإشاري. ومنه في سورة يوسف قوله تعالى: (يا صاحِبي السجن)[1] فالنداء إشارة إلى الفتيين.

الرابعة عشرة: أكثر عناصر الاتساق اختصارا لمقاطع النص ودلالة مفصلة الإحالات وبالذات الإشارية الاسمية. أما أكثرها قدرة على إبراز العناصر الإشارية تخصيصا فهي الضمائر. فاسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: (وكَذَٰلِكَ مكنا لِيوسفَ فِي الأَرضِ يتَبوأُ مِنْها حيثُ يشَاء نُصِيب بِرحمتِنَا من نشَاء ولاَ نُضِيع أَجر الْمحسِنِين)[2]. يشير إلى مجموعة عناصر إشارية نصية (مضامين مقاطع في سورة يوسف). نحو ما حدث ليوسف من إخوته، أو من امرأة العزيز، أو السجن وغيرها من المحن التي مر بها. أما الضمائر فتحيل في الأغلب على عناصر إشارية معجمية، فضمير الغيبة المتصل في (مِنْها) يحيل على عنصر إشاري معجمي هو الأرض من دون تفصيل.

الخامسة عشرة: تكرير الأفعال يتعلق بالحدث، وإن تغيرت العناصر الإشارية المتعلقة به، كتكرير الفعل جاء في قوله تعالى: (وجاؤُواْ أَباهم عِشَاء يبكُون)[3]. وقوله تعالى: (وجاءتْ سيارةٌ فَأَرسلُواْ واردهم فَأَدلَى دلْوه)[4]. فالحدث هو المجيء مع اختلاف العنصر الإشاري المتعلق به، وهو التكرير الجزئي، ويأتي تاما بتكرير الحدث بنفس العنصر الإشاري. نحو جاء في قوله تعالى: (وجاؤُواْ أَباهم عِشَاء يبكُون)[5] وقوله تعالى: (وجآؤُوا علَى قَمِيصِهِ بِدمٍ كَذِبٍ)[6].

---

1 - سورة يوسف، آية 39.

2 - سورة يوسف، آية 21.

3- سورة يوسف، آية 16.

4 - سورة يوسف، آية 19.

5 - سورة يوسف، آية 16.

6 - سورة يوسف، آية 18.

السادسة عشرة: تعمل الأفعال عمل العناصر الإحالية الاسمية على قلة نحو ما جاء في قوله تعالى: (قَالَ ما خَطْبكُن إِذْ راودتن يوسفَ عن نفْسِهِ)[1]. إذ أحال الفعل راود، على مراودة النسوة لسيدنا يوسف عليه السلام عندما قطعن أيديهن، وهذه الدلالة جعلت من الفعل راود عنصرا معجميا إحاليا، فلا معنى له بذاته.

السابعة عشرة: تشترك عناصر الاتساق في أداء وظائفها النحوية الدلالية في النص، فقميص يوسف بحد ذاته تكرير معجمي في قوله تعالى: (اذْهبواْ بِقَمِيصِي هـذَا)[2]. وبسبب من العنصر الجامع بين القمصان الثلاثة حدث الاستبدال. (انظر تحليل الآية93، ص179-180، والآية 111، ص193-196).

الثامنة عشرة: العنصر الإشاري العام موضع إحالة مشتركة على الأغلب. نحو قوله تعالى: (وما يؤْمِن أَكْثَرهم بِاللّهِ إِلا وهم مشْرِكُون)[3]، فالضمير المتصل (هم) والضمير المنفصل (وهم) يحيلان إحالة مشتركة على المشركين ومنهم مشركو قريش.

التاسعة عشرة: الإحالة المقامية في السورة أسهمت في تماسك النص لا إضعافه؛ لأن وجهة العناصر الإحالية المقامية كانت محددة، فهي تعود إلى العنصر الإشاري (عامل الإحالة الرئيسي) منتج نص القرآن سبحانه وتعالى، وأغلب العناصر الإحالية المقامية كانت من النوع المربط (المقيد) التي تعود على الذات الإلهية.

---

1 - سورة يوسف، آية 51.

2 - سورة يوسف، آية 93

3 - سورة يوسف، آية 106.

الخاتمة

إن دراسة التماسك النصي في إطار نحو النص موضوع جديد في عمر اللغة الطويل، وهو بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة حتى تتضح معالمه ويستقر، فما زال الإطار العام له؛ حد النص ومكوناته غير متفق عليه، ومن باب أولى أن تكون تفصيلاته بحاجة إلى تأنٍ لتثبيتها، ومن ذلك عناصر الاتساق التي تعد أهـم الأدوات اللغوية التي بها يعرف التماسك النصي.

وفي هذا الجانب تطرح الدراسة عدة محاولات في الجانب النصي النظـري والتطبيقي في فصل النتائج علها تسهم في التأطير لمفهوم النص وعناصر الاتـساق ومنها: مفهوم النص وأنواعه، ودور الموجهات في بناء الجملة النـصية، وأنـواع الجمل وتقسيم الإحالات لتناسب النصوص ذات الموضـوعات المتعـددة، واقتـرح البحث إضافة النداء إلى عناصر الإحالة، فالعناصر الإحالية واسعة، فإذا اعتبرنـا اللغة دالا على مدلول عام مادي ومعنوي، فاللغة عنصر إحالي والدلالـة عنـصر إشاري.

أدوات الاتساق ليست ابتكارا جديدا في اللغة فهي الروابط في نحـو الجملـة ولكن التطور في الدرس اللغوي أعطاها بعدا جديدا، وأصبح الباحثون ينظرون إلى مدى أثرها في تماسك البنى الكبرى (النصوص) فالدلالة لا تكون إلا بالمبنى وأهـم عوامل التماسك اللفظية للمباني النصية عناصر الاتساق.

إن كان الجانب النظري بخصوص مفهوم النص وتكونه قد نال الاهتمام من قبل الباحثين إلا أن الجانب اللغوي بمكوناته ما تزال الدراسـات فيـه قليلـة غيـر واضحة، وهي نتيجة طبيعة فالنتائج مبنية على المقدمات، ومن الضروري وضـوح الرؤيا لمفهوم النص حتى يتم بناء القواعد اللغوية التفصيلية لنحو النص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأنباري، محمد بن القاسم الأنباري، (1411هـ-1991م)، **الأضداد**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان (ت 646 هـ)، 1989م، **الأمالي**، تحقيق فخر صالح قدارة، دار عمان، الأردن، ودار الجيل، بيروت.

ابن الحاجب جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر النحوي المالكي، (570– 646 هـ)، 1405هـ - 1985م، **كتاب الكافية في النحو**، شرح: الشيخ رضي الدين محمد ابن الحسن الاستراباذي النحوي (686هـ) ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،.

ابن القيم الجوزية، 1955م **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق محي الدين عبد الحميد.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ)، 1985م، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق حسن هنداوي، ط1، مجلدان، دار القلم، دمشق.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، 1986م، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (322 – 392)، 1995م، **الخصائص**، تحقيق، محمد على النجار، ط1، دار النشر، عالم الكتب، بيروت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان 1988م، **كتاب اللمع في العربية**، تحقيق: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله،(698-769هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج1، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، لبنان، بيروت.

ابن كثير، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت77هـ)، 1418هـ - 1998م، **تفسير القرآن العظيم**، مج2، ط2، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، مكتبة دار العلوم الرياض.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، 1414هـ -1994م، **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت.

ابن هشام الأنصاري، المصري، الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله (708 – 761هـ) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ج2، تحقيق وضبط، محمد محيي الدين بن عبد الحميد.

ابن هشام المصري، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، (708 – 761)، 1408هـ - 1987م، **رسالة المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية**، تحقيق: مازن المبارك، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (708– 761هـ)، 1992م، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، حققه وعلق عليه: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت.

ابن يعيش، موفق الدين ابن علي (ت 643 هـ) **شرح المفصل**، ج1، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

أبو البقاء، محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله (538 – 616) 1995 **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: غازي مختار طليمات، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر ، دمشق.

أبو عودة، عودة خليل، 1405هـ - 1985م، **التطور الدلالي، بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة**، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

أنيس، إبراهيم؛ منتصر، عبد الحليم؛ الصوالحي، عطية؛ احمد، محمد خلف الله 1392هـ 1972م، **المعجم الوسيط**، ط2، جزآن، القاهرة.

بارت، رولان، 1992م، **لذة النص**، ترجمة: منذر عياشي، ط1، حلب: مركز الإنماء الحضاري.

بحيري، سعيد حسن، (د.ت)، **دراسات لغوية تطبيقية، في العلاقة بين البنية والدلالة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

بحيري، سعيد حسن، 1997م، **علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)**، ط1، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان.

بوجراند، روبرت دي، 1418هـ - 1998م، **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، ط1، الناشرون: عالم الكتب، القاهرة.

الجرجاني، عبد القاهر، (ت471هـ)، 1409 هـ - 1988م، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد عبده، ومحمد الشنقيطي، ومحمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجرجاني، عبد القاهر، (ت471هـ)، 1400هـ **دلائل الإعجاز** - تحقيق عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة.

الجزار، محمد فكري،2001م، **الخطاب الشعري عند محمود درويش**، ط1، إيتراك للنشر والتوزيع القاهرة.

الجوزي القرشي البغدادي، الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، (508- 597)هـ، 1404هـ - 1984م، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، ج4، المكتب الإسلامي.

جومسكي، نوم، **البنى النحوية**، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، ط1، مراجعة: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

حسان، تمام، 1955، **مناهج البحث في اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

حسان، تمام 1979م، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حسان، تمام 1982م، **الأصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حميدة، مصطفى، 1997م، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان.

خطابي، محمد،1991م، **لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)**، الطبعة الأولى، الناشرون: المركز الثقافي العربي، بيروت.

خليل، حلمي، 1995م، **الكلمة**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

خليل، حلمي، 1996م، **مقدمة لدراسة اللغة**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

الخوالدة، فتحي رزق، 2006م، **تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكبا"**، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الدرويش، محي الدين، 1415ـ 1994م، **إعراب القرآن وبيانه**، مج4 (الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر)، ط4، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية.

رضا، احمد، 1380هـ - 1960م، **معجم متن اللغة**، مج5، دار مكتبة الحياة، بيروت.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله (296 – 388)، 1984م، **رسالتان في اللغة**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

الرواشدة، سامح، 1422هـ -2001م، **إشكالية التلقي والتأويل: دراسة في الشعر العربي الحديث**، ط1، عمان، أمانة عمان.

الرواشدة، سامح، 2006م، في الأفق الأدونيسي – **دراسة في تحليل الخطاب الشعري**، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

زكريا، ميشال، 1405هـ -1985م، **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (468-538هـ) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي،مكتبة مصر.

الزناد، الأزهر، 1993م، **نسيج النص**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.

سوسر، فردينان دي، 1984م، **محاضرات في الألسنية العامة**، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان.

سيبويه، أبو بشر عمرو ابن عثمان (ت180 هـ) (د.ت) **الكتاب**، ط1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

سيبويه، أبو بشر عمرو ابن عثمان (ت180 هـ) 1988م، **الكتاب**، ط3، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي.

السيوطي، جلال الدين، (ت.911هـ)، 1423هـ - 2002م، **لباب النقول في أسباب النزول**، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، ط1، المكتب الثقافي، الأزهر، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين، (ت.911هـ)، 1984م، **الأشباه والنظائر**، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الشاوش، محمد، 1421هـ - 2001م، **أصول تحليل الخطاب في النظرية النّحوية العربية، تأسيس نحو النص**، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (224 – 300) هـ، **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)**، ج1، حققه وعلّق على حواشيه، محمود حمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: احمد حمد شاكر، دار المعارف بمصر.

عفيفي، احمد، رجب 1417هـ - نوفمبر، 1996م، **ظاهرة التخفيف في النحو العربي**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، بيروت.

العكبري، أبو البقاء،(230- 340)، 1992م، **مسائل خلافية في النحو**، تحقيق: محمد خير الحلواني، ط1، دار الشرق العربي، بيروت.

بالمر، ف.ر. 1995م، **علم الدلالة إطار جديد**، ترجمة صبري إبراهيم السيد، جامعة عين شمس، دار المعرفة الجامعية.

فضل، صلاح،1996م، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ط1، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان.

الفقي، صبحي إبراهيم، 1421هـ - 2000م، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية**، دار قباء للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (د.ت) **القاموس المحيط**، ج3، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

فيهفجير، فولفجانج هاينه من وديتر، 1419هـ - 1999م، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود.

القطان، إبراهيم، 1982م، **تيسير التفسير**، راجعه وضبطه: عمران احمد أبو حجلة، ط1، عمان.

الكرمي، حسن سعيد، 1992م، **الهادي إلى لغة العرب**، ج4، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

لاينز، جون، 1987م، **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

لوشن، نور الهدى،(د.ت) **علم الدلالة (دراسة وتطبيق)**،المكتب الجامعي الحديث، الازاريطة- الإسكندرية.

مراد، وليد محمد، 1986م، **المسار الجديد في علم اللغة العام**، مطبعة الكواكب بدمشق.

مفتاح، محمد، 1996م، **التشابه والاختلاف**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.

الملائكة، نازك، (1983)، **قضايا الشعر المعاصر**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت.

يقطين، سعيد،2001م، **انفتاح النص الروائي**: النص والسياق، ط2،الدار البيضاء، وبيروت، المركز الثقافي العربي.

الدوريات

الرواشدة، سامح، 2003 ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت، الجامعة الأردنية، **مجلة دراسات**، ع3، مجلد30.

الرسائل الجامعية

أبو زنيد، عثمان حسين مسلم،2004م، **نحو النص، دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

الجراح، عبد المهدي هاشم حسين، 2002، **الخطاب وأثره في بناء النص، تطبيق على المعلقات السبع،** رسالة دكتوراه عير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك.

عليان، يوسف سليمان،2002، **التماسك النصي في اللغتين العربية والانجليزية دراسة تقابلية في"الربط النحوي**"، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراه غير منشورة.

ملحق رقم (أ)
المصطلحات

المصطلحات

- **الإحالة مشتركة**: وهي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري داخل وخارج النص.
- **أحالة نصية:** وهي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري داخل النص المنجز.
- **إحالة نصية بعيدة:** في حال تكون النص من أكثر من موضوع وعاد العنصر الإحالي على عنصر إشاري في موضوعات النص الأخرى.
- **إحالة نصية عامة:** وهي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري، بحيث يمثل العنصر الإشاري عموم النص أو عموم الأجزاء الإشارية للنص.
- **إحالة نصية قبلية:** وهي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري ورد سابقا في النص.
- **إحالة نصية قبلية قريبة:** عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري سابق ويكون ضمن الجملة النصية أو المقطع أو الموضوع النصي.
- **إحالة نصية قريبة:** عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري في الجملة النصية أو المقطع أو الموضوع النصي من النص العام، المنجز سابقا أو لاحقا.
- **إحالة نصية موسعة:** عودة العنصر الإحالي النصي على عنصر إشاري نصي غير لفظي؛ مضمون جملة نصية أو مقطع أو مقاطع.
- **التداعي النصي:** ورود الدلالة الجامعة(الفكرة) على ذهن المنتج للنص، وتتابع الأفكار الموضحة لها.
- **إحالة مقامية:** عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري خارج النص المنجز.
- **التداعي الحر:** وهو ورود الدلالة الجامعة دون قيد؛ والتداعي النصي منها.
- **توالد حر:** تتابع ورود الأفكار الفرعية للدلالة الجامعة (الفكرة الأساسية) على ذهن المنتج كل واحدة تطلب الأخرى (تناص داخلي).
- **الجملة التركيبية(الشكلية):** وهي التركيب النحوي الخالي من الدلالة.

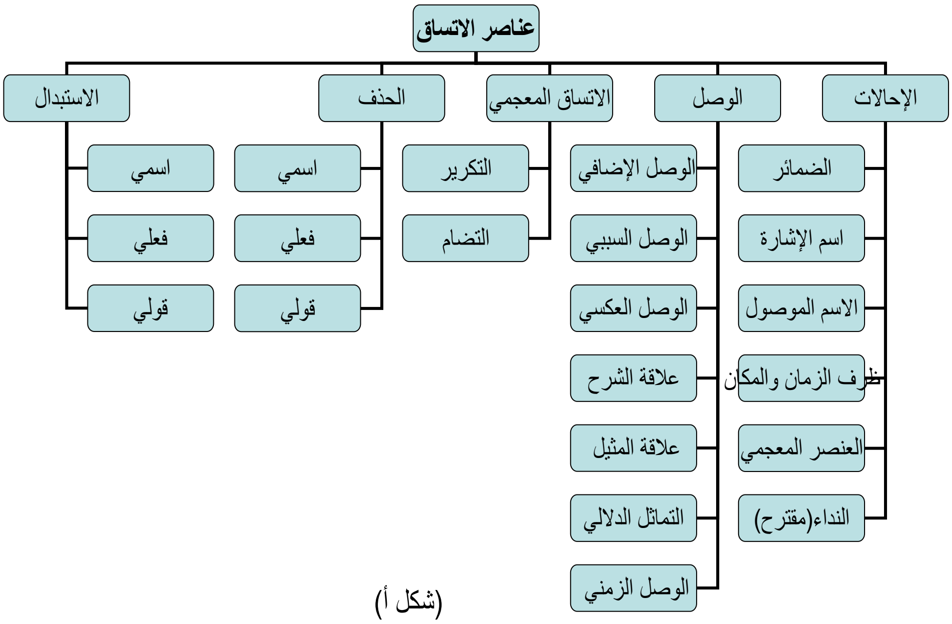
- **الجملة النصية:** وهي الجملة التي يرتبط إنتاجها بفكرة نص وتؤدي معنى جزئيا من معاني النص.
- **الجملة النصية التوليدية:** وهي الجملة التي يحمل تركيبها دلالة توليدية ينتج عنها المزيد من الجمل النصية.
- **الجملة النصية غير التوليدية(الساكنة):** جملة نصية تحمل دلالة لم ينتج عنها جمل نصية أخرى في النص.
- **الجمل غير النصية:** جمل تركيب نحوي بعضها يحمل دلالة لا تربط بنص، ونوع آخر لا يحمل دلالة.
- **جملة النظام المستقلة:** وهي جملة تركيب نحوي تحمل دلالة غير مرتبطة بنص.
- **الحذف النصي:** وهو الحذف الذي يكون أثره الدلالي أبعد من حدود الجملة، ويشكل عامل اتساق نصي.
- **الدلالة الجامعة:** وهي الفكرة الأساسية التي تحمل مضمون النص، ومنها تولد أفكار النص ومعاني الجمل.
- **الروابط اللفظية:** وهي أدوات الربط الملفوظ في اللغة وتقابل الأدوات اللغوية البيانية.
- **الروابط النصية:** أدوات الربط في اللغة: البيانية واللفظية التي تعمل على مستوى النص.
- **علاقة طردية:** وهي التناسب المطّرد أو المتصاعد بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي فكلما كان العنصر الإشاري محور الدلالة في الجملة أو المقطع أو النص كلما كان موضوعا لعودة أكثر عناصر الاتساق وخاصة الإحالات.
- **علاقة عكسية:** وهي العلاقة القائمة بين اللفظ والدلالة في تشكل النص، فالنص يتشكل دلاليا من الأعلى من الدلالة الجامعة، ويتشكل لفظيا من الأسفل من الجملة إلى المقطع (المقاطع) إلى تمام النص.
- **عناصر الاتساق:** وهي أدوات لغوية تعمل على ربط أجزاء النص وذات اثر أبعد في ربط المنتج اللغوي، وهي أدوات الربط في نظام نحو الجملة، وأخذت بعدا اتساقيا من الدرس اللغوي الحديث.

- **العنصر الإحالي:** هو كل مكون يحتاج في فهمه مكون آخر يفسره.
- **العنصر الإشاري:** وهو كل مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره، فهو في الكلام وحدات معجمية (أسماء مفردة وما يضارعها من المركبات).
- **العنصر الإشاري اللغوي**: وهو العنصر الإشاري الواردة في النص المنجز.
- **العنصر الإشاري غير اللغوي:** وهو كل عنصر إشاري غير لغوي؛ خارج النص، ويجمع كل عنصر إشاري يتوفر ما يعود عليه في الملفوظ.
- **العنصر الإشاري المعجمي:** لفظ مفرد دال على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان.
- **العنصر الإشاري النصي:** وهو مقطع من الملفوظ، (مضمون) يحال عليه بعنصر إحالي نصي.
- **المرجع الإشاري:** العنصر الإشاري الذي تعود علية أغلب الإحالات في النص.
- **المدى الإحالي:** ويتعلق بوضع العنصر الإشاري من العنصر الإحالي قربا وبعدا، وهو على مستوى الجملة والمقطع والموضوع والنص، فإذا عاد العنصر الإحالي على عنصر إشاري ضمن الموضوع النصي فهو من الإحالة النصية ذات المدى القريب، وإذا أحال على عنصر إشاري في موضوع آخر من النص العام فالإحالة نصية بعيدة.
- **مضمر حر:** أي إن العنصر الإحالي يعود على عنصر إشاري غير محدد.
- **مقطع نصي:** مجموعة جمل نصية تحمل فكرة فرعية من أفكار الدلالة الجامعة وبروابط اتساقية.
- **نص موجود:** الدلالة الجامعة، الموجدة دلالة ولفظا.
- **نص مرسل**: النص الذي يرسل الإحالات المقامية.
- **نص مستقبل**: النص الذي يستقبل الإحالات من نصوص أخرى ولا يرسلها.
- **نص مفتوح:** وهو النص الذي يرسل الإحالات خارجه ويستقبلها من النصوص الأخرى.

- **نص منوي:** وهو نص مضمر في أغلب دلالته وتظهر بعض جمله أو أدوات اللغة على أنواعها، ووجود المتلقي طرف أساسي فيه، وأغلبه في النصوص المسموعة.
- **وصل نصي:** وهي أدوات الوصل اللغوية التي تعمل على الربط بين مكونات النص، ولا تقتصر على الجملة أو أجزاء الجملة، وهي الروابط اللغوية المتعارف عليها في نحو الجملة، وأخذ البعد النصي من الدرس الحديث.

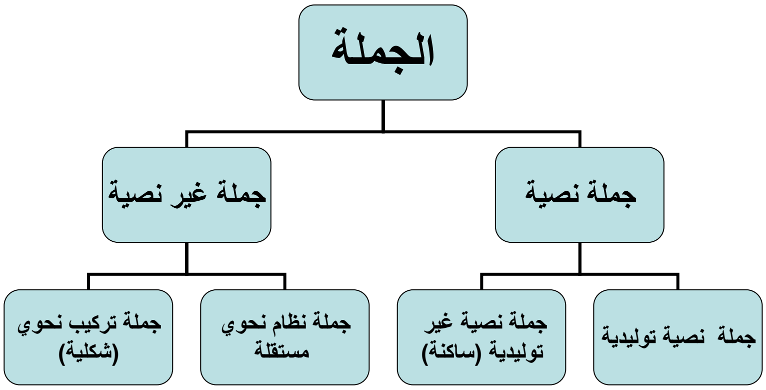
ملحق رقم (ب)

أشكال الرسم البياني



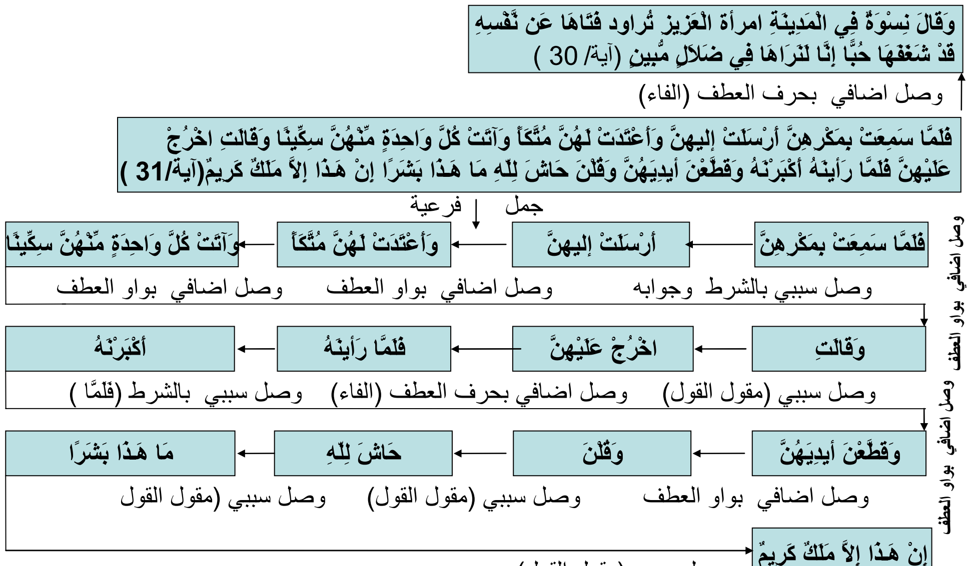
(شكل أ)

عناصر الاتساق



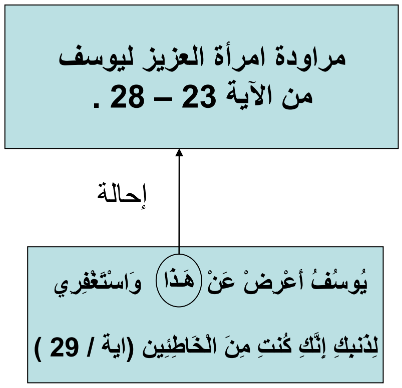
شكل (ب)

أنواع الجملة



شكل (ج)

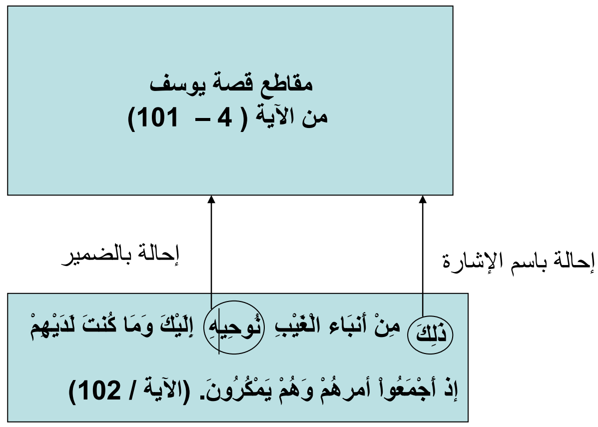
علاقة الوصل بين الجمل النصية و الجمل الفرعية



شكل (د)

أحال اسم الإشارة (هذا) على العنصر الإشاري النصي غير الملفوظ ؛ مضمون الجمل (الآيات) النصية السابقة.

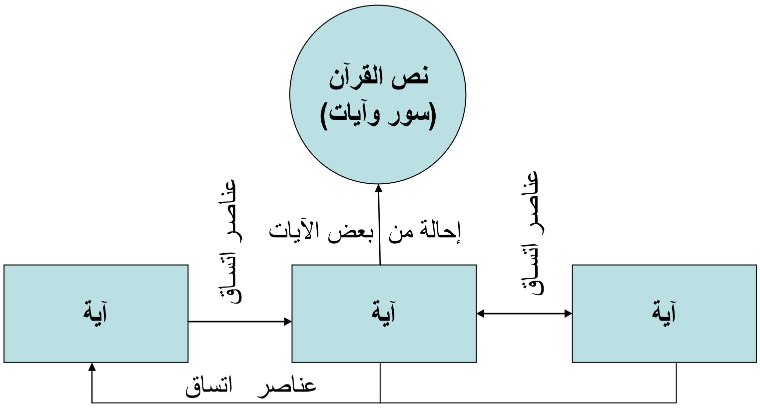
تماسك المقطع الواحد



شكل (هـ)

تماسك المقاطع في سورة يوسف

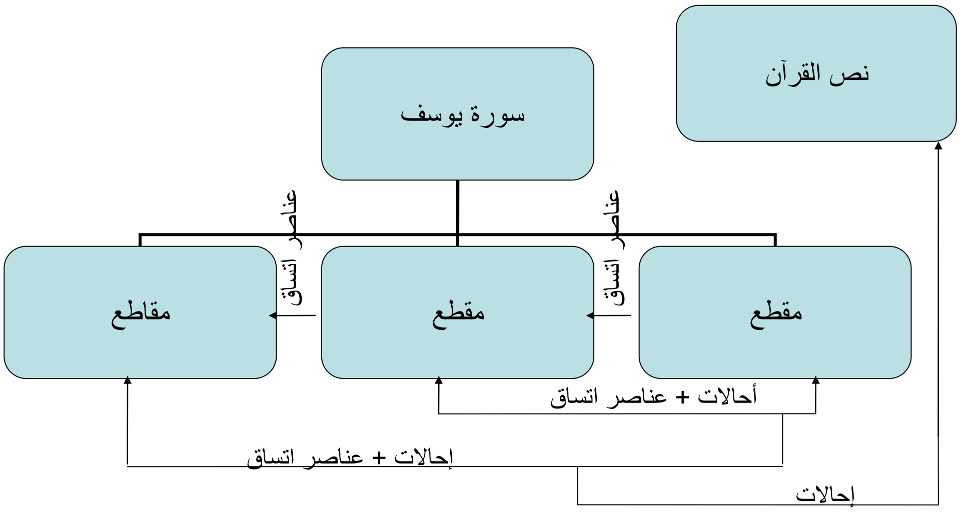
أحال اسم الإشارة (ذلك) والضمير (الهاء) في نوحيه على جميع مقاطع القصة.



شكل (و)

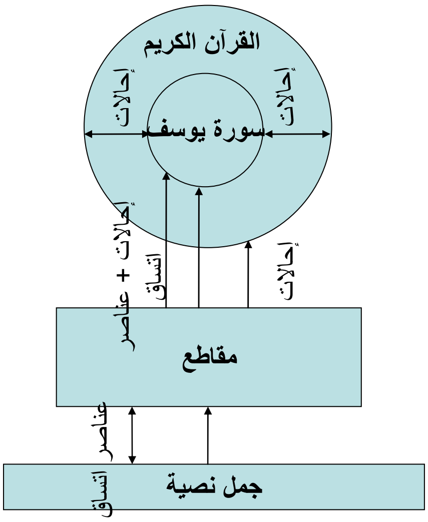
تماسك الآيات في السورة ونص القرآن

الآيات يحيل بعضها على بعض سابقا ولاحقا داخل السورة وعلى بعض العناصر الإشارية في سور أخرى من نص القرآن على شكل شبكة إحالية.



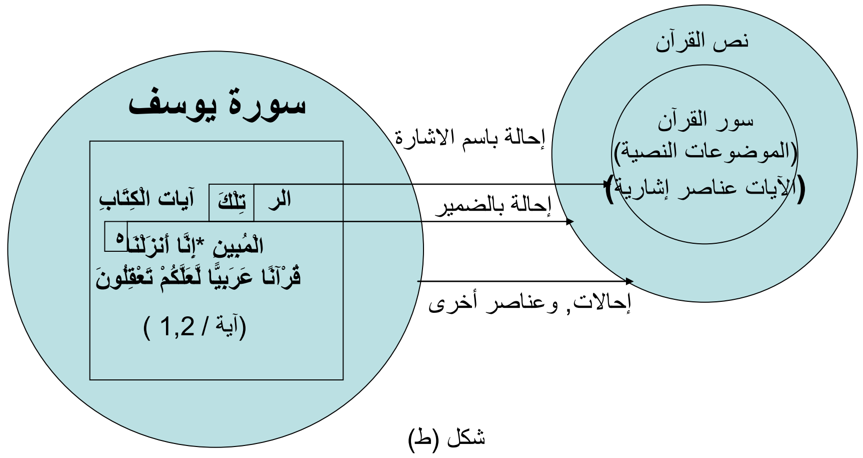
شكل (ز)

تماسك المقاطع في السورة ونص القرآن



شكل (ح)

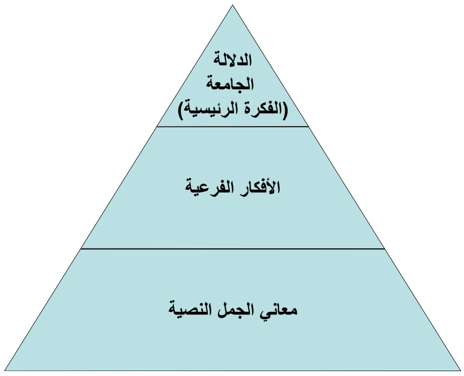
اتساق سورة يوسف



شكل (ط)

ترابط سورة يوسف مع نص القرآن

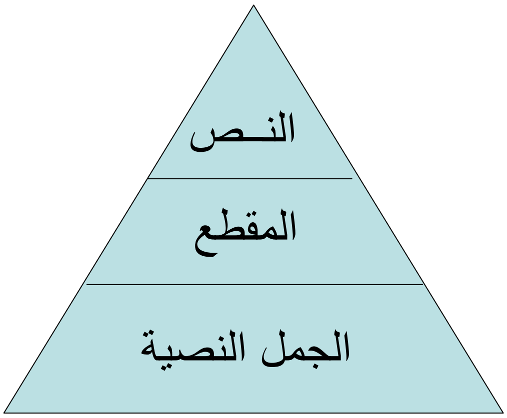
أحال اسم الإشارة (تلك)على العنصر الإشاري (آيات الكتاب) وهي المكوّن لنص القرآن, وأحال الضمير المتصل (الهاء) في (أنزلناه) على (القرآن) عموم نص القرآن الكريم.



شكل (ي)

تشكّل النّص دلاليا

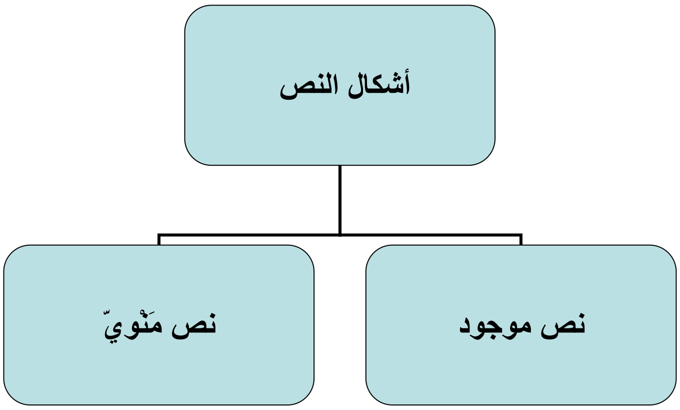
يتشكل النص دلاليا من الأعلى؛ من الدلالة الجامعة ثم الأفكار الفرعية ثم معاني الجمل.



شكل (ك)

تشكل النص لغويا

يبدأ تشكل النص لغويا من الأسفل، من الجملة النصية على تخير من الألفاظ بما يتطلبه السياق, ثم المقاطع ثم يتكون النص بتمام فكرته.



شكل (ل)

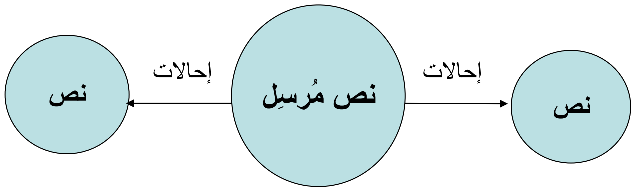
أشكال النص بأثر الدلالة واللغة



شكل (م)

أنواع النصوص بأثر الإحالات
أ- نص مصمت

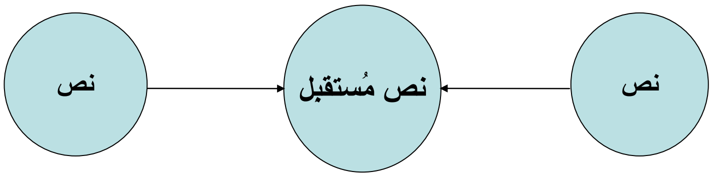
النص المصمت: نص لا يستقبل ولا يرسل الإحالات, وهو افتراضي بالاحتمالات, كما في الشكل أعلاه .



شكل (ن)

ب - نص مُرسِل

النص المُرسل: هو النص الذي يرسل الإحالات على نصوص أخرى ولا يُحال عليه، وهو افتراضي بالاحتمالات .



شكل (س)

ج - نص مُستقبل

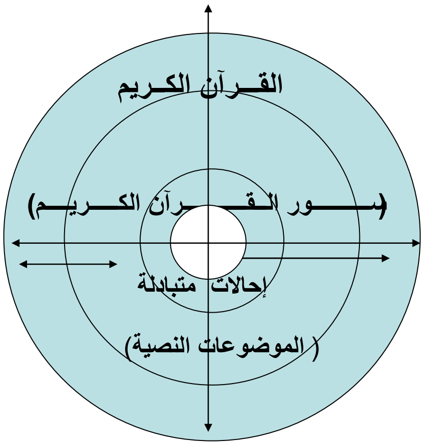
النص المستقبل: وهو النص الذي يستقبل الإحالات ولا يرسل على نصوص أخرى، وهو الاحتمال الثالث.



شكل (ع)

د - نص مفتوح

النص المفتوح: هو النص الذي يرسل الإحالات إلى النصوص الأخرى ويستقبل منها .



شكل (ف)

تماسك نص القرآن

القرآن الكريم نص واحد,يتكون من مجموعة سور (الموضوعات النصية) وبينها روابط اتساقية (عناصر اتساق لغوية)تعمل على تماسكه وأهمها الإحالات, وسورة يوسف أحد الموضوعات,مكوّنة من مقاطع وجمل نصية ترسل الإحالات على مقاطع في السور الأخرى,وخارج نص القرآن,والموضوعات الأخرى (السور)ترسل الإحالات من خلال مقاطعها وجملها النصية على غيرها داخل نص القرآن وخارجه.